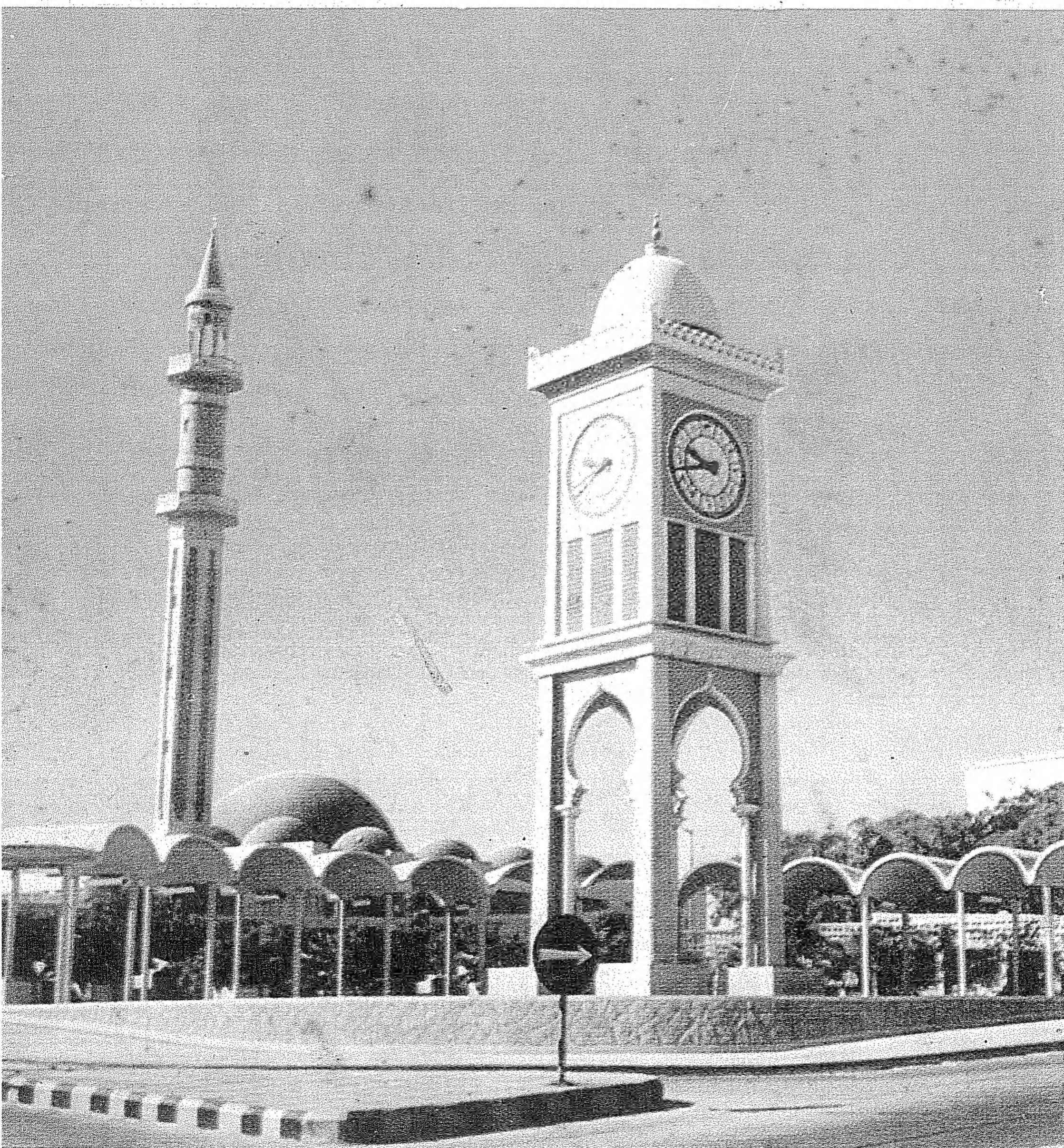
الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة – العدد ٦٦ – جمادى الثانية ١٣٩٠ هـ – ٣ اغسطس (آب) ١٩٧٠م





Centre Islamique
et Culturel
17, avenue Père Damien

المسجد والمركز الاسلامى والثقافى
بروكسل فى الحديقة الخمسينية



مسجد الشيوخ بالدوحة عاصمة قطر يطل بمنارته الشاهقة وقبته العالية على احدى الساحات الفسيحة في أكبر الاحياء التجارية ، ويبدو فى الصورة برج الساعة الضخم بفنه العربى الرفيع .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد السادس والستون

جمادى الثانية ١٣٩٠ هـ

٣ أغسطس (آب) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترلينى)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت



سمو ولي العهد يلقي البيان

- لا يمين، ولا يسار، ولا انحياز لأيّ معسكر دولي
- إننا نكيّف سياستنا الخارجيّة على ضوء قضايانا المصيريّة
- شعب الكويت مرتبط بالشعوب العربيّة ارتباطاً مصيريّاً
- الكفاح المسلّح الفلسطيني المنطلق الطبيعي لاستعادة جزء عزيز من وطننا.
- نرفض أيّة حلول للقضية الفلسطينيّة مالم يوافق عليها الشعب العربي الفلسطيني.
- شريعتنا الإسلاميّة الغرّاء تنظّم حياة المسلمين وسلوكهم ونحن حريصون على العمل بها في شتى نواحي ديننا ودنيانا.
- حان الوقت لاتخاذ خطوات إيجابيّة نحو تقرير الخدمة العسكريّة

بيان سياسي خطير

لسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء

سمو الشيخ جابر الأحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء من رجال السياسة والحكم المرموقين ، وهو يتمتع بثقة صاحب السمو أمير البلاد المعظم ، وحب وولاء الشعب الكويتى ، واحترام وتقدير بالغين فى المحيط الدولى لما يمتاز به من سداد الرأى وبعد النظر ، واحاطة بمجريات الاحداث العالمية .

وقد أدلى — حفظه الله — ببيان سياسى خطير تناول فيه سياسة الكويت الخارجية وشئونها الداخلية بما أثر عنه من صراحة وحزم ، واخلاص لدينه وشعبه وأمته .. وكان لهذا البيان صداه البعيد فى شتى الاوساط والمحافل ، فرددته وكالات الانباء ، وعلقت عليه الصحف والاذاعات المحلية والعالمية وعكفت الهيئة التشريعية فى البلاد على دراسته ، ومددت دورة انعقادها الحالية حتى تفرغ من اتخاذ الخطوات الايجابية لتنفيذ ما تضمنه من اصلاحات فى مختلف المجالات .

ويسر مجلة الوعى الاسلامى أن تدع القراء يعيشون مع بعض فقرات البيان التالية : **فى السياسة الخارجية** لقد أصبح من الضرورى علينا أن نعمل سريعا على تحديد موقف عربى جماعى ازاء مصالح الدول التى ما زالت تدعم اسرائيل وتشجعها على مواصلة عدوانها واحتلالها لاراضينا العربية .

فى السياسة التشريعية : ان دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسى لتشريعاتها هكذا كنا ، وعلى هذا نص الدستور ، وبهذا سنظل متمسكين فى رسم اطارنا الاجتماعى الذى نعيش فيه .

فى السياسة الاقتصادية :

ان العدالة الاجتماعية التى ينادى بها ديننا ، وما اشتملت عليه من مساواة وتكافل بين الناس وضمان لمستوى أفضل لمعيشة الفرد هى كبرى دعامات مجتمعنا ومناط نظرتنا الى أى مبدأ من المبادىء الاقتصادية .

وانها لخطوة مباركة ان يأخذ سمو ولى العهد زمام المبادرة بالدعوة الى الالتزام بالشريعة الاسلامية دستور حياة ووثيقة عمل بهذا وحده تحقق الامة شخصيتها وتسترد عزتها ، ويعيش المسلمون فى كنف الله وكلاءته .

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

ميزان القوى

هذا الميزان من مبتكرات السياسة الاستعمارية الموالية لاسرائيل كما ان طائرات الفانتوم الهجومية البعيدة المدى من مبتكراتها ، وقد اخترعته اختراعا لتبرير سياستها الجائرة في النزاع المحتدم في الشرق الأوسط بين العرب واسرائيل ، والصورة المجسمة المجردة لهذا الميزان (كفتان وعاتق) والموزون في الكفة الأولى الأسلحة الهجومية التى مع اسرائيل لابادة العرب واغتصاب اراضيهم ، والموزون في الكفة الثانية المعدات الدفاعية التى مع العرب يدافعون بها عن وجودهم وحقوقهم والسياسة الاستعمارية من وراء البحار تمسك بعاتق الميزان وتراقب كفتيه ، ومهمتها كما تدعى — المحافظة على التوازن بين هاتين القوتين لصالح العدو الاسرائيلى فاذا ما رأت ان طائراته تتهاوى ، وان اسلحته تتحطم ، وان فنييه يتساقطون امدته بكل ما يحتاج اليه حتى ترجح كفته ، ويتمادى في اجرامه ، هذه هى الصورة الحقيقية كما يراها المراقبون المنصفون للتدخل الاستعمارى السافر فى هذا النزاع .. وهذا الوضع لا يستسيغه منطق ولا تقره عدالة ، ولا يستقر به امن ولا سلام .

العقل ان كان فى الرؤوس عقل ، والمنطق ان كان للالسنة منطق ، والعدالة ان كان لا يزال للعدالة ظل فى الارض ، والعقيدة — اى عقيدة — ان كان فى القلوب مكان للايمان — كل ذلك يتطلب ممن يوليه جاهه وسلطانه منزلة الوساطة او الحكم

والفصل بين المتنازعين ان يلتزم امرا واحدا لا بديل عنه ، وهو ان يرد الحق المتنازع عليه الى صاحبه ، ويقنع الطرف الآخر بقبول هذا الحل ، فان لم يقتنع اكرهه على قبوله ان كان يملك قوة الاكراه ، او تخلى عنه وكف يده عن مساعدته اما ان يعطى للمغتصب سلاحا يجهز به على صاحب الحق حتى يموت ويموت حقه ، او يمد المعتدى بالمزيد من السلاح كلما راى صاحب الحق متشبثا بحقه مصرا عليه مقاتلا دونه ويبرر هذا الدعم بانه محافظة على توازن القوى بين الطرفين فهذا ما لا سندله فى قانون ولا شريعة اللهم الا اذا كانت شريعة الغاب والناب والظفر .

مسكين هذا الحق العربى الضائع الذى لم يستطع ساسة الدنيا وقادة الارض أن يتبينوه او يعثروا عليه بعد أن أعياهم البحث عنه منذ سنة ٤٧ حتى الآن .. فلسطين الدولة كلها من أقصاها الى اقصاها بمرتفعاتها ومنخفضاتها بسهولها ووديانها وما عليها من مدن وما احتوته من دور وقصور ومتاجر ومرافق ، وما نبت فيها من بساتين وكروم ، وما ضم اليها من الاراضى السورية والأردنية والمصرية . والشعب الفلسطينى كله برجاله ونسائه واطفاله احياء وأمواتا .. عشرات الالوف من الكيلومترات المربعة عشرات الالوف من المبانى عشرات الالوف من المتاجر عشرات الالوف من اللاجئين والمهجرين . عشرات الالوف التى ذبحت وقتلت كل اولاء واولئك عميت عنه الابصار ، فلم تره وضلت عنه العقول ، فلم تستطع عدالة الارض الممثلة فى هيئة الامم ومجلس الأمن ان تتعرف عليه او تصل اليه ، ولا تزال تتساءل اين العرب واين حقهم ؟

ان حق العرب فى وطنهم اظهر من ان يخدع فيه ، او يضل عنه ، ولن تخفى معالمه بنسف الدور وتخطيط المدن ، وتشييد المستعمرات واقامة المنشآت وتوطين حمر وصفر وبيض وسود الوجوه والبشرة من مختلف اليهود المجلوبين من فجاج الارض . لن تخفى معالم هذا الحق باختلاف الألسنة انجليزى وفرنساوى والمانى وعبرى لسان المحمولين الى الارض العربية . لن تخفى معالم الحق بهدم المساجد واقامة البيع ، وحرق الأقصى وبناء المبكى ، وانقطاع الاصوات التى تجهر بالآذان وترتل القرآن وارتفاع الأصوات التى تنغم المزامير وتردد التراتيل .. ان هذا التغيير الضخم والمسخ الشامل فى الارض والبشر لن يستطيع مهما تطاول الزمن ان يحجب حق العرب او يسدل الستار عليه .. ان جريمة العدوان على الحق الاسلامى اكبر واظهر من ان تحتال الدنيا كلها على سترها واضاعة معالمها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) .

ان الانسان ليعجب اشد العجب حين يكون الحق واضحا بينا ، فتضل عنه العقول ، وحين يكون الباطل مكشوفا مفضوحا فتعمى عنه الابصار ... واى حق اشد وضوحا وبيانا من حق العرب واى باطل اشد تكشفا وعريا من باطل اسرائيل .

وان هذا العجب ليتزايد ويتفاقم عندما يكون أبطال الحق ، واحقاق الباطل من عقول جبارة وصلت بعلمها الى غزو الفضاء والتجول فى القمر ... هذه هى العقول التى انكرت عدل الله ، وأقرت باطل الشيطان . هذه هى القلوب التى تفتحت لعواء الذئاب وفحيح الأفاعى .

واذا بلغت العقول هذا الحد من الضلال والعمى ، واستبد بها الهوى والطمع تبدد الأمل فى عونها وانصافها ووجب الرجوع الى الله والاعتماد عليه ((افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)) .

* * *

ان العدو الاسرائيلى يعرف نفسه تماما .. يعرف أن أسود ما فى حياته ماضيه الملىء بالآلام والضياع ، وان اسعد ما فى حياته حاضره الملتهب المشحون بالخطر والقلق ، وأن أخوف ما يخافه ويحاذره هو مستقبله .

.. ومن أجل هذا يتلفت الى ماضيه الأسود فيفر منه ، ويتطلع الى مستقبله الغامض فيرهبه وينظر الى حاضره — على ما فيه فيتشبث به ، ويستميت فيه ، ويتحمل مخاطره ومغارمه .

وعلى اساس من هذه المعرفة والدراسة يخطط لنفسه فى خبث ودهاء .

.. بعد حرب حزيران وانتصاراته الحربية الموقوته ملأت أجهزة دعايته الدنيا باسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر وسلاح طيرانه الذى لا يهزم ولما تكشفت حقيقة هذه الاسطورة وظهر زيفها للعالم . في معركة الكرامة حيث وجد جنوده مقرنين فى الأصفاد مشدودين بالسلاسل الى الدبابات ، وفى المعارك الجوية على المرتفعات السورية وجبهة القناة حيث تهاوت طائراته الجبارة — لما تحطمت هذه الاسطورة أخذ اليوم يقيم الدنيا ويقعدها من اجل مساندته ودعمه بالسلاح .

والضلالة الجديدة التى يحاول العدو ان يروجها اليوم ، ويضلل بها العالم هى محاولته اقناع المحيط الدولى أن بقاء الدنيا فى بقائه وأن فناء العالم فى فنائه وانه لكى يحافظ العالم على وجوده يجب أن يحافظ على وجود اسرائيل ، ولكى يامن العالم شرور وويلات حرب عالمية ثالثة لا تبقى ولا تذر يجب أن تعمل الدول كبراها وصغراها على حمايتها وتأمين وجودها وهذا يعنى أن تساندها القوى العالمية فى تثبيت اقدامها فيما احتلته من الاراضى العربية ، وفى اقرارها على ما فى يدها من ممتلكات العرب ، وما اغتصبته من حقوقهم .

هذا هو ما يكرس العدو له جهوده اليوم ، وهذا هو ما تنشط له أجهزة الدعاية الصهيونية فى العالم ..

ستنشق السماء ، وتتناثر الكواكب وتسجر البحار ، وترج الارض رجا ،

وتنسف الجبال نسفا ، ويصعق من في السماء ومن في الارض ، ويحين خراب العالم اذا أصاب اسرائيل سوء او مسها ضر .

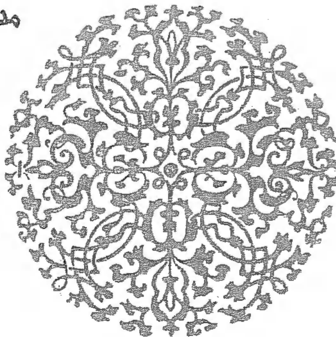
ومما يثير الدهشة والعجب أن تجد هذه الضلالة طريقها الى أولى الباس والقوة في الارض ، فيعود فريق منهم الى ترديد نغمة الخطر المتزايد من تصعيد الحرب في الشرق الاوسط والى المسارعة للعمل على حفظ توازن القوى في المنطقة وعلى وجه التحديد المحافظة على التفوق العسكري للعدو بمده بأحدث الأسلحة الهجومية سرا وعلنا تبرعا وقرضا ، ويردد فريق آخر ضرورة الاتفاق على حدود آمنة للغاصب المعتدي كشرط اساسي لاقرار السلام ، والا وقعت الواقعة وازفت الازفة ليس لها من دون حلولهم ومبادراتهم كاشفة .

وهذه الضلالة سيفتضح أمرها فلن تقع الواقعة ، ولن تقوم القيامة من أجل عيون الصهيونية . وهذا الميزان الجائر سيتحطم ، وترجح كفة المؤمنين الذين اختاروا طريق آبائهم المجاهدين ((الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)) .

ان في هذه المعاداة للعدل مع وضوحه ، والموالاة الظلم مع فداحته والتواطوء على مصير شعب بتمامة من جانب أعداء الاسلام ما يفتح عيون المأخوذين ببريق الحضارة الغربية المترامين في احضانها على زيفها وتجردها من أقدس المثل والقيم الانسانية وان ما تنادي به من الحرص على الحقوق الانسانية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

الا ان الاحداث الجارية تشد العرب خاصة والمسلمين عامة الى دينهم شدا وتجتذبهم الى كتاب ربهم وهدى نبيهم جذبا ، ((ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد)) .

ابراهيم الحلبي
مدير ادارة الدعوة والارشاد



الجهاد في سبيل الله
في مجال التضحية بالذات

١ — القتال ضرورة فى الحياة :

* طالما أن الحياة فيها الحق والباطل ، وفيها الاستقامة والانحراف ، وفيها العدل والظلم ، وفيها الخير والشر .. طالما فيها الشيء ونقيضه ، وفيها الانسان ذو العقل والحكمة وذو الهوى والشهوة ، وصاحب الايمان بالله وبالقيم الانسانية العليا وصاحب الكفر بها .. طالما أن الحياة الانسانية على هذا الوضع فالقتال ضرورة من ضروراتها لمنع الفساد وطغيان الشر والهوى والكفر بالله وبالقيم العليا ، وللابقاء على الايمان والعدل والخير ، يقول تعالى :

((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين))(١) . ويقول كذلك ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع ، وبيع ، وصلوات ، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز))(٢) .

.. ففى الآية الاولى يبرر ضرورة القتال بالحفاظ على الارض من الفساد ، ويشير الى أن ضرورته تعتبر نعمة وفضلا من الله على العالم الانسانى .

.. وفى الآية الثانية يوضح ما أجمله من فساد العالم اذا لم يكن القتال مبدأ ضروريا فى حياة الانسان — من أن الفساد يتمثل فى ضياع الايمان بالله الذى يعد بيت الله له رمزا : ((لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا)) .

واذن هدف القتال هو الحرص على بقاء الايمان بالله على هذه الارض . واذن القتال من أجل هذا الهدف فريضة وواجب على كل من يستطيعه : ((كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون))(٣) ((أى والله يعلم ما هو فى صالح البشرية عامة ولذا أوجب القتال ، وأنتم لا تعلمون حقيقة هذه المصلحة العامة ولذا قد تكرهون القتال)) .

* والقتال كذلك قد يكون مكروها وبغيضا للنفس التى تحمل على مباشرته . لانه قد يعرضها للموت والفناء ، أو على الأقل يعرضها لفوات الاستمتاع بالسكنى والاستقرار فى هذه الحياة ، كما يعرضها لمواجهة المشقة النفسية والبدنية فيها .

القتال ضرورة في الحياة ـ القتال من جانب المؤمنين . الماديون الملحدون ، أو المشركون . ليس في القتال معجزة ـ النصر النهائي للايمان بالله . أجر المقاتل عند الله ـ الجهاد اليوم في سبيل الله .

للدكتور : محمد البهي

واذا كان هناك احتمال ــ وهو احتمال كبير فى الواقع ــ أن يشق القتال على النفس وأن تتضرر به ، ولذا تكرهه وتبغضه ، فلا بد أن تكون هناك فريضة فى الدين تدرب المؤمن على القتال ، وتجعل منه عبادة يتقرب بها الى الله . وكانت هذه الفريضة هى « الجهاد فى سبيل الله » . وهى فريضة ليست موقوتة بوقت معين ــ كما حرفتها القديانية لمصلحة السياسة الاجنبية فى الهند فى القرن التاسع عشر ــ بل هى فريضة دائمة ما دام الانسان على هذه الارض ، وما دام يتردد بين الايمان بالله والكفر به ، وبين الحق والضلال :

« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله

« والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ،

« فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا »(٤) .

.. والذين آمنوا لا ينعدم وجودهم ، والذين كفروا لا ينعدم وجودهم كذلك الا اذا انتهت الحياة الدنيا وانتقل أمر الوجود كله الى الدار الآخرة . ولذا فالجهاد فى سبيل الله باق ، والمؤمن بالله يجب أن يتخذ منه مجالا للتدريب على التضحية بالذات فى سبيل الله ، طالما هو يعيش على هذه الارض ، وطالما هو مكلف بمقاتلة أولياء الشيطان ، وهم الكافرون المعتدون . وهو اذ يملأ نفسه بالرغبة فى التقرب عن طريقه الى الله سيؤديه وهو غير كاره له . بل على العكس سيؤديه وهو متطلع الى يوم لقائه مع الله عز وجل . واذ يؤديه وهو على هذا الوضع لا يخشى على فوات دنيا من مال وولد وزينة ، كما لا يرهب الموت ، لانه سيجد فى البديل عن ذلك عند الله ما هو خير وأعظم قدرا : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »(٥) . فسواء عليه غلب عدوه وانتصر عليه ، أم قتل فى لقائه معه ، فان الله قد وعده بأجر عظيم على ما آثره من آخرة على الدنيا فى جهاده فى سبيل الله .

※ والحفاظ على الايمان بالله هو سبيل الله . وهو الغاية من القتال والجهاد . والقتال أو الجهاد بالنفس قربة الى الله اذا تمخضت غايته للايمان بالله ، ولتمكين المؤمنين بالله من ممارسة عبادتهم لله وحده . ووعد الله بنصره للمقاتلين والمجاهدين هو بسبب حرصهم على بقاء الايمان بالله ، ورغبتهم فى استمرار عبادتهم لله ، طالما هم يعيشون على هذه الارض :

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور ،
« اذن للذين يقاتلون ، بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ،
« الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا : ربنا الله .. الى أن يقول :
« الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور »(٦) .

.. فهو فى وصفه للمؤمنين الذين وعدوا من قبله بنصرهم يصفهم : بانهم اذا مكن لهم فى الارض وكانت لهم السيادة عليها حققوا ايمانهم بالله فى مظاهرة من : اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

وهذا يعطى : أن المسلمين اذا ظلوا على الانتساب الى الاسلام ، دون أن يحققوا الايمان به فى حياتهم المقبلة ليس وعد الله لهم بالنصر مكفولا ، وليس الجهاد عندئذ فريضة يتقرب بها الى الله . لأنه قد يكون جهادا فى سبيل الشيطان ولأوليائه .

٢ — القتال من جانب المؤمنين :

※ واذا كان القتال مبدأ ضروريا فى حياة الانسان ، واذا كان الجهاد به فى سبيل الله فريضة على المؤمن المستطيع للمحافظة على بقاء الايمان وممارسته فى حياته ، فمتى تكون مباشرته من جانب المؤمنين حقا وواجبا .

أن المؤمن يقوم بمباشرته للجهاد عن طريق القتال اذا اعتدى عليه من عدوه . وعدوه :

١ — الكافرون من أهل الكتاب .

٢ — والكافرون الملحدون من الماديين أو المشركين .

وأهل الكتاب أن آمنوا بالله واليوم الآخر على نحو يغاير الاسلام ، فان الملحدين الماديين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . بل ويصدون عن سبيل الله ويحاولون بقدر امكانهم أن يردوا المؤمنين عن دينهم .

ومشروعية الجهاد عن طريق القتال تبدأ من الاعتداء على المؤمنين : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير »(٧) . فيؤذن للمؤمنين بالقتال عند وقوع العدوان عليهم ، وذلك بسبب ما يلحقهم من ظلم واعتداء . وهنا يعلن الله جلت قدرته : انه على نصرهم لقدير . لأنه يقف بجانب المظلوم ضد الظالم والمعتدى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين »(٨) . فالقرآن يدعو المسلمين الى أن يتمسكوا دائما بما هو انسانى فى معاملة أنفسهم وغيرهم . فهو اذ يشرع القتال يشرعه فى حدود ، ولهدف معين لا ينبغى أن يتجاوزه .

※ ولذا اذ يشرعه فى حدود معينة ولهدف معين ، يطلب انهاءه عندما يعلن الطرف المعتدى قبوله للسلام ، كما جاء فى قول الله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم . وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين »(٩) . فهو يأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بقبول السلام عندما يعرض عليه لا عن ضعف أو خوف ، ولكن محافظة على عدم الاعتداء على العدو ، بعد أن يعرض السلام من جانبه . وفى الوقت نفسه يطمئنه عليه الصلاة والسلام بوقوف الله بجانبه وباعتماده عليه ، لو كان باطن عرض الاعداء من سلام هو الخدعة والمكر السىء . وذلك لكى لا يتردد عليه السلام كثيرا فى قبوله للسلام عندما يعرض عليه .

كما يطلب أيضا انهاءه عندما ينهيه العدو من جانبه ، على نحو ما يذكره الله سبحانه وتعالى فى قوله : « فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم »(١٠) .

واذن لا حاجة للمؤمن فى استمرار القتال من جانبه . فالقتال ضرورة تقدر بقدرها . وقدرها هو : رد الاعتداء وانهاء العدوان والعودة الى مجرى الحياة العادى .

٣ — الماديون الملحدون أو المشركون :

※ واذا كان هذا هو موقف القرآن بصفة عامة ازاء العدوان والاعتداء فان له موقفا يزيد

عن هذا التحديد ازاء الماديين الملحدين . ولكى تحددهم أولا يرجع الى القرآن الكريم فى أوصافهم التى هم عليها ، فهو يقول فى شانهم :

١ ـ « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر »

٢ ـ « ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله »(١١) .

.. فهم : لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يعرفون منكرا ولا فاحشة يحرمونها على انفسهم . بل يبيحون فعل ما يرونه لصالح أنفسهم ، ولو كان ضارا لغيرهم .. يبيحون انتهاك الاعراض ، والاموال ، والانفس .. يبيحون الارهاب والاذلال والتحكم فى الآخرين » طالما فيه صيانة لمصلحتهم الشخصية . هم « وجوديون » أو « أنانيون » و « منفعيون » . هم ماديون ينكرون « الروحية » بل وينكرون العقل لحساب البدن ومتعه وملذاته .

وفى مقابل هذا النوع من الماديين الملحدين الوجوديين تصف الآية نفسها فى بقيتها الضرب الآخر من الكافرين من أهل الكتاب فتقول :

« ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

.. فكفر أهل الكتاب لم يبلغ الى انكارهم لله ولليوم الآخر . وانما مبلغه : أنهم لا يدينون دين الحق .. انهم يختلفون فيما يدينون عن كتاب الله ورسالته . وأهل الكتاب الباقون على عهد الرسالة الاسلامية هم :

١ ـ اليهود ،

٢ ـ النصارى .

وهذه الآية تعطى : أن الذين يواجهون الاسلام ويتحدونه بعدوانهم هم : أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والماديون الملحدون ، أو المشركون . وهؤلاء وهؤلاء لن يفنوا ، كما لم يفن المسلمون . واذن تحديهم باق ، وعداوتهم باقية ، وانتظار عداوتهم واعتدائهم باق . والجهاد عن طريق القتال باق ومستمر ، وفريضته لذلك باقية ومستمرة .

* هؤلاء الماديون الملحدون ـ أو المشركون ـ يقفون من المؤمنين بالاسلام موقفا فيه تحرش وتحد . يقول القرآن الكريم فى شان موقفهم :

١ ـ « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(١٢) .

كما يقول :

٢ ـ « كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة ،

٣ ـ « يرضونكم بافواههم ، وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون .

٤ ـ « اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا »

٥ ـ « فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون .

٦ ـ « لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة . وأولئك هم المعتدون . فان تابوا » وأقاموا الصلاة » وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين » ونفصل الآيات لقوم يعلمون .

٧ ـ « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ، انهم لا ايمان لهم » لعلهم ينتهون . الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم ، وهموا باخراج الرسول ، وهم بدءوكم أول مرة » اتخشونهم ؟ فالله أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين .

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم » ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم .

« أم حسبتم أن تتركوا ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون »(١٣) .

.. فهذه الآيات تحدد موقف الماديين الملحدين ـ وهم من تعبر عنهم بالمشركين ـ بانهم :

في حال القتال مع المؤمنين :

أ) يواصلون القتال ضدهم حتى يردوهم عن الايمان ، ان استطاعوا : ((ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا)) .

ب) ولا يرعون علاقة ما ، من قرابة ، أو جوار ، أو ذمة ، أو عهد ، ان ظهروا على المؤمنين وظفروا بهم : ((كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة)) .

وفي حال السلم معهم :

أ) تصر قلوبهم على العداء ، وان عبرت أفواههم عما يرضي المؤمنين ، رياء ونفاقا : ((يرضونكم بأفواههم ، وتأبى قلوبهم ، وأكثرهم فاسقون)) .

ب) ويصدون عن سبيل الله ، ويمنعون بكل وسيلة أن يؤمن به أحد ، تحصيلا لمتع الحياة المادية : ((اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون)) .

ج) ويبيتون النية على الاعتداء ضد المؤمنين ، ويبادرون الى مباشرته : ((وأولئك هم المعتدون)) .

* وازاء هذا الموقف العدائي .. موقف المضمر للعدوان ، والمتربص به ، والمصر عليه يرى الاسلام أن يعطوا فرصة فان هم عدلوا عن العدوان وباشروا ما يدل على عدولهم عنه باتباعهم سبيل الله من : اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، فهم اخوان للمؤمنين في الدين : لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم : ((فان تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين)) .

وجعل القرآن اقامتهم للصلاة وايتاءهم للزكاة تعبيرا لعدولهم عن اتجاههم في المادية ورجوعهم الى سبيل الله ، لأن في الصلاة مناجاة لله وحده ، وفي الزكاة اخراجا للمال ، وليس تحصيلا له . وفي مناجاة الله وحده عدولا عن ((الشرك بالله)) وفي اخراج المال عدم الوقوع تحت تأثير الاتجاه المادي .

* وان هم استغلوا هذه الفرصة للعداء ضد الدين وضد المؤمنين فالامر بقتالهم أمر لازم لا مفر منه ، حتى ينتهي خطرهم بعودتهم الى الاسلام ، اذ المادية والشرك طارىء على دين الله : ((وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم (بعدم توبتهم وعودتهم الى سبيل الله) وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ، انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون .. الى أن يقول : قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم)) .

.. والقرآن هنا اذ يأمر بتوجيه القتال أولا الى أئمة الكفر فيهم فلكي يأخذ المؤمنون بالرؤوس المدبرة للعدوان فيهم وعندئذ يضعف شأن الباقين منهم ، مهما كثر عددهم . وهذا ((تكتيك)) فحسب ليسر القضاء عليهم . وليس المقصود منه ترك عداهم بدون قتال . فآية أخرى في سورة التوبة أيضا توضح مثل هذا الاجمال ، اذ تقول : ((وقاتلوا المشركين كافة ، كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين)) (١٤) .

وقتالهم المفروض على المؤمنين حتى ينتهي خطرهم (باعلان اسلامهم) ينص عليه قوله تعالى :

((واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل (والفتنة هي خطر المادية — أو خطر الشرك) ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا (بالاسلام) فان الله غفور رحيم .

((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (أي حتى لا يكون خطر الماديتهم باسلامهم) ويكون الدين لله (هذه الجملة تأكيد لما سبقتها) فان انتهوا (يكون الدين لله) فلا عدوان الا على الظالمين (أي فلا قتال من جانب المسلمين الا على من يرتكبون الظلم)))(١٥) .

* ثم من جهة أخرى ليس قتال الماديين الملحدين — من جانب المسلمين — موقوتا بأمر أولئكم المكيين منهم ، كما قد يفهم قصر القتال عليهم من مثل هذه الآية : ((ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول (أي من مكة) ، وهم بدءوكم أول مرة ، أتخشونهم (لقرابة بينكم وبينهم

او لكثرة عددهم) فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين » . اذ هذه الآية تشير الى حوادث الماديين الملحدين المكيين وقد جاءت بين آيات القتال للمشركين أو الماديين . فربما يظن أن مطاردة الماديين الى أن ينتهوا ويعودوا الى الاسلام مرتبطة بوقت الرسول عليه الصلاة والسلام فقط . واذن لا قتال ضدهم بعد فتح مكة ونصر المؤمنين عليهم بهذا الفتح المبين .

واذن كذلك يجب أن يظن أن الامر على هذا النحو مع أهل الكتاب ، حتى يعطوا الجزية . فهو موقوت كذلك بالنصر النهائى للمؤمنين عندما تم فتح مكة . فقد جاء أمر قتال الكافرين فى تنوعهم فى آية واحدة هى :

١ ــ « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله (وهم الماديون الملحدون ــ أو المشركون) » .

٢ ــ « ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(١٦) .

واذن أيضا الجهاد فى سبيل الله فريضة موقوتة انتهت بانتهاء فتح مكة وبعودة الاسلام الى مقر رسالته الاولى فيها . وقد كانت مكة مقر الرسالة الالهية على عهد ابراهيم عليه السلام .

وقد أشاع هذا الظن بعض الفرق الاسلامية المستحدثة فى ظل الحكم الاجنبى للمسلمين فى القرن التاسع عشر ــ وهى فرقة القديانية ــ رغبة فى توطيد الامن والاستقرار للاجنبى فى حكمه وفى استغلاله لموارد البلاد الاقتصادية والبشرية .

ولكن ماذا يصنع المؤمنون بالله عندما يتحرك ماديون جدد ضد مجتمعهم وضد ايمانهم بالله فى مستقبل قريب أو بعيد ، وقد شرح القرآن موقف الماديين الملحدين وجعل خطرهم وفتنتهم على الايمان بالله أكبر من قتالهم ضد المؤمنين به : « والفتنة أكبر من القتل » ؟

١ ــ أهناك ما يمنع وجود ماديين من جديد يلحدون بالله ويتحدون الله ورسوله ، يخرجون من بين الذين اتبعوا كتاب الله من قبل ؟

٢ ــ وأليس الماديون الملحدون ــ أو المشركون ــ هم الذين وقعوا تحت تأثير الاتجاه المادى فى الحياة ، وآثروا الدنيا على الآخرة فأنكروا وجود الله ، كما أنكروا اليوم الآخر ، كى يتمكنوا من أن يستمتعوا بالمتع المادية فى غيبة رقابة الضمير الانسانى ، والخشية من الله ، والسلوك الاخلاقى والقوانين الانسانية عامة ؟

٣ ــ وما معنى قول الله تعالى فى شأن هؤلاء الماديين : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ، ان استطاعوا » ، فيحكم القرآن ــ بصيغة المستقبل ــ على « الطبيعة المادية الملحدة » وعلى شأنها : متى وأين وجدت ؟

ان فتح مكة كان نصرا مبينا للايمان بالله فى ظل رسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكنه لم يكن نهاية التحديات للايمان بالله . اذ طالما الايمان بالله موجود كان معه التحدى من الكافرين به ــ فى قوة أو ضعف ، وفى قلة أو كثرة ــ وهنا القتال كصورة من صور الجهاد فى سبيل الله ضرورة دائمة ، وفريضة مستمرة وغير موقوتة .

ان الاسلام اذا كان دين الحياة الانسانية فانه لا يضمن فى ذات الوقت أن يؤمن به جميع البشر فى أى جيل وفى أى عهد . واذا لم يضمن الاسلام ايمان الجميع به فى أى جيل وفى أى وقت فان عدم تحديه ممن لا يؤمنون به غير مضمون كذلك فى مستقبل الانسانية .

واذا كان تحدى الماديين الملحدين لله ولرسوله فى مكة كان حلقة فى سلسلة تحديات مادية سبقته للرسالات الماضية على عهد الرسل السابقين كما تذكر الآية الكريمة : « ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين . كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ، ان الله قوى عزيز » (١٧) .. فسلسلة التحديات للايمان بالله مستمرة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبعد فتح مكة ــ وفتح مكة ما هو الا نصر واحد على المادية ــ وليس أخيرا وان كان نصرا مبينا ــ فى سلسلة انتصارات عديدة وعد بها الله المؤمنين . والمؤمنون لا ينتهون الا بانتهاء الحياة الانسانية فى هذه الدنيا .

ثم ان تعبير الآية فيما تقول : ((ان الذين يحادون الله ورسوله)) بصيغة المستقبل تفيد : أن التحدى لله ولرسوله لم يئته بعد . وانما هو مع الايمان فى أى وقت . ولهذا فالقول بتوقيت فريضة الجهاد بعيد عن الروح الاسلامية والايمان بالاسلام ..

* ولعنف المادية الالحادية — أو لعنف الشرك بالله — على الايمان والمؤمنين بالله ولخطورتها على ما يتصل بالاسلام لا يستقيم فى تصور الاسلام : أن يوجد مؤمن بالله على صلة مودة بملحد مادى : ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو اخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه))(١٨) . ومعنى ذلك أنه : اذا وجد من يتودد من بين المؤمنين الى الماديين الملحدين فهو ليس بمؤمن على الحقيقة وخارج عن الايمان كلية .

ووضع المؤمنين مع هؤلاء الماديين الملحدين — أو المشركين — هو اذن اما : القتال .. الى الاسلام ، واما على الاقل عدم التودد والركون اليهم فى ولاء أو شبه ولاء ، ان كانوا هم معهم على عهد :

وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر :

١ — ((ان الله برئ من المشركين ورسوله .

٢ — ((فان تبتم (أى ورجعتم الى الاسلام) فهو خير لكم ،

٣ — ((وان توليتم (أى أعرضتم واستمررتم فى غيكم) فاعلموا : أنكم غير معجزى الله (أى ستنالكم الهزيمة حتما) وبشر الذين كفروا بعذاب أليم (أى وبالاضافة الى الهزيمة فى الدنيا سيكون العذاب لهم فى الآخرة) .

٤ — ((الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا . فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين))(١٩) .

.. فهذا النداء من الله ورسوله يوم الحج الاكبر — يوم الوقوف بعرفات وتجمع المسلمين فى وقت واحد ، وعلى مكان واحد ، وفى دعاء واحد الى المولى جل شأنه — بالتبرؤ من المشركين ، وهم الماديون الملحدون، يعتبر وثيقة ايمانية يلتزم بها المؤمنون فى كل وقت فى غير شبهة وغير شك . وما جاء فيها يحدد الموقف النهائى للمؤمنين . فالاسلام مطلوب منهم أولا : ((فان تبتم فهو خير لكم)) . فان كان منهم اباء فالقتال حتى النصر عليهم : ((وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله)) . وفقط يؤمن منهم من كان له عهد عند المؤمنين فترة العهد ، على شرط أنهم لا ينقضونه من جانبهم ولا يستعدون عليهم أحدا .. ((الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم)) . اذ أن الوفاء بالعهود مظهر من المظاهر الانسانية الكريمة التى تتطلب ضبط النفس وعدم الانسياق وراء الانفعالات الهوجاء : ((ان الله يحب المتقين)) . والمتقون هم أولياء الله الذين تحرر سلوكهم من الهوى والشهوة .

٤ — ليس فى القتال معجزة :

ومع أن المؤمنين أصحاب ايمان بالله ، ومع أنهم ان قاتلوا أعداءهم من الكافرين انما يقاتلونهم فى سبيل الله ، ومع أن الكافرين غير معجزين لله فى النصر عليهم .. الا أن الله سبحانه وتعالى جعل للكون وللحياة سننا لا تتخلف عنها . والقتال صورة من صور الحياة . فهو خاضع لسننه الخاص . وسننه الخاص : أن الذى يرتفع فى قتاله مع عدوه عن مغانم الدنيا ويخلص لله ولاعلاء كلمته هو الذى ينتصر أخيرا . فهو مجال اختبار للايمان بالله ، كما هو مجال تدريب على التضحية بالنفس . وبمقدار ما يخلص فيه المؤمن لله بقدر ما يهون عليه أن يضحى بذاته فى سبيله : ((ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ، والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم))(٢٠) . فالآية تعبر عن ثلاثة مبادئ :

١ — المبدأ الاول : أن الله قادر على أن ينتصر من أعداء الايمان فور أن يشتبكوا فى قتال مع المؤمنين .

٢ ــ المبدأ الثانى : أن الله لا يريد أن ينتصر عليهم بادىء ذى بدء ، حتى يتضح عيانا ما عليه المؤمنون من ايمان فى قوته وفى ضعفه ، فى لقائهم مع الاعداء .

٣ ــ والمبدأ الثالث : أن من يقتل من المؤمنين فى ميدان القتال له أجره ، ولن يفوته أبدا .

واذا كان القتال مجال اختبار للايمان بالله فى قوته وفى ضعفه فالنصر أو الهزيمة احدى نتائجه . وكما يوصل الى النصر اذا كان الايمان قويا ، فانه يوصل الى الهزيمة ان كان الايمان ضعيفا .

وقوة الايمان فى السيطرة على هوى النفس والترفع عن المتع والاسلاب والغنائم .

وضعف الايمان فى النظر الى تلك المتع والاسلاب والمغنائم واستهدافها فى القتال ، اما خالصة واما مع الاسهام فى اعلاء كلمة الله .

وهنا ليست فى القتال معجزة . وانما النصر فيه ــ كالهزيمة فيه ــ مرتبط بمستوى الايمان . وتوضح الآيات التالية قانون القتال ، وهو قانون لا يتغير لأنه يصور ارادة الله ، فيما يقول القرآن الكريم :

١ ــ « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا : كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس ، وهدى وموعظة للمتقين .

٢ ــ « ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون ، ان كنتم مؤمنين .

٣ ــ « ان يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، .

٤ ــ « وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين .

٥ ــ « وليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين .

٦ ــ « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون . .

٧ ــ « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين .

٨ ــ « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين .

٩ ــ « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم ، الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين »(٢١) .

.. فارادة الله فى واقعة « أحد » قد تجلت فى هزيمة المؤمنين . لأنهم لم يثبتوا فى أماكنهم التى وضعوا فيها فى مواجهة الاعداء ، واختلت صفوفهم عندما لاحت لهم بارقة نصر على أعدائهم من الماديين الملحدين المكيين ، قبل أن يتم لهم هذا النصر نهائيا . وكان انصرافهم للمنافسة فى الحصول على الغنائم المادية ، وتركوا الرسول عليه الصلاة والسلام مع قلة من المؤمنين معه ، وكانت الضربة الاخيرة لهؤلاء الماديين السبب فى نصرهم على المؤمنين .

وقد جاءت هزيمة المؤمنين فى « أحد » بعد نصرهم فى « بدر » . وبذا بدأ السبب واضحا لهم فى النصر والهزيمة . ولولا هزيمة « أحد » لربما اعتقد بعض المؤمنين أنه يكفى للنصر على عدو الايمان ــ وبالأخص ذلك العدو الشرس ، وهو المشرك أو المادى ــ أن ينتسب المؤمنون الى الله ، دون أن يحققوا ما يطلبه الايمان من الاخلاص لله ، والصدق فى سبيله ، والصبر على ما يلحق المؤمن من مشقة وايذاء . أو لربما اعتقد بعضهم كذلك أن الايمان مصدر رزق دنيوى وأنه « سحر » يستتبع نتائجه حتما ، ولو كان ضعيفا ، ولو كان وسيلة لوقاية أو وسيلة أخرى لتحصيل المغانم والمتع .

وهنا جاءت الآيات التى ذكرت قبل ، توضح ما يجب أن يستخلص من الهزيمة ، طالما « القتال » من طبيعته أن يوصل : اما الى نصر ، واما الى هزيمة . وما يجب أن يستخلص من الهزيمة ليس هو :

الضعف والتفكك ،

ولا هو الحزن والياس ،

وانما يجب أن تقود الهزيمة الى « القوة » والى « النصر » فى قتال لاحق اذا ما أبعدت عناصر الضعف فيه . وهى عناصر الرغبة فى المتع المادية والاسباب الشخصية . فالقتال فى نظر المؤمن يجب أن يمتحض لله . فليس هو لشخص ، ولا وسيلة لدنيا تحصل . وما يستخلص من الهزيمة حسبما تذكر هذه الآيات هو :

أ) أن امارة المؤمن أن لا يضعف ولا يحزن ، « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » .

ب) وأن الهزيمة اذ تلحق المؤمنين اليوم فقد لحقت أعداءهم بالامس . ومبدأ الحياة : تبادل النصر والهزيمة ، والانتهاء بالنصر للمؤمنين الصادقين ، « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

جـ) وعن طريق الهزيمة يميز الله المؤمنين حقا وصدقا ، من أولئك الذين يتسترون وراء اعلان الايمان ، وهم المنافقون ، « وليمحص الله الذين آمنوا .. »

د) ولكى يشهد المؤمنون الصادقون — تبعا لذلك — المنافقين بينهم شهود رؤية وعيان .

هـ) وهى الجانب فى تجربة القتال ، يخرج منه المؤمن مصقولا وثابتا على ايمانه ، وفى صقله وثباته على الايمان محق لأعدائه قطعا .

و) ولولاها لما اتضح المجاهد صدقا ، والصابر حقا فى القتال ، « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ » .

ز) والهزيمة لا ينبغى أن يكون سببها شخص ، ولو كان شخص الرسول عليه الصلاة والسلام . اذ القتال فى سبيل الله هو للمبادىء التى فوق الاشخاص . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ » .

ح) كما لا ينبغى أن تكون — أى الهزيمة — مصدر أسف على قتل من يقتل ، أو على فوات مغنم . فالموت مرهون باذن الله وقضائه وحده ، والدنيا لا يحرم منها من يطلبها مباشرة ، ولكن جزاء الآخرة — وهو الأهم — للمجاهد الصادق الصابر : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين » .

ط) ولم يكن الرسول — عليه الصلاة والسلام — ولا المؤمنون معه بدعا فى هزيمة لحقتهم . بل وقع ذلك مع الرسل السابقين . وكانت الهزيمة مصدر اخلاص ومناجاة لله ، ومصدر قوة فى تثبيت الأقدام وتحقيق النصر ضد الاعداء : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

ى) وأوصلتهم الهزيمة الى نصر فيما بعد : « فآتاهم الله ثواب الدنيا (وهو النصر على الاعداء) ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » .

واذن من شأن الهزيمة أن : توقف على الاخطاء التى ارتكبت فى القتال ، فى الوقت الذى ترشد فيه الى قانون الحياة ، وهو : أن النصر ليس وقفا على فريق بالذات . وانما هو تداول بين الفرقاء الذين يشتركون فى القتال . وهو من حق القوى فى ايمانه أولا ، بينهم . واذن قانون الحياة بين الناس لا يعرف المعجزة .

والهزيمة اذن فى ذاتها تنطوى على « قوة » اذا عرف استخلاصها ثم استخدامها .

٥ — النصر النهائى للايمان بالله :

* ومع أن القتال ابتلاء واختبار ، ومع أن النصر يخضع — كما تخضع الهزيمة فيه — الى قانون لا يتخلف بمثل ارادة الله ، فان هناك أيضا قانون آخر للحياة يمثل ارادة الله كذلك . وهو قانون النصر النهائى . وتصوره الآية القرآنية فيما يقول الله جل شأنه : « ذلك بأن الله هو

الحق ، وان ما يدعون من دونه هو الباطل ، وان الله هو العلى الكبير » (٢٢) . فالله هو العلى الكبير وانه الحق فلا بد ان ينتصر . وما عدا الله هو الباطل ، والباطل ضعيف فلا بد ان ينهزم .
والنتيجة الضرورية لهذا القانون هو ان الذين يقاتلون مخلصين وصادقين فى سبيل الله لا بد ان ينتصروا على الآخرين فى قتالهم معهم ، وهم الذين يقاتلون فى سبيل الباطل او الطاغوت .
وتصرح آية اخرى بهذه النتيجة اللازمة فيما تذكره : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان (وهم أولياء الطاغوت والباطل ، أو هم الماديون الملحدون أو المشركون) ان كيد الشيطان كان ضعيفا »(٢٣) .
وضعف الشيطان ، او ضعف أوليائه — وهم المشركون أو الماديون الملحدون — هو فى اتباع الهوى والشهوة . ومن يتبع هواه وشهوته يصور خط سيره فى الحياة تعرجات تنبىء عن تقلبه فى سبيل اتباع الهوى وتحقيق الشهوة . والمتقلب ليس له مبدأ يتمسك به . وهو اذن لا يقاتل الا مكرها . والذى يقاتل مكرها يفر من ميدان القتال فور أن يجد مخلصا لنفسه . وهو من اجل ذلك ضعيف لا يثبت . ومن لا يثبت تلحقه الهزيمة حتما .
اما « الحق » جل جلاله فهو ثابت لا يتغير . واما الذين يقاتلون فى سبيله فهم يقاتلون عن اختيار ، ويرون فى القتال قربى الى الله . لا يصرفهم عنه متاع الدنيا ولا شهوة النفس . ولا يسيطر عليهم اثناء القتال هوى الذات . فقد ارتضوا الآخرة بدل الدنيا وباعوا انفسهم لله وحده : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن قاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »(٢٤) . « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة ، والانجيل ، والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »(٢٥) .
فهم اقوياء بايمانهم ، وثابتون فى القتال من أجل هذا الايمان . ولذا يكون النصر النهائى لهم . وان هزموا فى موقعة فليتخذوا من الهزيمة فيها قوة فى موقعة اخرى ، وليبعدوا عن انفسهم عناصر الضعف فى اصرار التى اكتشفوها فى هزيمتهم .
والقانون الذى يربط النصر النهائى فى القتال بالايمان بـ « الحق » واتباعه ، ويربط الهزيمة النهائية باتباع الباطل وماديات الحياة وحدها هو قانون طبيعى تتجلى فيه الارادة الالهية كما تتجلى فى خصائص الطبيعة البشرية التى تحكم الانسان والمجتمعات الانسانية .
* وفتح مكة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كان نصرا نهائيا له — ونصرا مبينا — على اعدائه . وبالاخص على اولئكم الماديين الملحدين ، وهم المشركون المكيون .. كان نصرا له أخيرا بعد تردد له بين نصر مرة وهزيمة مرة أخرى فى اشتباكاته مع اعداء الايمان . ولم تقده الهزيمة فى « نهاية احد » وفى البداية فى « حنين » الا الى القوة فالنصر . وفى هذا النصر النهائى كقانون للحياة يقول الله تعالى :
« ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ، ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا .
« سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .
« وهو الذى كف ايديهم عنكم ، وايديكم عنهم ببطن مكة ، من بعد ان اظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيرا » (٢٦) .
.. ومنطوق هذا القانون — كما تصوره الآية الكريمة — هو :
اولا : ان اعداء الايمان بالله ، وبالاخص الماديون الملحدون منهم ، اذا باشروا القتال مع المؤمنين لا بد ان يفروا ويولوا الادبار ، وليس لهم معين ونصير بعد ذلك ،
ثانيا : ان ذلك يتجلى فى احداث التاريخ الماضية كلها ، وتجلى ايضا فى فتح مكة . واذن لا شبهة فى التلازم فى الوقوع بين قضاياه :
يوجد الايمان فيوجد النصر .
ويوجد الالحاد فتوجد الهزيمة .

ومفهوم هذا القانون انه اذا وجد المنتسبون للايمان ، دون أن يوجد الايمان حقا وصدقا فى قلوبهم ، فلا يوجد النصر لهم تبعا لانتسابهم الى الايمان وحده . فالهزيمة التى انتهت بها « احد » وابتدات بها « حنين » تبعت انتساب بعض المؤمنين الى الايمان ، من غير ان يتمكن الايمان بالله فى نفوسهم . وهذا المفهوم صادق كقانون فى الماضى وفى حاضر المؤمنين ومستقبلهم .

ومثله قانون آخر يعبر عنه قول الله تعالى :

« والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ،

« الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير »(٢٧) .

.. فالذين كفروا بالله هم سواء فى عدائهم للمؤمنين ، وهم أولياء بعضهم بعضا ، مهما بدا بينهم من خلاف . فاهل الكتاب الذين لا يدينون دين الحق هم أولياء لاولئكم الماديين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورســــــوله ، وهم جميعا اعداء المؤمنين .

فمن يفرق من المؤمنين بين النوعين ، ويعلن الولاء لفريق بعد أن يظن الخـير به ، ويبقى على الحيطة والحذر فى مواجهة الفريق الآخر ملتزما موقف الاسلام من اعداء الايمان ، فانه بولائه يجلب الخطر على المؤمنين جميعا وعلى الايمان بالله ويكون سببا فى الفساد والعبث الذى يلحق مجتمعات المؤمنين : « ان لا تفعلوه (اى ان لم تعتقدوا فى ولاء الكافرين بعضهم لبعض وتقاربهم فيما بينهم واتفاقهم جميعا ضد المؤمنين ، وان لم تتخذوا منهم موقفا موحدا) هو موقف الحيطة والحذر ، مهما بدا من بعضهم من تودد — فهم « يرضــــونكم بافواههم وتابى قلوبهم ، واكثرهم فاسقون » — الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

والمؤمنون الذين هم فى ولاء مع اى من النوعين لا يحق لهم ان يلوموا الاسلام وانتسابهم اليه اذا ما لحقهم الاذى والضرر بسبب هذا الولاء . وانما يجب ان يعودوا باللائمة على انفســــهم بمخالفتهم ارادة الله التى تتجلى فى ذلك القانون الذى يحـكم مجتمع المؤمنين فى مواجهة العداء الدفين للايمان بالله والمؤمنين به .

٦ — اجر المقاتل عند الله :

اما اجر المقاتل فى سبيل الله عند الله فهو اجر متميز . والمجاهد فى ســــبيل الله عامة بنفسه أو ماله ، له مستوى يرتفع به عن مستوى المؤمنين الآخرين الذين قعدوا عن الجهاد ، وعن مستوى أولئكم الذين يباشرون من اعمال الخير ما لا يرقى الى الجهاد بالنفس . يقول الله تعالى :

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر ، والمجاهدون فى سبيل الله ، باموالهم وانفسهم .

« فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ،

« وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما »(٢٨) .

ويقول ايضا :

« أجعلتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ؟

« لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين .

« الذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عـنـد الله وأولئك هم الفائزون .

« يبشرهم ربهم برحمة منه ، ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها ابدا ، ان الله عنده اجر عظيم »(٢٩) .

.. وتفضيل الله للمقاتلين فى سبيل الله تفضــــيل واضح ، ودرجتهم عنده هى درجة المبشرين برحمته ، ورضوانه ، وجناته ، وبالنعيم الخالد الذى لا ينتهى . والمقاتل فى سبيل الله ان قتل أو مات فى الجهاد لا يعد من الاموات الذين انتهى امرهم ، بل من الاحيــاء الذين تتوفر

لهم صفات الحياة المستمرة : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات ، بل احياء ولكن لا تشعرون » (٣٠) . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون »(٣١) .

ولا شك ان الذى يضحى بنفسه — قبل الذى يضحى بماله — فى سبيل الايمان بالله بلغ مستواه فى قوة الايمان اعلى درجة ، بحيث اصبح لا يرى ذاته فى الحياة شيئا مستقلا فى الوجود يستحق أن يحافظ عليه من اجل وجوده الخاص . انه بالتضحية بذاته قد الغى انانيته وتجرد من خصائصها . فهو لا يؤثر الايمان بالله على نفسه فقط . وانما « باع » نفسه فعلا لله كلية . والموجود امامه الآن : الله جل شانه والايمان به ، لا غير .

٧ — الجهاد اليوم فى سبيل الله :

أ — من هم اليوم اعداء الايمان بالله الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ؟

٢ — ومن هم كذلك الذين لا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب ؟

وكيف أن هؤلاء واولئكم بعضهم اولياء بعض ؟

كان المشركون بالامس على عهد نزول القرآن هم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . وكان بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يدينون دين الحق . وقد طلب القرآن الكريم من المؤمنين — الجهاد فى سبيل الله — ان يقاتلوا الفريق الاول حتى يسلم اهله ، وان يقاتلوا الفريق الثانى حتى يخضع :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(٣٢) .

وقد تجلت صلة المشركين بالكتابيين الذين لا يدينون الحق ، وتجلى ولاء بعضهم لبعض فى المؤامرات العديدة وانكشف واضحا فى : واقعة « الاحزاب » ضد المؤمنين . ومن هنا جاء التحذير ، بعد التقرير ، فى قول الله تعالى : « والذين كفروا بعضهم اولياء بعض . الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير »(٣٣) .

* ان الذى لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر هو مادى . لا يؤمن بالله لانه لا يراه ولا يحسه . ولا يؤمن بالآخرة لانها فى عالم الغيب وليست فى عالم الشهادة . والمادى هو الذى يؤمن بالمادة فقط . والمادة تتشكل فى صور محسوسة وملموسة . فيدركها البصر أو السمع او اللمس أو اية حاسة اخرى من الحواس الخمس .

والمشرك فيما مضى هو مادى . ولانه مادى كان لا يحرم ما حرم الله ورسوله . يحل لنفسه كل ما هو فى وجوده المادى المشاهد . لا يعرف حقا لغيره فيما هو موجود مادى مشاهد ، وبالتالى لا يعرف له حرمة خاصة ، لا ينبغى أن تنتهك . وانما كل ما يقع عليه حسه — ولو كان لغيره — فهو مباح له : اخذه ، والاستمتاع به ، ولو على حساب شقاء الآخرين أو حرماتهم .

لا يعرف الفواحش والمنكرات . ولا الاثم ولا البغى والظلم .

ولا يعرف العدوان والاعتداء .

ولذا لا يحرم على نفسه ما حرم الله ورسوله ، حفاظا على حقوق الآخرين فى الوجود المشترك معه .

والمشرك الذى هو مادى . انانى . اذ الانانى هو من يقر بالذات دون أن يعترف بالآخرين معه . هو الذى ينسى حقوق الآخرين فى سبيل متعة نفسه . هو الذى يجعل الذات مركز الوجود ، يدور هذا الوجود حولها ولصالح الذات وحدها . وهو — اى الانانى — يدور حول نفسه ليقتنص منافع الوجود المادى فيما يحيط به . فهو يتجه حسبما توجد منفعة مادية ، وقبلته فى العبادة ليست قبلة واحدة . هو كعباد الشمس يتجه الى جميع الاتجاهات بطريق الجانبية .

ومشرك الامس — كما جاء فى تعبير القرآن — هو اليوم صاحب الاتجاه الوجودى ، او

الانتهازى ، او المادى ، او الحسى » او النفعى فى عرف التفكير الفلسفى المعاصر . ويجمع هذه الاوصاف كلها « مذهب المادية » . وبالاخص : المادية التاريخية .

والمــادية التاريخية اذن تنكر وجود الله ، وتنكر اليــوم الآخر » ولا تحرم ما حرم الله ورسوله . تتحدى وجود الله ، لأن الله لا يرى ولا يشاهد . وتتحدى اليوم الآخر وتجعله خداعا وتخديرا ، وتضع بدلا منه ما يأتى به الغد على هــذه الارض من نعم مادية لا تحصى .. وتنكر صراط الدين فى السلوك والمعاملة ، كما تنكر مقاييس الاخلاق فى تحديد العلاقات بين الناس » وترى الانطلاق فى سلوك الجنس . لانه المجال الحر الوحيد الباقى ، من بين مجالات الحيــاة الاخرى .

وفلسفة المادية التاريخية وجدت لتتحدى الدين . والذين يقيمون مجتمعاتهم عليها يقــاتلون المؤمنين حتى يردوهم عن دين الله ان استطاعوا . وما قاله القرآن فى مشركى عهده : فى تحديد صــفاتهم ، وفى موقفهم من المؤمنين بالله — كما ذكر من قبل — ينطبق تماما على اولئكم الذين يتبنون الفلسفة المادية التاريخية فى توجيه شعوبهم ومجتمعاتهم .

* اما الذين لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الــكتاب فهم فى الدرجة الاولى الذين يبعدون الدين عن التوجيه والتربية . هم الذين يأخذون اســم « العلمانيين » منهم ، هم الذين ينكرون قيمة الدين ، وان لم يعلنوا انكار الله واليوم الآخر . هم الذين يحددون للدين منطقته ولفلسفة الحياة منطقتها .

وهؤلاء العلمانيون أولياء لاولئكم اصحاب الفلسفة المادية التاريخية . لانهم جميعا ينتهون الى غاية واحدة » وهى اضعاف الدين او ابعاده عن مجال التاثير على حياة الانسان .. هى اضعاف الايمان بالله » او الغاؤه من الوجود الانسانى .

وولاء هؤلاء لاولئكم ، بعضهم لبعض » تدفع اليه روح واحدة ، وتخطط له عقلية موحدة فى العصر الذى تعيش فيه الانسانية اليوم . وهى روح « العالمية » والعقلية اليهودية العالمية التى تتمثل مرة فى الفلسفة المادية التاريخية ، او الراديكالية الماركسية ، واخرى فى الراســمالية الليبرالية » وثالثة فى الماسونية او فى « البنائين الاحرار » .

وتستهدف هذه العالمية :

تحقيق « التعايش السلمى » للاقليات اليهودية فى شعوب العالم .

كما تستهدف اعادة مملكة الله على أرض الميعاد ، أو اقامة اسرائيل على « صهيون » كرمز للوحدة التاريخية للشعب اليهودى وفى الوقت نفسه كوطن يلجأ اليه من يشعر بالذلة او الاضطهاد فى اقلية من اقلياتهم العديدة .

ولا يمكن أن يتحقق التعايش السلمى للاقليات اليهودية فى شعوب العالم اليوم ، كما لا يمكن أن يتوطد أمن اسرائيل على صهيون — فضلا عن ازدهارها — الا فى غفلة من الايمان المسيحى فى الشعوب المسيحية ، والايمان بالاسلام فى الشعوب الاسلامية » وبالاخص فى الشــعوب التى تحيط بصهيون . ومن هنا جاء معول « العالمية » اليهودية : — ان فى الراديكالية » او فى النظام العلمانى » او فى الحركة الماسونية — ضد الايمان بالله فى كل طبقة من طبقات الشعب :

١ — فالماسونية تتجه بمعولها للمرؤوس والرؤساء الذين يوجهون السياسة والاقتصاد فى الشعوب .

٢ — والعلمانية تسدد ما تملك من معول ضد تقويض القيم الدينية بين المثقفين والشباب فى دور التعليم المختلفة وفى وسائل الاعلام المتنوعة .

٣ — والراديكالية تسدد وسائلها التخريبية المختلفة لهدم الدين اســاسا وعلى الاخص بين العمال والفلاحين فى المجتمعات .

* وجهاد اليوم فى سبيل الله أن اتجه ضد الماديين الملحدين فى الصور العديدة لاتجــاه المادية — وبالاخص ضد الماركسية الالحادية — فانه يشــبه ما اتجه اليه بالامس ضد من كانوا يسمون بالمشركين .

وان اتجه الى العلمانيين من اهل الكتاب — والعلمانيون هم من المسيحيين وعدهم كاهل كتاب — فانه كذلك يشبه ما اتجه اليه بالامس ضد : « الذين لا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب » .

واذا اتجه الى الروح العالمية او الى العقلية العالمية اليهودية — والصهيونية جانب منها — فانه يكون قد اتجه الى ذلك المصدر الذى يعقد الولاء والصداقة والترابط بين الماديين الملحدين ، والعلمانيين من اهل الكتاب لتحقيق الهدف المشترك ، وهو : اضعاف الايمان بالله ، ومحاولة رد المؤمنين عن دينهم ان استطاع .

واذا لم يتيقظ المؤمنون بالله .. اذا لم يتيقظ المسلمون اليوم الى هذا المصدر الذى يعقد الولاء بين الاتجاهين فى عداء الايمان بالله لتحقيق الهدف المشترك بينهما ، فالويل لهم آنئذ من خطره الداهم وفساده الكبير : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

* وجهاد المسلمين اليوم ضد الروح العالمية او ضد العقلية العالمية اليهودية يكفى — مع ضعف المسلمين فى حاضرهم — أن يكون فى المرحلة الاولى جهاد بيقظة العقل والقلب ، وبالدعوة باللسان ، حتى لا يقع بعضهم فى صداقة أو مودة لاصحاب أحد هذين الاتجاهين فتحل الفتنة فى ارض المسلمين ويعظم الفساد فيها .

ان الصهيونية العالمية هى جانب [illegible] من العقلية العالمية اليهودية . هى الجانب الذى يتبنى علنا دولة اسرائيل فى اقامتها وبقائها وازدهارها .

ولكن الذى لا يعلن عن نفسه من العقلية العالمية اليهودية المحركة فى الواقع — وهو الاخطر والاهم — هو :

الجانب الفكرى منها وراء دفع الراديكالية الماركسية .

والجانب الاخر الاقتصادى وراء دفع العلمانية فى النظم الراسمالية .

وعدم الولاء لاى من الجانبين الراديكالى ، والراسمالى هو الصورة التى يجب ان يبرز فيها الجهاد اليوم فى سبيل الله .

---

(١) البقرة ٢٥١ .
(٢) الحج ٤٠ .
(٣) البقرة ٢١٦ .
(٤) النساء ٧٦ .
(٥) النساء ٧٤ .
(٦) الحج ٣٨ — ٤١ .
(٧) الحج ٣٩ .
(٨) البقرة ١٩٠ .
(٩) الانفال ٦١ ، ٦٢ .
(١٠) البقرة ١٩٢ .
(١١) التوبة ٢٩ .
(١٢) البقرة ٢١٧ .
(١٣) التوبة ٨ — ١٦ .
(١٤) التوبة ٣٦ .
(١٥) البقرة ١٩٠ — ١٩٣ .
(١٦) التوبة ٢٩ .
(١٧) المجادلة ٢٠ — ٢١ .
(١٨) المجادلة ٢٢ .
(١٩) التوبة ٣ ، ٤ .
(٢٠) محمد ٤ .
(٢١) آل عمران ١٣٧ — ١٤٨ .
(٢٢) الحج ٦٢ .
(٢٣) النساء ٧٦ .
(٢٤) النساء ٧٤ .
(٢٥) التوبة ١١١ .
(٢٦) الفتح ٢٢ — ٢٤ .
(٢٧) الانفال ٧٣ .
(٢٨) النساء ٩٥ .
(٢٩) التوبة ١٩ — ٢٢ .
(٣٠) البقرة ١٥٤ .
(٣١) آل عمران ١٦٩ .
(٣٢) التوبة ٢٩ .
(٣٣) الانفال ٧٣ .

من هدي السنة

هذا بصائر من ربكم

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

روى البخاري بسنده المتصل عن ابى سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » .

حار الناس (١) فيما هو واقع في المجتمعات المعاصرة على اختلاف وجودها ، فقد انتشر بين الناشئة مجافاة الأديان ، والانغماس في المادية البحتة ، ووصل البعض الى اطراح فكرة (الألوهية) وانبرى كثيرون من قادة الفكر يبينون خطل هذا الاتجاه ، ويبرهنون على انه مجاف للانسانية الفاضلة ، واتخذ الراغبون في السلامة العزلة مسلكا ، وتلمسوا لمسلكهم تعليلا فهموه من بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

والاسلام الصراح وان حذر من الفتن والانغماس فيها ، فقد دعا بقوة الى الايمان بالله الواحد وأوضح بالبراهين القاطعة وجوده ووحدانيته ، وانه لن يستقيم أمر الحياة بغير هذا الايمان ، فالعقيدة الاسلامية قوة دافعة للاجادة والافتنان في كل شيء ، حاثة على الابداع والاختراع والمضي قدما بالانسانية الى ما يمكن لها في الوجود المثالي الكامل ، لارتكازها على الاعتصام بالله القوي العليم الخبير ، ولنستعرض الركن الأول في اسسها القويمة وهو الايمان بالله تعالى :

١ ــ مفهوم الأله في الاسلام :

الله ــ هو الخالق المعبود بحق ، المتصف بصفات الكمال ، المنزه عن كل نقص ، وعلى هذا فمفهوم الأله في الاسلام ــ أنه هو القوة المبدعة للأشياء والأسباب ، المنشئة دون مثال سبق للسنن والقوانين الثابتة البادية في مظاهر العالم .

« والعالم هو الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك ، ولا يجمع فاعل بالواو والنون غيره ، وتعالمه الجميع علموه » (٢) « ومن اطرف أسرار اللغة العربية أن الكون الذى نشاهده هو وجملة نظام الخلق ، ما نراه وما لا نراه يسمى (عالم) التي معناها العلامة الكبيرة » (٣) ولا يطلق على الاله فى الاسلام أنه سبب أو علة ، وانما هو خالق الأسباب والعلل المتصف بالقدرة والعلم ، فله سبحانه وجود خاص متكامل ، فلا تدرك ذاته حسيا بحال من الأحوال ، وانما تعرف بآثارها ، وبمظاهر القدرة ، فلله المثل الأعلى (ليس كمثله شيء) .. « الله لا اله الا هو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

٢ — ادلة وجوده تعالى :

منذ اقدم العصور بحث الانسان عن القوة المؤثرة فى الكون ايجادا واعداما ، وجمعا وتفريقا والتى يستند اليها وجوده وتدبيره ، ويصدر عنها ما يخرج عن طوقه وقدرته ، وما يوقفه حائرا مبهور الأنفاس أمام العظمة البادية فى هذا التنسيق البديع لحركة الأفلاك علويها وسفليها وتنوع الموجودات من سماء وأرض ، وبحار وأنهار ، وصحارى وجبال وجماد وحيوان ونبات وما أمدت به من حرارة وبرودة ، وما منحت من ليل ونهار وفصول مختلفة وغير ذلك مما يجل عن الحصر ، وكل شيء بمقدار وميزان لو أختل قليلا لهلك العالم وباد .

واتخذ البحث طرقا واشكالا مختلفة ، وجاء فى كل عصر فلاسفة وعلماء سلكوا طريقا مماثلا أو مغايرا لمن سبقوهم وقديما حاور شيخ فلاسفة اليونان (سقراط) منذ أربعة وعشرين قرنا منكرا للاله محاورة لا نرى بأسا من ايرادها ، انتهت بايمان محاوره (٤) .

سقراط أيوجد رجال تعجب بمهارتهم وجمال صنائعهم ؟

اريستوديم نعم ، أعجب فى الشعر القصصى بهومير ، وفى التصوير بزوكسيس ، وفى صناعة التماثيل ببوليكتيت .

سقراط أي الصناع أولى بالأعجاب الذى يخلق صورا بلا عقل ولا حراك أم الذى يبدع كائنات ذات عقل وحياة .

اريستوديم طبعا الذى يبدع الكائنات المتمتعة بالعقل والحياة اذا لم تكن تلك من نتائج الاتفاق .

سقراط وهل يمكن أن يكون من الاتفاق أن تعطى الاعضاء لمقاصد وغايات خاصة ؟ عين ترى ، وأذن تسمع وأنف يشم ولسان يتذوق ، والعين تحاط بحراسة لحساسيتها وضعفها فتقفل عند النوم أو عند الحاجة ، وتحرس بالرموش والحواجب ، ويجعل للأذن جهاز خارجي يجمع لها الصوت ، هل يمكن أن يكون ذلك من نتائج الاتفاق ؟ والميل المودع فى النفوس للتناسل ، والحنان فى قلوب الأمهات بالنسبة للأولاد مع ندرة أن ينفع ولد أباه أو أمه ، والطفل الذى يلهم الرضاعة بمجرد ولادته هل يمكن أن يكون ذلك كله من نتائج الاتفاق ؟ .

اريستوديم لا أن ذلك يدل على الابداع ، وعلى أن الخالق عظيم يحب الكائن الحى .. ولكن لماذا لا نرى الخالق ؟

سقراط وانت أيضا لا ترى روحك التى تتسلط على أعضائك ، فهل معنى هذا أن تقول ان أفعالك صادرة عن اتفاق وبدون ادراك ؟ وانتهت المحادثة بايمان ارستوديم بالاله ..

ومن بعد سقراط برهن تلميذه (أفلاطون) على وجود اله .

« وكان يرى كما يدل كلامه فى محاورة طيماوس أن الاله واحد بدليل أن العالم واحد وأنه منظم » (٥) .

ثم تتابعت الدراسات الفلسفية (٦) واختلفت طرائقها فى تصوير فكرة الألوهية كما تشعبت أدلة كل طائفة على ما ذهبت اليه وتنوعت حتى جاء عصرنا الذى وجد فيه من يحاول انكار وجود اله ، وأن لم يتم لهم برهان ولم يستقيم دليل (٧) ولهؤلاء يقال : ما رأيكم فى قول الله تعالى (**تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**) فهل باستطاعتكم منع مقدر له الوجود أن يوجد حيوانا كان أو انسانا أو نباتا أو جمادا أو كوكبا علويا أو سفليا ، وهل فى مقدوركم ايقاف الفناء والتخلص من عوامله ودفعه عن أنفسكم فضلا عن غيركم ، وما موقفكم حيال قوله تعالى **« كل نفس ذائقة الموت »** ؟ وسنترك لكم المجال لتحاولوا تبرير انحرافكم عن الجادة ان كنتم صادقين وما نظنكم فاعلين (٨) .

وقد نجمت فى الاسلام طوائف المتكلمين الذين خلطوا البحوث العقائدية بما عرفوا فى فلسفة اليونان التى ذاعت وانتشرت فى بدء ظهور الدولة العباسية ، وآتت أكلها فى عصر الخليفة المأمون ومن بعده ، واتخذوا المنطق الأرسطى وسيلة البرهان ، وأشهر مدارسهم الأشعرية والماتريدية والمعتزلة وأبرز أدلتهم العقلية على وجود الله هو اثبات حدوث العالم لأنه جواهر وأغراض متى ثبت أن العالم حادث ثبت أن له محدثا موجودا عالما قادرا مريدا ، وذلك هو الله تعالى ، وقد نبغ من المتكلمين من دافع عن العقيدة بحرارة وقوة وجلد وثبات أمثال النظام ومدرسته واضرابه ، والأشعرى وأتباعه ، والماتريدى وأنصاره ، ثم ابن رشد (٩) الذى نقد طرائق المتكلمين ودعا الى طريقة خاصة أسماها الطريقة الشرعية للبرهنة على وجود الاله .

« ... فان قيل : اذا تبين أن هذه الطرق كلها (يعنى طرق أهل السنة والمعتزلة والصوفية) ليست واحدة منها هى الطريقة الشرعية التى دعا الشرع فيها جميع الناس على اختلاف فطرهم الى الاقرار بوجود البارى سبحانه ، فما هى الطريقة الشرعية التى نبه عليها الكتاب العزيز واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم ؟ قلنا — الطريق التى نبه الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بابها ، اذا استقرىء الكتاب العزيز وجدت تنحصر فى جنسين :

أحدهما — طريق الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من أجلها ولنسم هذه (دليل العناية) .

والطريقة الثانية — ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات مثل اختراع الحياة فى الجماد والادراكات الحسية والعقل ولتسم هذه (دليل الاختراع » (١٠) .

(وبعد) فلنتجاوز المتكلمين محيلين الباحث الألمعى على ما تركوا من تراث ونعرج على أدلة القرآن الكريم ففيما احتوى عليه من براهين وأساليب للوصول الى القناعة العقلية بحقيقة الألوهية ما يصلح زادا لكل المستويات

العقلية المستقيمة لا السقيمة ، مبتدئا بالأعرابي ذي الفطرة السليمة ، ومنتهيا بالفيلسوف ذي النظريات العميقة .

فالمستعرض لآيات الذكر الحكيم الخاصة باثبات وجود فاعل مختار عالم قادر حكيم يلفها داعية الى النظر في الكون المحيط بنا ، والذي تقع عليه حواسنا مشيرة الى أن وجوده بهذا الاحكام والاتقان ، والتدبير ، وتسخير كل ما فيه للانسان الذي هو قمة الموجودات وسيدها المطلق — يخلص من كل ذلك الى أن كل ما نرى وما لا نرى لا يمكن أن يكون مصدره المصادفة بحال ، فهذا الليل والنهار والشمس والقمر وتعاور الفصول الاربعة والسموات والارض وما بث فيها من دابة وجماد ، ونبات ، وما يلزم لتلك المخلوقات لتعيش وتحيا من ماء وهواء وغذاء ، وما يستلزمه تنوعها وتباينها من مواءمة بينها ، وقوامة على حفظها ورعايتها لتستمر في أداء مهمتها الى الايمان العميق بوجود الصانع المختار العليم الحكيم .

« ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب » (الآية ١٩٠ من سورة آل عمران) ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (١٦٤ من سورة البقرة) .

« يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون » .

(٢١ و ٢٢ من البقرة) .

« الم نجعل الارض مهادا . والجبال اوتادا . وخلقناكم ازواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات الفافا » . الآيات ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ من سورة النبأ .

« وآية لهم الأرض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون . وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » . (الآيات من ٣٣ — الى ٤١ من سورة يس) .

وبعض الآيات الكريمة تنعى على الانسان عجزه وتبدى له ضعفه وقصور باعه أمام أضعف المخلوقات وتتحداه أن يحاول ايجادها أو مثلها — وهيهات — أو يستخلص حقه منها اذا اغتالته .

(ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) .

(٧٣ ، ٧٤ من سورة الحج) .

وآيات تبين عن دخيلة النفس الانسانية وحيرتها أمام الكوارث والنوازل وشحها وبخلها اذا انعم الله عليها .

« أن الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين » (٢١ ، ٢٢ من المعارج) .

واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يئوسا .

وآيات تأمر بحمد الله وشكره على نعمه التي لا تحصى ، وتقرر الأدلة على تفرده بالخلق والتقدير ، وتوجب عبادته وحده ، وانه لا ينبغى عبادة شيء سواه من الأصنام والأوثان .

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون . امن خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها إإله مع الله بل هم قوم يعدلون . امن جعل لكم الأرض قرارا وجعل خلالها انهارا . وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا إإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون . ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إإله مع الله قليلا ما تذكرون . امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته إإله مع الله تعالى الله عما يشركون . امن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض إإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .

(الآيات من ٥٩ — ٦٤ من سورة النمل) .

وهكذا تمضي آيات القرآن الكريم شارحة المظاهر الكونية وأصولها وأن مردها الى الله ، لتبرهن على وجوده وقيوميته (**الله لا اله الا هو الحى القيوم**) ويستطيع كل حسب ادراكه أن يعرف خالقه ويهتدى اليه ، فالعامى يؤمن بظاهر القول ، والمتعمق الفاحص يصل الى أسرار الخلق والايجاد .

وقبل أن ننتقل الى أقوال العلماء المعاصرين وشهاداتهم بوجود اله مدبر للكون نورد حجاج ابراهيم عليه السلام لقومه كما ورد فى سورة الانعام ، وكيف انتهى الى اثبات موجد بألطف وجه وأحسن طريق متبرئا من تلك المعبودات التي اتخذوها أربابا من دون الله ، فقد كان قومه يعبدون الكواكب لما لها من التأثير السببى فى الأرض (فكانوا يعتقدون أن الشمس رب الناس ، والقمر يدبر الملوك ويفيض عليهم روح الشجاعة والاقدام وينصر جندهم ويخذل عدوهم ، ويعتقدون أن (مرداخ) وهو المشترى شيخ الأرباب ورب العدل والأحكام وحافظ الأبواب التي يدخل منها الخصوم لفض خصوماتهم وأن (رنكال) وهو المريخ رب الصيد وسلطان الحرب ، وأن (عشتار) وهي الزهرة ربة الغبطة والسرور والسعادة ، وتمثل بصورة امرأة عارية ، وان (نبو) وهو عطارد رب العلم والحكمة وجاء ابراهيم بحجته البالغة فحصر العبادة في فاطر السموات والأرض وحده دون غيره . (بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين) (١١) : واستمع الى ما يورده القرآن الكريم بصدد هذا النقاش الابراهيمى العظيم .

*** واذ قال ابراهيم لأبيه آزر (١٢) أتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال**

هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين . وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شيء علما افلا تتذكرون . وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) الآيات من ٧٤ الى ٨٣ من سورة الانعام .

---

(١) حار يحار .. نظر الى الشيء فلم يهتد لسبيله .

(٢) القاموس المحيط ج ا ص ١٩٥٣ .

(٣) الاستاذ الدكتور ابو ريدة ... فى مجلة عالم الفكر ج ا ص ١٩٠ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ـ للاستاذ فريد وجدى ج ا ص ٤٨٦

(٥) الاستاذ الدكتور ابو ريدة فى مجلة عالم الفكر ص ١٣٦ هـ ا

(٦) تابع دراسة تلك المدارس واجاد عرضها تاريخيا وناقشها الاستاذ الدكتور « ابو ريدة » .

(٧) وان كانت الجذور العميقة لهذه المذاهب ـ ان استحقت هذه التسمية ـ ضاربة فى اغوار الماضى وقد حكى القرآن كثيرا عن المنكرين عنادا او كفرا او تقليدا للآباء ، والقائلين بالعلية والطبائعية ، وقد عنى بالرد على تلك الفرق علماء الكلام فى الاسلام ، ومما قاله بعض اهل السنة نظما :

ومن يقل بالطبع او بالعلة فذاك كفر عند اهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعى فلا تلتفت

(٨) كما سنجعل ختام هذا البحث الاشارة الى شهادات العلماء المعاصرين الذين بلغوا الدرجة القصوى فى فهم ودراسة واكتشاف العلوم ـ على وجود اله ـ وقد يكون وصول [illegible] العلم المعاصر الى ادلة وجوده تحقيقا لقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ـ وندع المنكرين يتحقق فيهم قوله تعالى :

واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه .

(٩) ابن رشد يعد من الفلاسفة الاسلاميين الذين اشتغلوا بعلم الكلام ونقدوا المتكلمين فى الاستدلال .

وليرجع فى دراسة هؤلاء الافذاذ ومعرفة مذاهبهم الى كتب المتكلمين وما اكثرها وفى قمتها مقالات الاسلاميين للاشعرى ، ومواقف الايجى ، ومناهج الادلة لابن رشد ، والعقائد العضدية ، والعقائد النفسية وكتب الغزالى وامام الحرمين الجوينى .

(١٠) ابن رشد : (مناهج الادلة فى عقائد الملة) ص ١٥١ مكتبة الانجلو المصرية .

(١١) تفسير المراغى ج ٧ ص ١٧٣ ـ طبع مصطفى الحلبى ـ القاهرة ١٩٤٦ م

(١٢) ابراهيم ـ هو ابو الانبياء الاكبر بعد نوح عليهما السلام ، وهو العاشر من اولاد (سام كما فى سفر التكوين ولد فى بلدة اور) من بلاد الكلدان ، وفى سفر التكوين (أن الله تعالى ظهر له فى سن التاسعة والتسعين من عمره وكلمه وجدد عهده له بأن يكثر نسله وابوه سماه الله (آزر) وفى سفر التكوين اسمه (تارح) وقال البخارى فى تاريخه ابراهيم بن آزر وهو فى التوراة (تارح) وجزم الضحاك وابن جرير أن اسمه (آزر) ....

في معنى الحضارة

الاستاذ : البهى الخولى

هذه سلسلة من الكلمات قد تطول الى اشهر ، واريد لذلك ان نستأنس لتلك السلسلة بما يمهد لها فى الذهن والضمير .. فهى ليست من احاديث الواقع التى نرددها فى صور مختلفة من التقرير .. والشكوى .. والتمنى ..

نعم ليست من أحاديث التقرير التى نجيد بها عرض موضوعات تقليدية من تراثنا المجيد لا نبض فيها ولا جديد الا اناقة الصيغة او استبدال اسلوب باسلوب ..

وليست من أحاديث الشكوى او الالم لما نعانى من هوان وضيمة ، فان ما نزل بنا قد برم منا ، ومل مقامه فينا ، وكأنما غدت الشكوى ضربا من « الروتين » لا يمثل الما ولا ينزع عن عرق جياش بالضيق ..

وليست من قبيل تمنى الاصلاح او ترجيه ، فانا لم نتفق بعد على معنى الاصلاح .. هل نأخذ له من الغرب .. او ناخذ من كتلة الشرق .. أو نرجع فيه الى تراثنا وعروقنا الجياشة بأمجاد الماضى !

والاختلاف على مفهوم الاصلاح آية الاختلاف على فهم الحاضر الذى يراد اصلاحه .. وهو مع ذلك خلاف تمثل وجهات نظره لونا من التطير وعداء كل

منها لمغيرها عداء لا يقبل التقارب أو المعايشة فى صدق .. فالتراث في نظر بعضهم عوامل تخلف ورجعية يجب أن تبيد كشرط حتم للبناء والاصلاح .. أو هو فى أحسن ما يقال « مفاهيم » أدت دورها فى عصر ما ولم تعد قابلة للحياة في غيره .. وأصحاب التراث ينظرون الى اليمين والى اليسار فلا يجدون الا مادية قاتمة ، وحجودا لشأن خالق الكون ، بين منكر له بجهرة ، ومعترف به اعترافا هو والجحود سيان ..

واختلافنا فى فهم الواقع وفهم ما يصلحه يدعونا أن نطرح للبحث قضية ذلك الواقع نفسه .. هل هو واقع صالح للبقاء ولا ينقصه الا علاج وتدارك ما به من نقص وعلة ، أو ان هذا الواقع لا يصلح أن يكون واقعا بتة ، وبناؤنا عليه يقوم على غير أساس ؟ وان علينا ان نلتمس فى جد وصدق « مواصفات » أخرى لتخطيط جديد نستهدى فيه العقل والفطرة ، ونتحرى المواءمة مع كل حقيقة في الكون ظاهرة وباطنة ؟

وفي تلك « المواصفات » هل نأخذ من الغرب علومه ، وأوضاعه فى الحضارة ؟ .. ان الغرب كله يتسم « بالأنانية » وهى عماد حضارته ، وهى التى دعته أن يأخذ ما بأيدينا بالعدوان والبغى ، دون أن يكفه أو يزجره عن ذلك ماله من علم بالطبيعة وطاقاتها ، بل ان ذلك العلم هو الذى أمده بالعدد التى مكنت له فى أنفسنا وثرواتنا ، فاذا طلبنا ما لهم من صناعة وعلم ، فانما نطلبه لندرأ البغي عنا فحسب ، ومن قصر الرأى أن يرجو راج أو يسعى لأن يكون واقعنا مثل واقعهم فى النظر الى معنى الحياة والغاية منها .. وبعبارة أخرى : النظر الى معنى الانسان ، ومفهوم فضائله ، ومكانه فى الكون ومهمته فيه فان الغرب نفسه ضجر من المفهوم الحى لتلك الحقائق ، بل ضجر وشقى لممارسة المفهوم الاناني لتلك الحقائق في استباحة كل لذة حسية ممكنة ، وليس للغرب فضل أو فضيلة فى ذلك الضجر ، فانما هو اثر عميق يثور فى فطرة كل آدمى حين لا يتسق فى نظرته للكون مع أصول فطرته .. والعجب أنهم — مع ضجرهم أو سأمهم هذا — يعالجونه بمزيد من الاغراق فى الشهوات والتبجح بالتحلل والاباحة ، يغرونه ويمهدون له بمزيد من البغى والسلب وجرائم التفرقة التى لا يقرون فيها لملون بحق من حقوق الحياة .

فاذا كان الواقع كله عندنا وعند غيرنا على ما قدمنا ، فمحاولة علاجه بترقيع بعضه من بعض ليست سوى توطين أو تمكين للداء ليستشرى فى مواطن أخرى .. واذا ، فلا معدى من تغيير الواقع كله ، على « مواصفات — كما قلنا — جديدة ، على نطاق العالم كافة ، أو على نطاق الانسانية بأسرها » .

ومن المعروف أن هذا الواقع هو علم، وفن ، وصناعة ، وفلسفة ، وتشريع واقتصاد وسياسة ، وآداب عامة ، وعرف فى معنى الفضيلة ، والحياء ، والعفة ، والعرض ، والشرف ، والسلوك الخاص ، فاذا دعت الضرورة لتغييره فليس كما نغير ثوبا بثوب ، لا يكلفنا الامر الا أن ننضى عنا هذا لنرتدى غيره .. فأن هذا الواقع ليس سوى ثمرة لنظرة خاطئة فى الحياة وفى معنى الانسان !!

.. وتلك النظرة نفسها انما هى ثمرة لوضع عقلى خاطىء ننظر منه الى الكون .. والكون هو وطننا العام ، اذا توطنت منه أبداننا أشياءا معدودة لكل بدن ، فأن لنا من الحواس ومدارك العقل ما يذرع أقطاره فى السموات والأرض ، ويذهب فى آماده الظاهرة والباطنة الى آفاق تروع الأفئدة ، وتميد لها الرءوس وما كشف الانسان من تلك الآفاق حقيقة أو مدى الا وتوطنه بعقله وأقبل عليه

بحثا وتبينا لما يتضمنه .. فالكون بالنسبة لنا وطن فكرى لا حسى فحسب ، فاذا كان وضع العقل منه خاطئا فمعناه أن تبدو منه بعض الحقائق دون بعض .. وتوطن أى بيت خاص لا يكتب للانسان فيه الاستقرار والانتفاع بكافة مزاياه الا اذا أحصى وعرف كل ما يتضمن من حجر ، ونوافذ ، ومرافق ، وأجهزة للحياة والنور ، وما يلحق به من مرافق تتم بها الرفاهة والمنفعة ، وهو بعد لا يحجب الانسان عن الكون الكبير .. فأولى أن تحس فطرة العقل قلقا اذا كانت بوضع تحتجب فيه عنها بعض أو أهم حقائق وطنها الخطير ... واذا عرفنا أن فطرة العقل ليست أمرا حسيا .. واذا عرفنا الى ذلك أن توطن الكون بالنسبة لها هو توطن حقائقه المعنوية تبينا ومعرفة .. واذا عرفنا فوق هذا أن تلك المعرفة هي الزاد أو الرحيق الذي يصلح ويتم به أمر تلك الفطرة ــ عرفنا مدى القلق الذي يعتريها اذا لم تكن بوضع صحيح تحتل به كل مواطنها من الكون ، وتتزود بكل ما لها من ثقافة في تلك المواطن .

ان الانسان خلق ليحيا في الكون .. والانسان هو بدنه ، ومعايير عقله وخاصياته .. وأنا نحس الى الآن أن الكون مصدر معارفنا ، ومنافعنا ، وقوام أمرنا كله ، فهو ــ اذا ــ قد فطر على سنن المواءمة حسا وروحا لمصالحنا .. أو أننا فطرنا على المواءمة لسننه أو أن مشيئة العليم الحكيم اقتضت المواءمة بين سنننا وسننه ، فلم ينلنا أى ضرر ــ يوما ما ــ بسبب الاتصال به اتصال حس أو عقل ، فاذا كان ضرر فهو منا بفساد التقدير وعدم الاكتراث لسنن الفطرة .

فاذا تكلمنا عن تغيير الواقع فلسنا نعنى تغيير أنماط الحياة الظاهرة في فنها وصناعتها ، وتشريعها ونحوه ، انما نريد التغيير الذي يبدلنا بواقع نظرنا نمطا يقيم العقل على بحث معاييره وخصائص المواءمة لحقائق الكون .. وبتلك المواءمة يزول القلق ويتزود الفكر زاده الثقافي الجامع الذي ينشىء لحضارة الانسان أنماطها في التشريع والفن ، ومفاهيمها الصادقة لحقائق الحياء ، والمرض ، وكرامة السلوك الخاص .. ويجعل للحياة غايتها العليا ومعناها السامي الذى يسعد به الفكر ، كما يجعل للانسان رسالة حكيمة يكرم بها سعيه ويشرف قدره بين الكائنات ..

واذ يرجع تقويم تلك الحضارة الى حقائق الكون التى لم يبتدعها انسان ، ولم يزيفها بشر .. والى معايير العقل فى كل آدمى ، فقد رجع الى الأصل الجامع الذى لا يرده أحد ، ولا يشذ عنه عقل سوى ..

الحضارة بين الحس والروح :

والحضارة ظاهر ومعنى « أو حس وروح » وقد تحول اليها الانسان بادىء بدء ببواعث أقرب الى الحس راغبة فى الاستقرار والأمن « قال فى لسان العرب : الحضر خلاف البدو .. والحاضر خلاف البادى .. **والحضارة الاقامة فى الحضر** .. والحضر والحاضرة هى المدن ، والقرى ، والريف . سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ، ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار » ..

ووضع الانسان للغته ابتداء كان يشمل ثمرة تفاعله مع الكون ، أو مع الواقع الطبيعى والاجتماعى المحيط به ، سواء كانت تجارب هذا التفاعل حسية أو نفسية ، أو عقلية ... ولغتنا العربية بوصفها من أقدم اللغات ، وقد وضعت ابتداء فى البادية من قوم لهم صفاء الفطرة وذكاء القريحة .. لغتنا بهذا الوصف

تعتبر من أصدق اللفتات تعبيرا عن نوالح الانسان الاولى وتجاربه عامة ، اذ كان يدرج بين البادية والحضر خلال تطوره من الأولى الى الثانية .. ولذا نرى صاحب لسان العرب يذكر أن الحضر سمي بذلك لأن أهلـه حضروا الامصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار .. وذكر القرار ، أو الاستقرار في هذا الصدد يتضمن « لفتة » خافية للنفس ابان ذلك التدرج أو التردد بين البدو والحضر ، اذ كانت تلحظ الفارق بين مشاعر الاقامة في البدو ، والاقامة في الحضر وهو فارق لا يرجع أساسا الى رسوم الظاهر والشكل ، انما يرجع الى ما هو أبعد في خفايا الفطرة .. يعود الى فارق القلق والطمأنينة ، بين ما تعانيه النفس في البداوة ، وما تسكن اليه نسبيا في الحضر .. وقد يكون هذا الفارق ماثلا في نمط الحل والترحال ، والظعن والاقامة الذى تعانيه البداوة طلبا للرعي ومساقط الغيث ، بمضاهاته بنمط الاستقرار الذى يحظى بـه الحضر بتوفر أسباب المعيشة بينهم .. ولكنا نعني فارقا أعمق من معاناة كسب القـوت أو يسره .. فارقا يشير الى حال القلق الدائم على الدم والمال في البداوة ، والأمن عليهما في الحضر .. اذ البداوة — مع حياة الحل والترحال الراتبة — لا تفتأ تشن الحروب فيما بينها ، اصابة لثأر أو طلبا لنهب حيث كان ، وكان ذلك متصلا معهودا بينهم ، حتى لكأنه عادة يمارسـونها مع من نأى أو دنا من الاباعد والاقارب على ما يقول القطامي :

واحيانا على بكر اخينا   اذا ما لم نجد الا اخانـا

اى أن الحرب ديدننا المتصل ، لا نكف عن الاغارة على غيرنا ، فاذا لم نجد اغرنا على من قرب من أبناء عمومتنا ... ومهما يكن من الف البادية لذلك فانه يعارض فطرة الحرص على النفس والمال في طبيعة الانسان ، فلا جرم كان ذلك ملحوظا — في خفاء — حين ملاحظتهـم ميزات الحضر ابان ترددهم عليـه واستعدادهم للتطور ، ولا جرم — أيضا — ضمنوا لغتهم تلك اللفتات النفسيـة الدقيقة ، فكان ما ذكره صاحب اللسان من تعليل تسميتهم الحضر بالحضر ، اذ سجلوا بتلك التسمية ما كانت تحسه سرائرهم من ميزات الطمأنينة والاستقرار التي ليست للبادية .

ولسنا نقصد اى بحث لغوى ، انما نعرض « وثيقـة » تتضمن لقطات لحركات النفس العربية وهي تودع للغتها انفعالاتها الاولى بظروف ترددها بين البدو والحضر .

وقد كتب في دقائق البدو والحضر كثير ، ولكن أوفاها وافضلها ما كتبـه مفكرنا الخطير عبد الرحمن بن خلدون .. فالبدو — مثلا — مرحلة في عمـر الانسانية سابقة للحضر .. ومجتمع البادية ساذج في معيشته وأوضاعه لقلة مطالبه واكتفائه بالضرورات ، ومجتمع الحضر كثير المطالب متشابك الضرورات بحكم ما تتطلبه عمارة الدور والارض من صناعات متباينة ، وما يترتب على ذلك من معاملات وأوضاع تنظيمية شتى .. عرضوا لذلك ونحوه ولكن الذى يعنينا هو ذلك الحافز العميق الذى نلحظه من ورائه ، والذى حفز الانسان — وما زال يحفزه — الى الحضارة ، وهو حافز الفطرة الذى تنم عنه اللفة ، حافز الحرص على المحافظة على الذات وما لها من مقومات الحياة ... ولكن هل هذا الحافز وحده هو كل ما تضمنته الفطرة من حوافز وضرورات ؟ .. وهل ذلك المفهـوم للحضارة قد تضمن كل ما لها من مقومات وخصائص ؟

ان اللغة قالت : **ان الحضارة هي الاقامة في الحضر** ، واتسع ذلك المفهوم بالتبعية أو اللزوم ، فشمل مظاهر نشاط الانسان فى عمارة الارض والمدن بمختلف الصناعات .. وزاد التفاعل مع الواقع — حسيا وعقليا — فكان ما أسفرت عنه الجهود من كشوف علمية لمخبآت الطبيعة ، وقوانينها ، وأضيف ذلك ومظاهر استعماله وآثاره الى سابقه فى مفهوم الحضارة ومقوماتها .. وصحب ذلك كله ضروب من المعاملات ، ونظم الحكم والتشريع ، والقضاء ، والسياسة ونحوها فكانت — بحكم اللزوم — ايضا خاصية للاقامة فى الحضر أضيفت لمفهوم الحضارة .. ولكن هل انتهى الى ذلك الحد مفهوم الحضارة ؟ .. وبعبارة أخرى هل انتهت خواطر الفطرة الداعية للتحضر فانتهى مفهوم الحضارة الى ما انتهى اليه ! ..

اننا نريد ان ننبه الى الرابطة الوثيقة بين حوافز الفطرة ، وبين ما تدعو اليه فى ظاهر الحياة من تفاعلات .. نريد أن ننبه الى الرابطة المنطقية الحتمية التى تجعل حضارة الانسان اثرا ضروريا لما تنطوى عليه فطرته من تطلعات وحوافز .. وعلى هذا نسأل : هل هذا الحافز وحده — حافز المحافظة على الذات — هو كل ما للفطرة من ميزة الحياة الباطنة ! ، أو ثمت حوافز وتطلعات أخرى ؟ ..

بين انفعال الحس وانفعال الروح :

منذ يعى الانسان نفسه يحس اتجاهه الى الكون وآفاقه بوجدان غامض فيه تعجب باعث على السؤال : ما هذا ؟! وهو وجدان لا تكلف فيه ، كما أنه ليس من تخييل احد ، أو ايهامه ، بل هو حركة يجدها كل فرد فى ضميره منذ يعى نفسه — كما قلنا — .. ومع تقدمه فى عمر الطفولة يعظم التعجب ، وتعمق الروعة ، ويزداد التساؤل : ما هذا ؟! . وتبدأ عجائب الكون تلفته الى ذاتها : الشمس بظواهر شروقها وغروبها ولألائها الباهر ، وتنقلها العجيب فى القبة الكونية كل يوم من الشرق الى الغرب .. والقمر بأشكاله المتباينة التى يغيرها مع كل ليلة ، ويطالعنا بها من عليائه على مدى الشهر .. والكواكب التى تغطى فضاء الكون ليلا بزينتها البديعة العميقة ، وتأخذ باللب فى خشوع ورقة الى غورها السحيق ... والانسان يلبى ذلك كله فى تطلع ظاهر ، وتعجب ملح فى السؤال ما هذا ؟ ومن أوجده ؟' ..

وقد يكون هذا التساؤل فى ذهن رجل بدوى ، أو طفل حضرى أو قروى .. وقد يتلقى عنه اجابة صحيحة ، أو غير صحيحة ، وقد لا يتلقى عنه اجابة ما ، ولكنه فى كل ذلك يظل على حاله فى التطلع الى تلك الآيات دهشا متطلبا المعرفة .

نعم قد يخفت التنبه واحساس الروعة — عادة — لدى الأكثرين بتقدم المرء فى العمر ، وازدحام تبعات العيش وشواغله على وعيه مع تنوعها وتواليها ، ولكن ليس معنى هذا أن تلك الحال كانت ظاهرة أو خاصية تصحب الطفولة ثم تغيض أو تزول حين يبلغ أشده ، ويواجه منطق عيشه ودواعيه المتراكمة ، فانه فى غمرة تلك الدواعى قد تتاح له خلوة بنفسه فيرى تلك الآيات أكثر اثارة ووضوحا من ذى قبل .

فنحن — اذا — بازاء طرفين : الكون ، والانسان .. الكون له آياته وحقائقه .. والانسان — من دون كائنات الطبيعة — ينفعل بتلك الآيات والحقائق انفعالا تنبثق به فى النفس وجدانات التعجب والتساؤل ، وينبعث به العقل فى محاولة الفهم .. وقد قلنا : ان ذلك ليس عن تخييل مفتعل ، أو وهم ، انما هو عن واقع محس عتيد هو « الكون » وكذلك ليس عن خاصية مؤقتة تصحب الطفولة الغضة ثم تنتهى ، بل هى عن فطرة ذات وعى أو حس ، تواجه حقائق الكون فتنفعل أو تتأثر لها فى تعجب ودهشة فتتحرك مستشرقة متسائلة : من خلق هذا ؟! ويتدخل العقل لمعرفة المسؤول عنه .. قلنا هذا ، وهو يضعنا بازاء موازنة بينه وبين تجربة القلق التى دعت الانسان الى التحضر آنفا ..

أ — فاضطراب الأمن — بالعوامل التى تحكم بيئة البدو — عارض رغبة فطرية فى النفس — هى غريزة المحافظة على الذات — فأثارت تلك المعارضة **حركة فى الضمير ، أو قلقا** يتضمن الخوف على النفس ، ونشدان الأمن بسكنى الحضر ، وما تستدعيه من صناعات مختلفة .. وفى التجربة الثانية نجد المواجهة بين فطرة الانسان وحقائق الكون قد أثارت فى النفس **حركة أو قلقا ،** فيه تعجب واستشراف لمعرفة من خلق هذا ؟!

ب — وبواعث القلق فى التجربة الأولى حسية ظاهرة ، هى عوامل اضطراب الأمن .. وأهدافه — كذلك — حسية هى احراز الأمن على المال والنفس أى البدن ..

وفى التجربة الثانية نجد بواعث القلق هى « المواجهة » بين وعى الانسان وحقائق الكون .. فهل هى بواعث حسية ؟ .. ونجد أهداف القلق هى التطلع لمعرفة من خلق هذا .. فهل هى أهداف حسية ؟..

اذا ذهبنا نعرف حقيقة ذلك — أى البواعث والاهداف — ألفينا الانسان قد أدرك « شيئا » فى حقائق الكون ، أحس له فى نفسه أثرا مزيجا من الدهشة والتعجب ، فما عسى أن يكون ذلك الشىء ؟

انه ليس الضوء والحرارة ، ولا الاصوات والمشمومات ونحوها من الامور المحسة ، فان تلك المحسات ترد على حواسنا كل آن من نهار وليل بلا انقطاع .. دون أن يحدث مثل ذلك الوجدان العميق الهادىء المتميز بالروعة والتعجب .. نعم قد تحدث اثارة سطحية برائحة زكية أو كريهة .. وبصوت حسن أو منكر .. وبمنظر جميل أو قبيح — مثلا — ولكن ذلك غير الوجدان الذى نعنيه المتميز بالعمق والتعجب ، المتسائل : من خلق هذا ؟..

والمعروف أن الانسان ينظر كل آن الى السماء ، وما لها من شمس وقمر وكواكب ونجوم ، وكأنه لا ينظر اليها لاستيلاء شواغل العيش على ارادته ، فلا تنشأ بنفسه روعة ما أو تساؤل من قبيل ما قدمنا .. وهذا يدل على أن مجرد رؤية تلك الكائنات السماوية بالحواس أو بالنظر العادى لا يحدث فى النفس الأثر الذى نقرر ، وان ثمت فى تلك الكائنات ، « أشياء » غير حسية لا ترى بالنظر العادى ، انما يتنبه لها وعى الانسان اذا زالت عنه شواغله الحسية ، فيبصرها فتحدث فى الضمير خلجات التعجب التى قدمنا .

فبواعث القلق — اذا — أمور معنوية غير حسية ، تتم برؤية غير رؤية الحس .. وكما يكون لرؤية الحس أثرها السطحى برؤية منظر قبيح أو جميل يكون لتلك الرؤية المعنوية أثرها العميق فى النفس الجياش بالتعجب والتساؤل .. ونفس الانسان كالغدير الهادىء الرهو ، لا تتحرك هى ، ولا تحدث فيه

هو حركة ما الا أن يحركه محرك ، أو أن يلقى فيه بشىء يغير سكونه ، فلا مجال ــ بتة ــ لأن يقال : ان هذا التعجب والتساؤل يحدثان فى النفس بغير شىء ..

واذا ، فبواعث هذا القلق روحية بحتة ، لا تتصل من قريب أو بعيد بعوامل بيئة بدوية أو حضرية ، ولا بغريزة ما من التى تتصل بالمحافظة على الذات .. وليست هى من صنع الحواس المعروفة ، ولا هى صادرة من مادة المحسات انما هى رؤية « لمعالم عقلية » غير محسة فى الكائنات .. معان فى الكائنات يتبينها وعى الانسان اذا اتجهت ارادته الى ذلك .

ولقد كنا نسأل منذ قليل : هل ثمت حوافز وتطلعات للفطرة غير حافز المحافظة على الذات .. وقد قدمنا الآن الاجابة عن ذلك ، فاذا كان لباطن المرء حركات دعته لسكنى الحضر طلبا للأمن ، فثمت حركات انبعاث وتطلع للمعرفة لا تجد تحضرها بسكنى مدن أو ريف ، انما تجده بمقامها الأمين فى آيات الكون وحقائقه .

الانسان والكون :

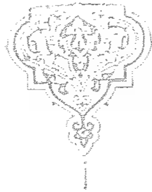
ونخلص من ذلك بحقيقة تؤكد ما قدمنا من أن الكون كله : أرضه ، وسماءه ، وما فيهما ، وما بينهما من كائنات هو وطن الانسان أينما كان ، ويجب أن تقوم صلة التوطن بينهما على أسس فطرية بينة صادقة .. فليست الأرض وحدها هى وطن البشرية ، فان الآفاق التى تحيط بنا ، ولا تفتأ تتعرض لحواسنا ومداركنا بعمقها وروعتها وآياتها فى الارض والسماء تصنع الاطار الحق لمفهوم هذا الوطن .. واذا كنا نعيش على الأرض بأبداننا فأننا نحيا فى هذا الاطار الكبير بحواسنا وعقولنا حياتنا الحافلة بأصدق المعانى .. بل اننا لا نشغل من الارض بأبداننا الا حيزا ضئيلا محدودا ، فى الوقت الذى تشغل فيه حواسنا وعقولنا ما يبدو لها من الكون كله .. فاذا عنينا بموقف الانسان من الكون ، فانما نريد صلة التوطن التام ، التوطن الحسى الذى يشغل فيه البدن بالضرورة وضعه فى الأرض ، والتوطن الفكرى الذى يلزم فيه الفكر مجال تدبره فى آيات الكون .

ومن البين أننا لا ندعو الى الغاء المواطنة أو المواطن الخاصة فأنها أمور ضرورية لتنظيم معيشة الانسان وعمارة الارض ، ولتنظيم قيام العلاقات الجامعة بين أفراده بعضهم وبعض .. فلكل فرد وطنان ، وطنه الخاص الذى ينسب اليه بحكم التنظيم والاستقرار المعاشى .. ووطنه الفكرى الكونى الذى يجول فى ملكوته مع أفكار سواه من بنى الانسان ، فلا تتعارض الافكار ولا تتضارب أو تتحاسد وجهات النظر .. لكل فرد وطنان على أن يؤدى لكل وطن حق توطنه : فاذا كان الفرد لا تتحقق نسبته لوطنه الخاص ولا يكتب له به الاستقرار والطمأنينة الا اذا استقرت علاقته الاقتصادية والاجتماعية والوجدانية به على أساس من المعرفة والمعاطفة والارتباط الحيوى بكل مقوماته على أنه جزء من بنائه ، اذا كان هذا شأن الفرد بالنسبة للوطن الخاص ،فهو شأنه بالنسبة لوطنه الكونى ، اذ لا يكتب للضمير فيه استقرار ما الا أن يأخذ الفكر مكانه فى رياض حقائقه ..

ان بين ضمير الانسان وحقائق الكون وشائج ألفة ومواءمة فطرية ، فاذا أقبل الانسان ينظر فيها بعقله ، وحصل معانيها لنفسه ، فقد حقق المواءمة بينه وبين الكون ، وهو التجانس الذى يكتب له به استقرار الضمير ورضا الفكر ، وبه يصحب الكون على بصيرة ومعاطفة ، وتلك حقيقة التوطن الكونى .. **وهى لب حقيقة الحضارة .**

نحو الاسلام :

والانسانية اليوم تجتاز مرحلة خطيرة من بلبلة الفكر ، وقلق الضمير ، ولا سيما فى بيئات الغرب حيث يسود التوجس وعدم الثقة ، ويستعلن الشباب بالضيق وعدم المبالاة ، وليس ذلك من قلة فى الموارد ، فان الطبيعة لا تفتأ تجود بألوان من النعمة والثروة ، ولا عن جهل بالطبيعة ، فان الانسان لم يكن أعلم بها منه اليوم ، بل لأن الصلة الفكرية بينه وبين الكون لا تحقق المواءمة الضرورية لاستقرار النفس .. واذا ، فلا بد من علاج ، أو من نهج يقيم علاقة الانسان الحسية والفكرية بالكون على سوائها .. نهج نستوحى فيه فطرة العقل ، وحقائق الكون ، لا نلوذ فيه بنحلة خاصة ، ولا مبدأ فيلسوف كائنا ما كان .. ولسنا نجد فى تقرير سنن الكون وعلاقتها بفطرة الانسان : فطرته الفكرية ، والنفسية ، والعملية ، فى عمق وصدق ووفاء من « الاسلام » واننا نظلم الحقيقة ونسىء الى أنفسنا أشد الاساءة اذ ننظر الى الاسلام على أنه دين طائفة خاصة أو أمة بعينها .. فالاسلام دين كونى ، ينظم علاقة الانسان كافة بالكون كله حسه ومعناه ، أو ظاهره وباطنه .. ينظم تلك العلاقة على أساس ما بين الانسان والكون من مواءمة حسية ، وروحية ، وفكرية ، وان النظر الفطرى الحكيم المتحرر من لوثة الهوى والطائفية جدير أن يضع بين يدى صاحبه الكثير من قواعد تلك العلاقة ما دام يستهدف فطرة العقل ، ودلالات الكون السافرة له وانه كلماأجال النظر فيما حوله من حقائق ، كثرت لديه حصيلة الحق التى تقوم بها علاقة الانسان بالكون على أوثق الروابط وأصدق الأسس ، وان كل ما يجتمع له بهذا النظر السليم من معارف ، وحقائق ، وأحكام ، انما يطابق فى مادته — أو يقارب — ما نزل به القرآن الكريم من الله ، ذلك أن القرآن لم يجىء بجديد يقحمه على استعدادات الناس النفسية والفكرية ، انما جاء — كما قلنا — ليقيم فطرة الانسان على سوائها لتقوم العلاقة بينه وبين الكون على أوثق الروابط ، وأصدق الأسس .. وذلك ما سنحاول بيانه فيما تأتى من الكلمات .. وبالله التوفيق .



درس في بناء الرجال

من الرسول القائد

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

كفايات النبى صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة الجوانب ، وكل صنف من أصناف الناس يستطيع أن يتخذ منه قدوة حسنة تفيده لحاضره ومستقبله ، اذ يمكن أن يجد فيه كفاية خاصة تكون مثالا رائعا يحتذى بها ، لاتصالها اتصالا مباشرا بحياة ذلك الصنف من الناس .

وبالطبع فان النبى صلى الله عليه وسلم كان مؤيدا من الله سبحانه وتعالى ، وكان لهذا التأييد الالهى أثر حاسم فى نجاحه بشيرا ونذيرا ، ومشرعا وقاضيا ، وسياسيا واداريا ، وقائدا وجنديا .

وهذا التأييد الالهى ، لا يمنع مطلقا من أن يكون لكفاياته الشخصية أثر حاسم أيضا فى نجاحه ، وصدق الله العظيم (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١) .

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لأصحابه عليهم رضوان الله فى حياته المباركة وبقى الأسوة الحسنة لأتباعه بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، ولا يزال الأسوة الحسنة للمسلمين فى كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق الله العظيم : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (٢) .

والأسوة الحسنة تكون اقتداء بأعماله وأقواله عليه أفضل الصلاة

والسلام ، وتلك هى كفاياته العالية الفذة انسانا سويا بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين .

— ٢ —

وكما يستطيع كل صنف من أصناف الناس اقتباس ما يفيدهم من كفاياته الانسانية المتميزة فى حياتهم العملية فان تلك الكفايات يمكن أن تكون نبراسا للناس كافة فى ظروف معينة من عمر الزمن تهدى للتى هى أقوم ، وتنير الطريق للسالكين فى دروب الحياة تحقيقا لأهداف باقية ومثل عليا .

والحرب اليوم هى حرب مصيرية ضد اسرائيل التى لديها مخططات توسعية استيطانية فى البلاد العربية ، فما الذى يفيد العرب لحاضرهم ومستقبلهم فى هذه الظروف العصيبة اقتباسا من نور كفايات الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

لقد وجدت بالدراسة المستفيضة لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم العطرة ، أن من كفايات النبى صلى الله عليه وسلم المتميزة ، هى قابليته الفذة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب .

وأستطيع أو أوكد بكل وثوق ، بأن قابليته الفذة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، هى من أهم الأسباب الدنيوية لنجاحه فى السلم والحرب على حد سواء .

كان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصلة ، وكان يعرف ما يمتاز به كل صحابى من مزاياتفيد المجتمع الاسلامى الجديد ، وكان يستغل تلك المزايا لخير هذا المجتمع وللمصلحة العامة العليا للمسلمين .

وكان فى الوقت نفسه يعرف ما يعانى كل صحابى من مثالب ، وكان يتغاضى عن تلك المثالب ، ويغض الطرف عنها ، ويذكر أصحابه بأحسن ما فيهم ، ويأمر أصحابه أيضا بالتغاضى عن المثالب ، والاشادة بأحسن ما فى اخوانهم تقديرا واعجابا .

وكان عليه أفضل الصلاة والسلام بهذا السلوك الرائع الذى التزم به فى كل حياته المباركة : يشيد بالمزايا وينتفع بها لخير المسلمين ، ويغض الطرف عن المثالب ويقومها بالحسنى ، ثم يداويها بما عرف عنه من حكمة وموعظة حسنة وتربية أبوية .

بهذه الخطة الرائعة والطريقة السليمة والأسلوب الحصيف ، يبنى النبى صلى الله عليه وسلم الرجال ولا يحطمهم ، ويقوم المعوج ولا يكسره ويشيد للحاضر والمستقبل لا للحاضر وحده أو للساعة التى هو فيها .

لقد كان يعلم علم اليقين ، أن كل انسان يبتسم بمزايا حميدة معينة ، ولكنه يعانى من مثالب خاصة ، لأن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى ، فكانت اشادته بالمزايا واشادة أصحابه بها يقوى تلك المزايا ويشد أزرها ، وكان اغضاؤه عليه أفضل الصلاة والسلام واغضاء أصحابه عن المثالب يقلل من أثرها ، ويستر عليها ، ويجعلها تتضاءل شيئا فشيئا حتى تتلاشى نهائيا أو يضعف تأثيرها وقد تنتهى الى الأبد .

وكان عليه الصلاة والسلام يدرك كل الادراك ، أن كل انسان لا بد من أن يعانى نقصا فى ناحية من نواحيه الخلقية ، وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه ، فكان يغض الطرف عن ناحية النقص فى أصحابه ، ويستفيد لصلحة المسلمين من ناحية الكمال ،

فلا يكون ذلك النقص سبة ومثلبة على صاحبه ، لأنه كان عليه أفضل الصلاة والسلام يبرز ناحية الكمال ، فينوه بصاحبها ويذكره بها ويثنى عليه أعظم الثناء .

— ٣ —

كان من بين أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من امتاز بالثراء ، فأفاد المسلمون من ماله ، ولم يكلفه عليه أفضل الصلاة والسلام بمصاولة الصناديد والأبطال .

وكان من بين أصحابه من امتاز بناحية القيادة ، فولاه قيادة الرجال فى السرايا والغزوات .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشجاعة الفردية ولم تكن لديه قابلية قيادية ، فاستفاد منه فى مبارزة الشجعان والأقران والقيام بالأعمال الفدائية جنديا من جنود المسلمين .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالرأى الثاقب والتفكير العميق ، فأفاد عليه أفضل الصلاة والسلام من آرائه وحكمته ومشورته .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشعر المتين والبيان البليغ ، فأفاد المسلمون من شعره وبيانه .

وكان ...... وكان .....

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة المكرمة فى عمرة القضاء سنة سبع الهجرية الوليد بن الوليد المخزومى أخا خالد بن الوليد رضى الله عنهما قائلا : أين خالد ؟ ثم قال : (ما مثل خالد من جهل الاسلام ، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين ، لكان خيرا له ، ولقدمناه على غيره) .

وكتب الوليد بن الوليد بذلك الى أخيه خالد فكان ذلك سبب هجرته الى المدينة المنورة واعلان اسلامه .

وقدم خالد بن الوليد المدينة مهاجرا الى الله ورسوله فى أول يوم من صفر سنة ثمان الهجرية .

قال خالد : فلما طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمت عليه بالنبوة ، فرد عليه الصلاة والسلام بوجه طلق ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قد كنت أرى لك عقلا رجوت الا يسلمك الا الى خير ، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت : استغفر لى كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله ! فقال : ان الاسلام يجب (٣) ما قبله . قلت : يا رسول الله ! على ذلك . قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك ... فوالله ، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل بى أحدا من أصحابه فيما يجزئه (٤) .

وولى النبى صلى الله عليه وسلم خالدا قيادة الرجال فى الحرب بعد اسلام خالد .

وما يقال عن خالد بن الوليد ، يقال عن عمرو بن العاص أيضا فقد ولاه قيادة الرجال فى الحرب بعد اسلامه، وقال عن خالد وعمرو حين قدما المدينة المنورة مسلمين : ألقت اليكم مكة أفلاذ كبدها (٥) ..

— ٤ —

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه غنيا ، فأفاد المسلمون من ثرائه : ابتاع للمسلمين مربدا (٦) بعشرين ألفا ، وابتاع للمسلمين بئر (رومة) (٧) وجهز جيش العسرة الذى زحف من المدينة المنورة شمالا بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم لمواجهة جيش

الروم فى غزوة تبوك حتى ما يفقد هذا الجيش عقالا ولا خطاما ، ولم نسمع أن الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام كلف عثمان بمنازلة الأقران يوم الطعان .

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعرا مجيدا ، فاستفاد المسلمون من قابليته الشعرية ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتركه مع النساء عندما يخرج للقتال .

وكان كثير من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم يعدون من أشجع الشجعان ، ولكنهم بقوا جنودا فى جيش المسلمين ولم يتولوا مناصب قيادية ، لأنهم كانوا جنودا متميزين ولم يكونوا قادة متميزين .

وكان من بين أصحابه من يحسن القراءة والكتابة ، فجعلهم كتابا للوحى ومحررين لرسائله الى الملوك والأمراء .

وكان من بينهم اداريون ودعاة وجباة وقضاة ، فولى كل واحد منهم ما يناسب قابلياته وكفاياته .

وقد سأله قسم من الصحابة أن يوليهم مناصب ادارية فرد الذين لا يستطيعون النهوض بهذا الواجب ثم ذكر لقسم منهم بصراحة متناهية سبب عزوفه عن توليتهم !

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : دخلت أنا ورجلان من بنى عمى على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحد الرجلين : يارسول الله ! أمرنا على بعض ما ولاك الله .... وقال الآخر مثل ذلك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (أنا لا نولى هذا الأمر أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه) .

وقال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : يا رسول الله ! ألا تستعملنى ؟ فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بيده على منكبى أبى ذر ثم قال : (يا أبا ذر انك ضعيف ، وانها أمانة، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا الذى أخذها بحقها وأدى الذى عليها) .



وقبل حركة المسلمين لفتح مكة المكرمة حرص الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام على كتمان حركته من المدينة المنورة الى مكة المكرمة ، كما حرص على كتمان نياته العسكرية فى الفتح ، حتى يباغت قريشا ويجبرها على الاستسلام دون اراقة الدماء .

ولكن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه ، كتب رسالة الى قريش وأعطاها امرأة متوجهة الى مكة المكرمة ، يخبر فيها قريشا بنيات المسلمين فى حركتهم لفتح مكة .

وعلم النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة ، فبعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه والزبير بن العوام رضى الله عنه ليدركا تلك المرأة التى تحمل تلك الرسالة ويأخذاها منها ، فأدركاها وأخذا الرسالة التى كانت معها .

ودعا النبى صلى الله عليه وسلم حاطبا يسأله : ما حمله على ذلك ؟ فقال حاطب : يا رسول الله ! أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا تبدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس له فى القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليه ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (يا رسول الله ! دعنى فلأضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق) .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم (أما انه قد صدقكم ، وما يدريك ؟ ! لعل

الله قد اطلع على من شهد (بدرا) فقال : أعملوا ما شئتم) .. شفع لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد ، فعفا عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمر المسلمين أن يذكروه بأفضل ما فيه .

وعاش حاطب فى مجتمع الصحابة ، لا يشنع عليه أحد ، ولا يذكره الناس الا بالخير ، ولا يسمعونه الا ما يشتهى ، ولا يرددون عنه الا أفضل ما فيه من مزايا وخصال .

— ٦ —

وبعد فتح مكة المكرمة أسلم عكرمة ابن أبى جهل وحسن اسلامه ، ثم أصبح من أعاظم المجاهدين بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ومن أكابر قادة الفتح الاسلامى العظيم .

وكان أبوه من أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين كافة وللدين الحنيف ، وقد لاقى مصرعه فى غزوة (بدر) الكبرى كما هو معروف ، فمات غير مأسوف عليه ، تخلص المسلمون بموته من خصم لدود .

وكان الصحابة يذكرون أبا جهل ابن هشام بما فيه ، فلما أسلم ابنه عكرمة وحسن اسلامه قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه عليهم رضوان الله (عكرمة يأتيكم ، فاذا رأيتموه فلا تسبوا أباه ، فان سب الميت يؤذى الحى (٨)) .

هكذا يأمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام بالكف عن سب أعدى أعداء المسلمين اكراما لولده المسلم ، حتى لا يتأثر هذا المسلم نفسيا بسب أبيه ، فتتعقد نفسيته ويضيق ذرعا بالمجتمع الاسلامى الذى كان يعيش بين أفراده وجماعاته له مالهم وعليه ما عليهم .

— ٧ —

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف حق المعرفة كل مزايا أصحابه ، فيفيد من تلك المزايا ، ويبرزها للعيان مشجعا ويثنى عليها أطيب الثناء مقدرا ، ويغض فى الوقت نفسه عن نواقصه ويستر عليها .

وكان ذلك من أهم أسباب انتصار النبى صلى الله عليه وسلم عسكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

فلما التحق عليه أفضل الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، كان بين المسلمين قادة وأمراء وولاة وقضاة وعلماء وفقهاء ومحدثون قادوا الأمة الاسلامية سياسيا واداريا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا الى المجد والسؤدد والخير ، والى طريق الحق وسبيل الرشاد .

ذلك هو الدرس الذى يجب أن نتعلمه اليوم من سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الأبطال ، أمام المجاهدين وقدوة العاملين ، النبى العربى الأمى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

هذا الدرس هو : اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، وبناء الرجال لاعداد خير خلف لخير سلف .

ان العرب بخاصة ، والمسلمين بعامة مطالبون اليوم بأن يستفيدوا من طاقات كل فرد منهم ماديا ومعنويا ، فكل فرد له طاقة معينة

من مناحى الحياة يمكن أن يفيد المجتمع الذى يعيش فيه ، والمصلحة العامة التى ينبغى أن تكون هدفا حيويا للجميع يجب أن ننوه بالمزايا ونغض الطرف عن المثالب .

يجب ألا نبرز المثالب ، ونغض الطرف عن المناقب .

يجب الا نخلق المثالب للناس خلقا، ونغمط المناقب غمطا .

يجب أن نبنى الرجال ولا نحطم الرجال .

ان الذين يعملون على تحطيم الرجال يخدمون اسرائيل وأعداء العرب والمسلمين فى كل مكان .

ان اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب هو من أهم عوامل بناء الرجال وبناء الأمم أيضا :
وصدق الشاعر :
يبنى الرجال وغيره يبنى القرى

شتان بين قرى وبين رجال
والسؤال الآن : كيف استطاع النبى صلى الله عليه وسلم بناء الرجال ، حتى أصبح قرنه بحق خير القرون ؟

ولماذا كان يحرص أعظم الحرص على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، فيعترف الناس من حوله ، ولا يزال الناس يعترفون حتى اليوم ، أن ذلك الرجل لذلك العمل هو من أعلى المستويات بالنسبة للمتيسر فى حينه من الرجال ؟

الجواب بسيط ، هو أنه كان مثالا حيا يمشى على الارض فى تطبيق أقواله على أعماله ، فيضرب بذلك للصحابة بمثاله الشخصى أروع الأمثال .

لقد نسى النبى صلى اللهعليه وسلم نفسه فى سبيل المصلحة العليا للمسلمين ، لذلك استقطب حوله الرجال الأقوياء الأمناء من ذوى الكفايات العالية قوة للمجتمع الاسلامى وأمنا .

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام (من ولى رجلا وهو يعلم أن هناك من هو أقدر منه ، فقد برئت منه ذمة الله) .

ترى !!

هل نقتبس هذا الدرس من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم لنستريح ونريح ، أم لا نزال بحاجة الى كثير من النكسات والنكبات حتى نعود الى طريق الحق والصواب ؟ !

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنعام (١٢٤) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٢١) .
(٣) يجب : يقطع ويمحو ما كان قبله من الكفر .
(٤) طبقات ابن سعد (٥٢/٤) و (٣٩٤/٧) .
(٥) أسد الغابة (٣٨٢/٣) والاستيعاب (١٠٣٤/٣) .
(٦) مربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف .
(٧) بئر رومة : بئر فى عقيق المدينة المنورة وهى من ضواحى المدينة المنورة انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٤/٢) .
(٨) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

الوعي الإسلامي

* منذ صدرت المجلة وهى ملتزمة بمضامين اسمها ((الوعى الاسلامى)) ومعطيات هدفها ((المزيد من الوعى وايقاظ الروح بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية)) وفى حدود هذا الالتزام تقوم ما يرد اليها من بحوث ومقالات وقصص وشعر وتراجم ، فتنشر ما يتفق مع ما التزمته وتدع ما لا يتفق معه .

* ومع هذا الالتزام فى المنهج التزام آخر حرصت على أن تأخذ به نفسها ، وهو ما يلاحظ من افساحها المجال — قدر الاستطاعة فى كل عدد من أعدادها للأقلام الرفيعة فى مختلف الأقطار الاسلامية تقديرا لها ، وانتفاعا بها ، وجذبا للقراء الذين يحبون أن يقرأوا لكتابهم الذين نشأوا فى بيئتهم كما يتطلعون الى الأقلام البعيدة عنهم .

* وكان لهذا الالتزام فى المنهج والكتاب أثره فى رواج المجلة ، وبلوغها تقدير الكاتبين ، وثقة القارئين حتى أصبح كل كاتب من كتابها ، وقارىء من قرائها يؤثرها ويعتبرها مجلته المفضلة ويلح فى السؤال عنها ان تأخرت فى الطريق عن موعد وصولها اليه ، أو نفدت أعدادها من الباعة بسبب التزاحم عليها مع وفرة المطبوع منها .

* بقى شىء آخر جديد نحب أن نضيفه الى ما سبق وهو أن المجلة تتلقى بحوثا علمية مستفيضة لا يتسع لنشرها عدد واحد ، ولهذا كانت تقسمها الى أجزاء تنشرها تباعا أو متفرقة حسبما تسمح به ظروف النشر وأحيانا كانت تنشر بعضها ، وتصرف النظر عن بعضها الآخر لطول العهد وكثرة المواد ، وقد أثار ذلك شكوى الكتاب والقراء .

ويلاحظ القراء أن المجلة فى الأعداد القريبة السابقة نشرت بعض هذه البحوث مرة واحدة قطعا لأسباب الشكوى ، ولكن ذلك جاء على حساب الابواب الاخرى والاقلام الكبيرة التى تعودت المجلة أن تقدمها للقراء فى كل عدد .

وبعرض الأمر على السيد الاستاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم وكيل الوزارة رأى زيادة عدد صفحات المجلة من (١٠٠) الى (١١٦) بصفة مستمرة ابتداء من هذا العدد تمكينا للمجلة من النهوض برسالتها والوقوف فى وجه المجلات العلمانية التى تنقل عن الشرق والغرب ما هو ضد الدين بدعوى التجديد ، والتصدى للفكر الدخيل على المجتمعات الاسلامية ، واحباط خططه فى تحويل الشباب المسلم الى تبعية أجنبية غريبة عنه وعن دينه وتاريخه ومجتمعه .

ولعل هذه الخطوة المباركة ترضى كتابنا الكبار ، وقراءنا الأعزاء .. والى مزيد من التقدم بعون الله وتوفيقه .

العقل في تفسير المنار

للدكتور
أحمد الشرباصي

من المناسب ان نذكر كلمة عن الناحية العقلية فى تفسير المنار ، لأن التفسير بالعقل كما عرفنا يدفع الى التدبر فى معانى الألفاظ والعبارات ، وهذا جهد لغوى وأدبى ، يستتبع فى كثير من الأحيان الاستشهاد او الاستئناس للتفسير المختار بشواهد من بليغ الكلام العربى .

والاحتكام الى العقل ظاهرة واضحة فى « تفسير المنار » ، وفى القدر المشترك بين محمد عبده ورشيد رضا على وجه التخصيص .

ورشيد رضا يرى ان اصول الدين فى العقائد وحكمة التشريع مبنية على ادراك العقل لها ، واستبانته لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد ، وسد ذرائع الفساد (١) .

ومن امثلة الجنوح الى العقل فى « تفسير المنار » القول بأن جنة آدم وحواء التى كانا فيها ثم اخرجا منها هى بستان من البساتين ، كان آدم وزوجه منعمين فيها ، وأنه ليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها .
ويعتمد التفسير هنا على ان الجنة — كما يفهمها اهل اللغة — هى البستان ، او المكان الذى تظلله الأشجار بحيث يستتر الداخل فيه (٢) .

وكذلك من أمثلة الجنوح الى العقل فى « تفسير المنار » أن يقرر أنه ليس هناك نص على ان « حواء » خلقت من ضلع آدم ، وان قوله تعالى :

« **وخلق منها زوجها** » ليس نصا فى ذلك ، لأن المعنى : خلق من جنسها ، مثل قوله تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا** » .

وأما الحديث الذى يقول : «**فان المرأة خلقت من ضلع أعوج** » فهو على حد قوله تعالى : «**خلق الانسان من عجل** (٣) » .

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره تفسير المنار فى قوله تعالى : « **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن** » حيث قال : « الكلمات جمع كلمة ، وتطلق على اللفظ المفرد ، وعلى الجمل المفيدة من الكلام ، والمراد منها هنا مضمونها من أمر ونهى » . ثم جاء فيه بعد ذلك : « ولم يذكر الكلمات ما هى ، ولا الاتمام كيف كان ، لأن العرب تفهم المراد بهذا الابهام والاجمال ، وأن المقام مقام اثبات أن الله تعالى عامل ابراهيم معاملة المبتلى ، أى المختبر له ، لتظهر حقيقة حاله ، ويترتب عليها ما هو أثر لها ، فظهر بهذا الابتلاء والاختبار فضله ، باتمامه ما كلفه الله تعالى اياه ، واتيانه به على وجه الكمال » .

هذا هو المتبادر ، ولكن المفسرين لم يألوا فى تفسير الكلمات والخبط فى تعيينها (٤) .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره التفسير عن قوله تعالى : « **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** » حيث اختار التفسير أن « المصلى » هنا موضع الصلاة بمعناها اللغوى العام ، وهو الدعاء والتوجه الى الله تعالى وعبادته مطلقا ، وقال رشيد ان حمل الصلاة هنا على معناها اللغوى أظهر (٥) .

ومن اللمحات العقلية اللغوية البلاغية الرائعة ما جاء فى تفسير المنار عن قوله تعالى « **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا** » ، حيث قال بعض المفسرين ان لفظ « مثل » هنا زائد ، ولكن صاحب تفسير المنار يعلق على ذلك بقوله :

« واستنكر الاستاذ الامام ذلك واستكبره كعادته ، فانه يخطىء كل من يقول : ان فى القرآن كلمة زائدة ، أو حرفا زائدا ، وقال : « ان (لمثل) هنا معنى لطيفا ونكتة دقيقة .

وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على الأنبياء ، ولكن طرأت على ايمانهم بالله نزغات الوثنية ، وأضاعوا لباب ما أنزل على الأنبياء ، وهو الاخلاص والتوحيد وتزكية النفس ، والتأليف بين الناس ، وتمسكوا بالقشور ، وهى رسوم العبادات الظاهرة ، ونقصوا منها وزادوا عليها ما يبعد كلا منهم عن الآخر ، ويزيد فى عداوته وبغضائه له ، ففسقوا عن مقصد الدين من حيث يدعون العمل بالدين .

فلمابين الله لنا حقيقة دين الأنبياء ، وأنه واحد لا خلاف فيه ولا تفريق ، وأن هؤلاء الذين يدعون اتباع الأنبياء قد ضلوا عنه فوقعوا فى الخلاف والشقاق ، أمرنا سبحانه وتعالى أن ندعوهم الى الايمان الصحيح بالله ، وبما أنزل على النبيين والمرسلين ، بأن يؤمنوا بمثل ما نؤمن نحن به ، لا بما هم عليه من ادعاء حلول الله فى بعض البشر ، وكون رسولهم الها ، أو ابن الله ، ومن التفرق والشقاق لأجل الخلاف فى بعض الرسوم والتقاليد .

فالذين يؤمنون به فى الله ليس مثل الذى نؤمن به ، فنحن نؤمن بالتنزيه ، وهم يؤمنون بالتشبيه ، وعلى ذلك القياس .

فلو قال : فان آمنوا بالله وبما أنزل على أولئك النبيين وما أوتوه ، فقد اهتدوا ، لكان لهم أن يجادلوا بقولهم : اننا نحن المؤمنون بذلك دونكم ، ولفظ (مثل) هو الذى يقطع عرق الجدل .

على أن المساواة فى الايمان بين شخصين ، بحيث يكون ايمان أحدهما كايمان الآخر ، فى صفته وقوته وأنطباقه على المؤمن به ، وما يكون فى نفس كل منهما من متعلق الايمان ، يكاد يكون محالا ، فكيف يتساوى ايمان أمم وشعوب كثيرة ، مع الخلاف العظيم فى طرق التعليم والتربية والفهم والادراك .

ولو كانت القراءة : (فان آمنوا بما آمنتم به) — كما روى عن ابن عباس فى الشواذ — لكان الأولى أن يقدر (المثل) ، فكيف نقول — وقد ورد لفظ (مثل) متواترا : انه زائد ؟ (٦) » .

ومن أمثلة استخدام العقل فى « تفسير المنار » ما جاء فيه بشأن الحجر الأسود ، حيث قرر انه لا مزية له فى ذاته ، فهو كسائر الحجارة ، وانما استلامه أمر تعبدى ، فى معنى استقبال الكعبة ، وجعل التوجه اليها توجها الى الله الذى لا يحدده مكان ، ولا تحصره جهة من الجهات (٧) .

وكذلك ما جاء فى « تفسير المنار » عن صخرة بيت المقدس ، حيث ذكر انها ليست بأفضل من سائر الصخور فى مادتها وجوهرها ، وليس لها منافع أو خواص لا توجد فى غيرها ، ولا هيكل سليمان نفسه — من حيث هو حجر وطين — أفضل من سائر الأبنية ، وكذلك يقال فى الكعبة والبيت الحرام (٨) .

ولا شك أن تفسير النص القرآنى فى ضوء العقل وفقه اللغة العربية التى نزل بها القرآن ، يعطى الاسلام قوة وصلابة عند الذين يعتزون بالعقل والعلم المادى ، ولذلك يروى السيد رشيد رضا أن أحد النوابغ من رجال القضاء الأذكياء قال للأستاذ الامام : « انك بتفسيرك للقرآن بالبيان الذى يقبله العقل ، ولا يأباه العلم ، قد قطعت الطريق على الذين يظنون أنه قد اقترب الوقت الذى يهدمون فيه الدين ، ويستريحون من قيوده ، وجهل رجاله وجمودهم » .

ويعلق السيد رشيد على هذا بأنه اتبع طريقة العقل مع بعض المنكرين لوجود الله تعالى ، فلم يستطيعوا لها دحضا (٩) .

ولكن مدرسة « تفسير المنار » التى جعلت من أهدافها التوفيق بين الدين والعقل ، أصابها طائف من المبالغة ، حيث أسرفت أحيانا فى الخضوع للعقل ، وهو أمام الغيب قاصر مهما كانت قوته ، وأسرفت أحيانا فى الحذر والاحتراس من تقبل الغيبيات والتسليم بها ، واذا كان الناس قد حمدوا لها تحديد نطاق الخوارق والغيبيات فى تفسير القرآن الكريم ، وتوفيقها بين كلام الله وسنته الكونية المألوفة ، ومقاومتها طوفان الخرافات والاسرائيليات والأساطير التى تسربت الى رحاب التفسير ، واستعانتها بمقررات العلم الحديث فى اقناع أهله بالدين وتعاليمه . . .

اذا كان الناس قد حمدوا لها هذا كله ، فانهم قد فزعوا حين رأوا الأمر قد زاد عن حده ، فكاد ينقلب الى ضده ، ومن أمثلة المبالغة فى تحكيم العقل فى « تفسير المنار » ذكره أن الملائكة هى القوى والأفكار الموجودة فى النفوس ، وأن المراد بسجود الملائكة لآدم هو تسخير القوى للانسان فى هذه الحياة ، وان قصة آدم بما فيها من محاورة الملائكة ، وتعليمه الأسماء ، وسجود الملائكة له . . . الخ ، هى من باب « التمثيل » ، لأنها وقعت بالفعل (١٠) . . . . . الخ .

والعجيب أن السيد محمد رشيد رضا قد أشار الى خطأ من يقول ان الدليل العقلى هو الأصل ، فيرد اليه الدليل السمعى ، ويجب تأويله لأجل موافقته له مطلقا ، ويعلق رشيد على هذا بقوله :

« والحق كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ان كلا من الدليلين اما قطعى ، واما غير قطعى ، فالقطعيان لا يمكن أن يتعارضا ، حتى نرجح أحدهما على الآخر ، واذا تعارض ظنى من كل منهما مع قطعى ، وجب ترجيح القطعى مطلقا ، واذا تعارض ظنى مع ظنى من كل منهما رجحنا المنقول على المعقول ، لأن ما ندركه بغلبة الظن من كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بغلبة الظن من نظرياتنا العقلية التى يكثر فيها الخطأ جدا (١١) » .

ليت ما فى « تفسير المنار » كله خضع لهذه القاعدة المعتدلة المستقيمة .

* * * * * * * * *

والعجيب أيضا أن الدكتور طه حسين قال لى عن اخضاع التفسير للعقل : « لى على الشيخ محمد عبده اعتراض ، فان تأويله لنصوص القرآن ، وحرصه على أن يكون نص القرآن ملائما كل الملاءمة للعلم الحديث ، مما أخالفه فيه ، فهو مثلا يقول عن الحجارة الموصوفة فى سورة الفيل بأنها من سجيل : انها جراثيم (١٢) وهذا توسع فى تحكيم العقل ، والمسلمون الأوائل وهم صحابة الرسول لم يفهموا هذا .

والله يفعل ما يشاء ، ولكن الانسان يفعل ما يستطيع ، والانسان الآن قد وصل الى القنبلة الذرية والهيدروجينية والغازات السامة ، مما لم يكن العرب يعرفونه فى ذلك الوقت ، فالله يخبرنا بأنه أرسل حجارة من سجيل ، ولا بد أن آخذ القرآن بلا تأويل ، وأن أقبل النص القرآنى كما هو ، والعلم لم يحط بكل شىء ، والله وحده هو الذى يعلم كل شىء » .

ثم أضاف الدكتور طه قوله : « ان بعض المستشرقين يذهب هذا المذهب ، فيقول ان الفيل لم يكن فيلا ، بل كان قائدا من قواد الروم جاء مع أبرهة ، واسمه (أفيلاس) ، وقد سمعت هذا من المسيو جاستون فييت الذى كان مديرا لدار الآثار العربية » .

* * * * * * * * *

اشارات اجتماعية وسياسية :

من الأمور التى لاحظتها فى تفسير المنار أن رشيدا كان ينتهز فرص التفسير ليضع فى كلامه اشارات اجتماعية أو سياسية ، تتعلق بالوطن العربى ، أو العالم الاسلامى ، ومن أمثلة ذلك أنه فى الجزء الأول يشير الى النزعة الفرعونية التى بدت من بعض المصريين ، ودفعتهم الى بغض اخوانهم فى اللغة والدين ممن هاجروا الى مصر ، وقال رشيد هذا سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) ، ولما جاءت سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) أضاف الى قوله السابق ان تلك النزعة الفرعونية قد قويت عند القبط وزنادقة المسلمين (١٣) . ورشيد قد لقى متاعب من هؤلاء .

ومن أمثلة ذلك أيضا أنه تعرض فى سورة الأعراف لتفسير قوله تعالى : **« قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب »** وفى نهاية تفسيره للآية قال : « اللهم تب على أمتنا ، وارفع عنها رجس الأجانب الطامعين ، وأعوانهم المنافقين (١٤) » .

وهو قد قال هذا سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) والاحتلال البريطاني جاثم على البلاد ، والثورة المصرية تجاهد لزحزحته ، وبعض الخونة يسير فى ركاب الانجليز .

ومن أمثلة ذلك أيضا أنه فى تفسيره لسورة الأعراف يتحدث عن اباحة الحكومة المصرية للزنى ، وسكوت علماء الدين على ذلك ، ويقول ان هذا باغواء الافرنج ، كما يتحدث عن دعوة بعض المصريين الى أن تكون حكومة مصر غير دينية ، وأن تلغى المحاكم الشرعية اقتداء بالحكومة التركية ، وأن مصطفى كمال أتاتورك فى الوقت نفسه استدل على جواز اقامة التماثيل شرعا بوجودها منصوبة فى مصر . (١٥) .

وعندما يفسر السيد رشيد قول الله تعالى فى سورة هود : ((**واتبعوا أمر كل جبار عنيد**)) يعرض بالملوك الطغاة المستبدين ، ويقول : « فهل يعتبر بهذا بقايا الملوك الجبارين فى الأرض قبل انقراضهم (١٦) » .

وعندى أن هذه الاشارات السياسية والاجتماعية لها قيمتها الكبيرة ، فهى تعطينا ملامح للعصر الذى عاش فيه رشيد ، وتعرفنا بالتيارات والأحداث التى كانت خلاله ، كما أننا نفهم منها أن رشيدا لم يكن بمعزل عن مجتمعه ، بل كان يمتزج به ، ويتعرف اليه ، ويحكم عليه ، وكان أيضا يستخدم كتابته ـ حتى فى التفسير ـ للحث على ما يؤمن به ، وللتنفير مما يراه ضارا أو سيئا .

ومن المفيد جدا أن يتتبع متتبع هذه الاشارات خلال التفسير ، وخلال آثار رشيد الأخرى ، وبذلك التتبع تتكامل صورة واضحة المعالم لتأثر رشيد بعصره ، وتأثيره فى عصره ، ولجوانب هذا العصر بما فيه من اتجاهات وتيارات .

* * *   * * *   * * *

ملاحظات على تفسير المنار :

الاحظ على « تفسير المنار » ما يلى :

أولا : الاستطرادات الطويلة التى تشبه البحوث المستقلة ، والتى توجد فجوات واسعة ، تحول دون متابعة التفسير ، ورشيد نفسه يشير الى هذه الاستطرادات ، ويقول : « وأستحسن للقارىء أن يقرأ الفصول الاستطرادية وحدها ، فى غير الوقت الذى يقرأ فيه التفسير » (١٧) .

ثانيا : الأسلوب الخطابى الذى يبدو أحيانا فى « تفسير المنار » ، ولعل رشيدا نفسه قد أحس بهذا اللون الخطابى الذى يفتح الباب للتطويل والاسهاب، فعمد الى اختصار « تفسير المنار » فى أجزاء موجزة تحت عنوان : « التفسير المختصر المفيد » ، الذى يمكن أن يزداد علمنا بأمره عند الحديث عن كتب رشيد رضا .

ثالثا : عدم الاستقرار أحيانا فى التفسير ، ومن أمثلة ذلك أنه تكلم عن السبب فى عدم نزول : ((**بسم الله الرحمن الرحيم**)) فى أول سورة التوبة ، فقال :

« ولذلك لم تنزل البسملة فى أول سورة التوبة التى فضحت آياتها المنافقين ، وبدئت بنبذ عهود المشركين ، وشرع فيها القتال بصفة أعم مما أنزل فيما قبلها من أحكامه » (١٨) .

فنفهم من هذا أن عدم ذكر البسملة هو ان السورة منذرة ، وليست موطنا داعيا الى التحدث عن الرحمة التى ذكرت كثيرا فى القرآن ، ولكن رشيدا يعود فى الجزء العاشر من التفسير الى الحديث فى الموضوع ، فلا يجعل هذا القول هو المختار ، بل يقول عن سورة التوبة : « ولم يكتب الصحابة ولا من بعدهم البسملة فى أولها ، لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور ، هذا هو المعتمد المختار فى تعليله ، وقيل : رعاية لمن كان يقول انها مع الأنفال سورة واحدة ، والمشهور أنه لنزولها بالسيف ونبذ العهود ، وقيل غير ذلك مما فى جعله سببا وعلة نظر (١٩) .

ففى الموطن الاول يلوح لنا ان رشيدا قد اختار الرأى القائل بأن سورة التوبة حذفت منها البسملة لأنها انذار وتشريع قتال ، وفى الموطن الأخير يرى أن المعتمد المختار غير ذلك ، وكلمة « المشهور » التى ذكرها لاتقطع بأن هذا هو المعتمد ، فقد يكون هناك قول مشهور ، ومع ذلك لا يكون هو المعتمد المختار .

ومن أمثلة ذلك أيضا أنه تحدث فى الجزء الأول من التفسير عن اسم الله الأعظم ، فقرر أن اسمى « الحى والقيوم » هما مع اسم الجلالة (الله) : « ما يعبر عنه بالاسم الأعظم ، وهو القول الراجح عندنا » .

ولكنه حينما بلغ تفسير قوله تعالى : **((الله لا اله الا هو الحى القيوم))** فى الجزء الثالث قال كلاما لا يفيد تأكيده لما سبق أن قرره . انه قال : « وهذا الذى قلناه فى بيان معنى (الحى القيوم) يجلى لمن وعاه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذا هو الاسم الأعظم ، أو قال (أعظم أسماء الله الحى القيوم) ، وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، عن أسماء بنت يزيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (**اسم الله الأعظم**) فى هاتين الآيتين : **(والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم)** وفاتحة آل عمران : **((ألم ، الله لا اله الا هو الحى القيوم)** (٢٠) .

فهو فى الموطن الأول صرح بأن الاسم الأعظم يتكون من ثلاثة أسماء : « الله ، الحى ، القيوم » ، ولكنه فى الموطن الأخير لم يصرح بذلك ، بل أفهمنا أن الاسم الأعظم يتكون من اسمين هما « الحى ، القيوم » ، وان كنا نستطيع أن نستنبط من الشواهد التى ذكرها الأسماء الثلاثة التى يتكون منها الاسم الأعظم .

رابعا : العجلة أحيانا فى كتابة التفسير ، وعدم التهيؤ الكافى لصياغته باتقان واحسان ، وكل لون من ألوان الكتابة قد تحتمل فيه العجلة ، الا كتاب الله العلى الأعلى ، فانه يلزمه التدبر ، والاستعداد ، والتفرغ عند كتابة تفسيره .

ورشيد ــ كما يحدثنا ــ كان يكتب التفسير أحيانا وهو على سفر ، وهو مثلا يقول فى حديثه عن رحلته الى الحجاز : « وتأخرت عنهم لاتمام ما كنت بدأت من كتابة نبذة من التفسير للمنار ، لارسالها مع البريد من جدة ، مع كتابة ما لا بد من كتابته الى مصر (٢١) .

وأغرب صور العجلة وقلة الاستقرار فى كتابة رشيد للتفسير هو ما فعله فى الجزء الخامس من « تفسير المنار » ، مما ترشدنا اليه عبارة ختم بها هذا الجزء ، وفيها يقول :

« تم الجزء الخامس من التفسير ، وقد نشر في المجلد الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من المنار ، بدأت بكتابة هذا الجزء وأنا في القسطنطينية سنة ١٣٢٨ هـ ، ففاتني تصحيح ما طبع منه في أثناء رحلتي تلك ، وأتممته في أثناء رحلتي هذا العام (١٣٣٠ هـ) الى الهند . فمنه ما كتبته في البحر ومنه ما كتبته في المدن والطرق بالهند ومنه ما كتبته في مسقط والكويت والعراق ، وقد أتممته في المحجر الصحي بين حلب وحماة ، في أوائل شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف ، ونشر آخره في جزء المنار الذي صدر في آخر رمضان ، ولم أقف على تصحيح شيء مما كتبته في أثناء هذه الرحلة أيضا (٢٢) » .

لعل رشيدا أراد بهذا أن يشير الى اقتداره على الكتابة وهو مشغول أو غير مستقر ، أو لعله أراد بذلك أن يلتمس لنفسه عذرا فيما يحدث من تقصير أو من هفوات الطبع ، ومهما يكن الدافع فتفسير كتاب الله ينبغي له الاستقرار والتفرغ .

ولا يستطيع عارف بقدر كتاب الله تعالى أن يرتضي خطة رشيد في كتابته التفسير التي يقول عنها : « وإننا نكتب التفسير دائما في وقت ضيق ، ونعطي ما نكتبه للمطبعة من غير قراءة ولا مراجعة ، ثم لا نراه الا عند تصحيح ما يجمع في المطبعة ، وكلما جمع شيء يطبع ، وان لم تتم كتابة ما يتعلق به (٢٣) » .

خامسا : انتقال تفسير المنار من مختصر ، الى متوسط ، الى طويل ، فرشيد يذكر في نهاية تفسير «الفاتحة» المنشور في الجزء الاول من «تفسير المنار» أن غرضه الأول من كتابة تفسير الفاتحة ، ونشره في مجلة المنار ، كان بيان ما يستفيده من دروس شيخه الاستاذ الامام ، مع شيء مما يفتح الله به عليه في ايجاز .

فاختصر فيما كتبه أولا ، ولما طبع تفسير الفاتحة على حدته زاد فيه بعض الزيادات ، وكان قد بدا له أن يجعل هذا التفسير مطولا مستوفى . ولما بدأ طبع الجزء الأول من التفسير ، وانتهى من طبع الصفحات الخاصة منه بتفسير الفاتحة ، عززه بفوائد ألحقها بآخر تفسير هذه السورة (٢٤) .

ولقد صرح رشيد في مواطن أخرى بأنه يدخل تنقيحا واضافة على التفسير بعد نشره في المجلة ، مثل أن يقول : « وبعد أن طبع تفسير تلك الآية (٢٥) في المنار نقحناه ، وزدنا فيه فوائد أثبتناها في نسخة التفسير التي تطبع على حدتها (٢٦) .

ولو أن رشيدا كان في هذه التغييرات يسير على نظام محدد واضح لهان الخطب ، ولكنه تارة يضع الاضافة في وسط الكلام ، وتارة يضعها في الهامش ، وتارة يجعلها في آخر الموضوع ، وتارة يجعلها في نهاية الجزء مع استدراكات أخرى .... الخ.

التفسير بعد رشيد :

انتهى رشيد رضا رحمه الله في التفسير الى الآية الحادية بعد المئة من سورة يوسف ، وهي : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين » .

ثم لحق رشيد بربه ، وكان من حوارييه وأصدقائه العالم السوري الشيخ محمد بهجة البيطار ، فواصل البيطار تفسير سورة يوسف حتى نهايتها ، وقد نشر تفسير هذه السورة مستقلا في كتاب كتب مقدمته الشيخ البيطار ، كما نشر في الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المنار .

ثم طلب الاستاذ محيي الدين رضا ـ ابن اخي رشيد رضا ـ من الأستاذ البيطار ان يواصل كتابة التفسير لنشره في مجلة « المنار » التي اريد لها ان تستمر ، فأستجاب البيطار لذلك ، وبين يدي رسالة منه الى الأستاذ محيي الدين رضا بتاريخ ٢٠ ربيع الأنور سنة ١٣٥٥ هـ . ومنها قوله : « اما اتمام هذا التفسير الكبير : تفسير المنار المنير ، المنقطع النظير ، فأي مانع يمنعني منه ، لولا الشعور بالضعف والتقصير ؟ . على انني اعتزمت بحول الله وتوفيقه المضي في هذه السبيل : سبيل اتمامه .. » الخ ..

ولكن ، ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، فلم يستمر صدور « المنار » طويلا ، وبوقوفه عن الصدور انقطع التفسير . ثم حاول الأستاذ حسن البنا أن يواصل التفسير ، فيبدأ من حيث انتهى السيد رشيد رضا رحمه الله والأستاذ البيطار ، وكتب فعلا تفسيرا لجانب من سورة الرعد نشر في الأعداد الستة التي أصدرها من المنار بعد وفاة السيد رشيد كما عرفنا ، ثم وقف المنار عن الصدور ، فانقطع بذلك التفسير .

. . .   .

اقتراحي بشأن تفسير المنار :

أقترح ما يلي بشأن تفسير المنار :

١ ـ طبع هذا التفسير طبعة مصححة متقنة مضبوطة ، لأن الطبعة الأولى منه نادرة جدا ، والطبعتين اللتين صدرتا منه بعد ذلك مليئتان بالأخطاء المطبعية ، حتى انك تجد الجزء من اجزائها وقد الحقت به قائمة لتصحيح الأخطاء تستغرق نحو ثلاث عشرة صفحة او اكثر .

٢ ـ وضع الترقيم الكافي في هذه الطبعة المقترحة ، لتمييز كلام الأستاذ الامام من كلام السيد رشيد ، على قدر الامكان .

٣ ـ ضبط الكلمات الغريبة في التفسير بالشكل ، وتوضيحها بالشرح المختصر ، لأن الطبعات السابقة لم يشكل فيها الا نص الآيات عند ذكرها لأول مرة ، وفيها مفردات غريبة تركت بلا ايضاح .

٤ ـ التعليق على ما يحتاج الى تعليق من التفسير .

٥ ـ الحاق الاستدراكات والتصويبات التي ذكرها رشيد في أواخر الأجزاء بأماكنها المتعلقة بها داخل كل جزء .

٦ ـ استنهاض همم المتخصصين في التفسير الى اكمال تفسير القرآن الكريم ، على الخطة التى سار عليها الأستاذ الامام والسيد رشيد رضا ، ومن حيث انتهيا ، فان ذلك أجدى على المسلمين من عودة كل كاتب فى التفسير الى فاتحة المصحف والبدء منها فى التفسير .

٧ ـ استنهاض همة بعض المتخصصين فى التفسير لاكمال ما شرع فيه رشيد من كتابة « تفسير مختصر مفيد » يستخلص من تفسير المنار الكبير .

لقد وجدنا من يخلف الشيخ محمد عبده فى شخص السيد محمد رشيد رضا ، فهل نجد من يخلف السيد رشيد رضا ؟ .

---

(١) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٢١ .

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٦١ و ٤٦٢ .

(٦) تفسير المنار ، ج ١ ص ٤٨٤ .

(٧) تفسير المنار ، ج ١ ص ٤٦٧ .

(٨) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣ .

(٩) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٧٤ .

(١٠) انظر تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ .

(١١) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(١٢) ذكر الأستاذ الامام فى تفسير « جزء عم » أن داء الجدرى والحصبة فشا فى الجيش المهاجم للكعبة ، فكان سبب ذلك الهلاك ، كما ذكر أن الطير الأبابيل قد تكون من جنس البعوض والذباب الذى يحمل جراثيم الإمراض . (انظر ص ١٢٠) .

(١٣) تفسير المنار ، ج ١ ص ٣١٢ .

(١٤) تفسير المنار ـ ج ٨ ص ٤٩٩ وقد بدأ رشيد فى كتابة هذا الجزء فى رمضان سنة ١٣٢٨ هـ

(١٥) المرجع السابق ص ٥٣٢ .

(١٦) تفسير المنار ـ ج ١٢ ص ١٢٠ وقد بدأ رشيد فى تفسير هذا الجزء سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤) م .

(١٧) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٦ .

(١٨) تفسير المنار ، ج ١ ص ٧٦ .

(١٩) تفسير المنار ، ج ١٠ ص ١٧٤ .

(٢٠) تفسير المنار ، ج ٣ ص ٢٨ .

(٢١) المنار ، المجلد ٢٠ ص ١٠٨ .

(٢٢) تفسير المنار ، ج ٥ ص ٤٧٦ وانظر مثل هذا فى ج ٤ ص ٤٨١ .

(٢٣) تفسير المنار ، ج ٧ ص ٩٤ .

(٢٤) انظر تفسير المنار ، ج ١ ص ٧٢ .

(٢٥) هى قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ....» فى أول سورة النساء .

(٢٦) المنار ، المجلد ١٣ ص ٣١ .



سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع وكبار ضباط الجيش يؤدون الصلاة على روح الشهيد النقيب على احمد النصار الذى استشهد يوم الجمعة ١٩٧٠/٦/٢٦ وهو يؤدى واجبه دفاعا عن الارض والكرامة العربية على جبهة قناة السويس .

أسماء الشهداء

النقيب على احمد النصار
الرقيب على محمد سلطان
العريف فرحان حمود الرشيدى
نصار نادى الرشيدى
وكيل العريف مسلط محمد المطيرى
سعيد سعد الرشيدى
سعود براك العتيبى
مفرح دخيل العنزى
عشرى فرحان العنزى
خنفور حمود الرشيدى
نايف حمود الشمرى
مقعد حبيليص العتيبى
مطر عبد الرحمن منشد العتيبى
مسعود عويض الحربى
رزيق زيدان الرشيدى
محمد فارس العجمى
محمد مطلق العتيبى

مَوكبُ

* هؤلاء الذين سبقوا الى الرفيق الاعلى فى روضات الجنات طليعة المجاهدين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم فى الكويت ، وحملوا السلاح ووقفوا صفا بجانب اخوانهم المقاتلين فى دار الاسلام على ضفة القناة يقاتلون رعاع الارض الذين اعتدوا اليوم على المسلمين كما اعتدى آباؤهم من قبل على النبيين والمرسلين ..

* هؤلاء الطليعة الذين استشهدوا من أبناء لواء اليرموك الكويتى فى معارك الصهيونية الباغية — غصن مورق فى شجرة باسقة ، متعددة الاغصان ، ممتدة الجذور طالما رويت بالدماء الزكية لاصحاب العقيدة الذين نذروا أنفسهم لله وعرفتهم ميادين الموت



سمو الشيخ جابر الاحمد ، ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء واصحاب السعادة الشيوخ والوزراء وكبار الشخصيات يؤدون الصلاة على أرواح الشهداء الذين جادوا بأرواحهم دفاعا عن الحق العربى على جبهة القتال فى السويس ..

الشهداء

وساحات الوغى أبطالا يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

* سل عنهم العدوة الدنيا والعدوة القصوى فى بدر ، وسفوح الجبال فى احد ، والبطاح المنبسطة فى حنين والتلال المتراكمة فى حطين ، والدروب والمنعرجات فى فلسطين .. سل عنهم شمال افريقيا ومضايق الاندلس وسهول الصين ، ووديان السند واحراش الهند .. وأسوار القسطنطينية .. بنوا على أجسادهم تاريخ دينهم ، وسجلوا بدمائهم حرية أمتهم .

وللحرية الحمراء باب　　　بكل يد مضرجة يدق

* ان الشهادة فى ميزان العقيدة منزلة يسارع اليها ، ويهنأ بها ، وليست مصيبة يجزع منها أو يساق فيها العزاء .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — لما أصيب اخوانكم جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد انهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ عنا اخواننا اننا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم قال : فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ▪

التوازن والتركيب

في منهجية الفكر الإسلامي

للأستاذ : رمضان لاوند

ثلاثة مناهج فكرية ظهرت فى غربى المتوسط وشرقيه ابتداء من العصور اليونانية القديمة حتى اليوم :

١ — منهج يعتمد على العمليات العقلية النظرية التى تنضبط بعلم المنطق الأرسطى .

٢ — منهج يعتمد على البحث العلمى ، وينضبط بالأبعاد المادية لأشيـاء المعرفة باعتباره أداة المعرفة الوحيدة .

٣ — منهج يعتمد على كل من العمليات العقلية النظرية والمادية الموضوعية وارادة الابداع والوعى الوجدانى معا فى جملة واحدة وبأقدار متوازنة موزونة .

المنهج الأول جاء به اليونان القدماء ، والمنهج الثانى جاء به الغرب المعاصر منذ عصر النهضة ، أما المنهج الثالث فهو المنهج الاسلامى .

فى ضوء هذا التصنيف نواجه تراث المعرفة الانسانيـة فى حوض البحر

الابيض المتوسط ، وفيما يلى نقرر الوقائع والملاحظات النابعة من هذا التصنيف بالذات :

الفكر اليونانى القديم :

عندما اعلن طاليس الفيلسوف اليونانى الأول ان الماء اصل الوجود ، وكان ذلك فى القرن السادس قبل الميلاد ، فقد اعلن فى الحقيقة نشوء ما يمكن أن نطلق عليه اسم (المنهج الفكرى الهندسى) .

والملاحظ ان كل الفلاسفة الطبيعيين الذين جاؤوا بعد طاليس او عاصروه قد صدروا فى نظرياتهم التى عللوا بها اصل الوجود عن هذا (المنهج الفكرى الهندسى) نفسه ، فاعلنوا على التعاقب ان الهواء او العناصر الاربعة او النار هى اصل الوجود .

والظاهرة نفسها قد تكررت حين جاء من يمكن ان نطلق عليهم اسم (فلاسفة الوجود) فقد اصروا جميعا على اعتبار الوجود اصلا للموجودات كلها بالرغم من ظاهرة التجريد التى تميزت بها فلسفاتهم .

والقول هو نفسه عند كل طبقات الفلاسفة والمفكرين اليونان بما فيهم ارسطو نفسه الذى كانت مهمته جمع طرائق التفكير التى وقع عليها فى التراث اليونانى السابق واساليب المناقشة ، واطلاق اسم (علم المنطق) عليها .

وقد اعتبر ارسطو واضع علم المنطق تجوزا مع العلم انه قد أوتى موهبة الجمع والتنسيق ، وليس بالقليل ان يؤتى المرء مثل هذه الموهبة .

وعندما نعلم ان علم المنطق (الأداة المنظمة للعمليات العقلية) هو العلم الذى يعتبر الوجود كله ــ بما فيه الانسان نفسه ــ مجموعة من العلاقات المنطقية ، نستبين من ثم مدى اغفال هذا العلم لكثير من العلاقات والحقائق الكونية والانسانية الأخرى .

وقد يكون من المفيد هنا ان نستشهد براى مفكر غربى كبير ينقد الفكر الارسطى ، ويعطينا صورة واضحة عنه ، يقول ويل ديورانت فى ص ١٢٠ من كتابه (قصة الفلسفة) فى الترجمة العربية للدكتور فتح الله محمد المشعشع :

« وهذا يجعله (أى ارسطو) يطوف فى كل علم ويورطه فى مقدمات واسعة ، وهنا يكمن عيب اليونان الكبير الذى كان يعوزه النظام والتحديد والتقاليد الثابتة ، فقد جال بحرية فى ميدان غير محدود ، وجرى طوعا الى النظريات والاستنتاجات ، وبذلك حلقت الفلسفة اليونانية ، وتعثرت فوق مرتفعات لا يمكن بلوغها مرة ثانية بينما تخلف العلم اليونانى وراءها الخ » .

هنا يتهم الناقد الاميركى فكر ارسطو ومنطقه بوضع مقدمات خيالية نابعة من افتراضات قد تشكل فى النهاية فكرا متناغم الاجزاء ، ولكنه لا يمثل الواقع ، فالانسان عند ارسطو ظاهرة منطقية متناغمة ، ولكنها ليست الانسان الواقعى الذى يفكر وينفعل ويريد ويوجد ما يشاء ويعدم ما يشاء ، وبالتالى الانسان المركب من عناصر متباينة ومتداخلة ومتوازنة فى الوقت نفسه ، ان ويل ديورانت يتهم فكر ارسطو بالخيالية والافتراضات التى لا علاقة لها بالواقعية العلمية .

كل الفلاسفة والمفكرين اليونانيين كانوا ينطلقون من منهج واحد هو منهج

التفكير الهندسي البسيط وهو تفكير يتناقض تناقضا تاما مع بنية الطبيعة والكون وبصورة خاصة مع بنية الكائنات الحية ، وفي مقدمتها الانسان نفسه .

الفكر الغربي الحديث :

ولو انتقلنا الى الفكر الغربي الحديث لوجدنا ظاهرة جديدة من حيث الشكل ولكنها قديمة من حيث المضمون والمحتوى هذا الفكر يجد في الوقائع المادية وأبعادها مصدرا وحيدا للمعرفة ، ومنهجا وحيدا لفهم الكون والطبيعة والانسان وبذلك يكون الانسان الذي هو الموضوع الرئيسي الذي يواجهنا باستمرار ، مجموعة من العلامات المادية المحضة .

فاذا كان الانسان الارسطي مجموعة من الافتراضات العقلية الخيالية النظرية للسبب الذي ذكره ويل ديورانت فان الانسان المفكر العلمي الحديث هو مجموعة من العلامات المادية والقوانين الفيزيائية والكيميائية ، ولما كانت القوانين التي تكشف من طبيعة هذه العلاقات علامة على وجود منهج هندسي يبسط الأشياء والوقائع الانسانية تبسيطا يخرج بها عن طبيعتها التوازنية ، فان من الطبيعي جدا ان نقول : ان الفكر الغربي الحديث بموضوعيته المادية هو ظاهرة جديدة مخالفة عن الفكر اليوناني المنطقي في الشكل ، ولكنها مشابهة له من حيث المضمون باعتبار أن الانسان في نظرهما هو مجموعة من العلاقات المادية الثابتة .

أما الفلسفات العقلية النظرية عند الغربيين بعد النهضة ، والتي خالفت الفكر المادي الموضوعي فهي لم تخرج عن كونها استمرارا للعقلية الارسطية القديمة التي تجعل من لعبة الفكر المنطقي ، والمهارات العقلية المتمثلة فيها ، ميزانا لحقائقها ووقائعها المختلفة ، واتهام هذه الفلسفات بالمثالية البرجوازية من قبل الماديين لا يغير شيئا من الحقيقة التي قررناها مع العلم أن بعض هذه الفلسفات قد نادى بنظريات ثنائية اعترفت بحقيقتي المادة والروح ، واعتبرتهما متساويتين في تمثيل الوجود ولا سيما الوجود الانساني .

المهم أن المنهج الفكري عند العقليين على اختلاف مدارسهم ، والماديين العلميين على اختلاف نظراتهم ، قد جعل من الكون والطبيعة والحياة حقائق عقلية نظرية أو علمية مادية وحسب .

الفشل :

من هنا مصدر العجز المفلس الذي اتصف به الفكر اليوناني الأرسطي حين ظهرت المدارس اليونانية المتأخرة والتي رفضت فلسفة ما وراء الطبيعة لتصبح مدارس سلوكية أخلاقية عملية ، من مثل المدارس الرواقية والكلبية وغيرهما ، ومن هنا أيضا مصدر الفشل الذي يسجله الفكر الغربي الحديث في استيعاب الحقيقة الانسانية ، وتعيين أبعادها ، ووضع الحلول المناسبة لها ، والسيطرة على الأزمات الاجتماعية والأخلاقية والنفسية التي تعصف بمجتمعات الغرب اليوم .

واذا كان العقل المعاصر ما يزال متمسكا بمنهجه الفكري المادي في مواجهة

قضايا الانسان والكون فلأن هذا المنهج يتميز بالبساطة والسهولة تماما ، كما بقى العقل اليونانى القديم متمسكا بمنطق أرسطو النظرى فى مواجهة قضايا الانسان والكون ، ذلك أن منطق أرسطو النظرى سلاح سهل يصلح لتأييد كل وجهات النظر ، وكل المواقف الفكرية المتناقضة .

فلو صح أن المنهج المادى هو المنهج الصحيح لمعرفة الكون والانسان ، لوجب أن تكون الفلسفة النابعة منه فلسفة وحيدة ، ولو صح أن المنهج المنطقى الأرسطى هو المنهج السليم لمعرفة الكون والانسان لوجب أن تكون الفلسفة النابعة منه فلسفة وحيدة أيضا .

وكما تمزق الفكر الحديث شيعا وفرقا مختلفة بسبب العجز فى منهجه ، فقد تمزق الفكر اليونانى بعد أرسطو وقبل أرسطو بسبب العجز فى منهجه أيضا .

لقد فشل هذا الفكر وذاك لأنهما يصران على تبسيط ظاهرتى الكون والانسان تبسيطا ساذجا يخرج بهما عن حقيقتهما الأصيلة .

الوهم الكبير :

أما القول بأن البناء العقلى المنطقى النظرى قد نجح فى تقرير الحقائق كلها فهو وهم كبير ، لأن التناغم والانسجام فى القضية العقلية المنطقية لا يعنى أنهما يمثلان الحقيقة ، فهما بالتالى يمثلان افتراضا نظريا متكاملا ، ولكنه فاقد لواقعية الحقيقة الحية ، وكذلك الشأن بالنسبة لبناء المعرفة العلمية المادية ، فقد نجح هذا البناء فى تحقيق أعظم المنجزات التكنولوجية ، ولكن المنجزات التكنولوجية شىء ، والحقائق الانسانية شىء آخر ، وليس أدل على ذلك من أن العلم الذى بلغ بتطبيقاته التكنولوجية مرحلة غزو الفضاء وتفجير الذرة ، هو نفسه الذى ما يزال عاجزا عن الاجابة على أبسط التساؤلات المتصلة بتوضيح العلاقة بين الدماغ والعقل ، أو العلاقة بين الارادة والعقل ، أو العلاقة بين الحياة والموت ، أو العلاقة بين الحياة والخلية ، عشرات من الأسئلة الاساسية والأولية يقف العلم أمامها عاجزا ، لأن قضاياها ليست فى متناول البحث العلمى .

ومع ذلك فالفكر العلمى مصر على تجاهل عجزه معتمد على منجزات المادية التى تساعده على التشويش على مخالفيه ، كما كان الفكر المنطقى القديم مصرا على تجاهل عجزه معتمدا على مهارته فى تأليف القضايا المنطقية التى يحاول أن يبهر بها مخالفيه ويشوش عليهم .

نقلة الى الاسلام :

وبعد ، فانه يجدر بنا وقد أدركنا جوانب العجز فى المنهجين الغربى الحديث واليونانى القديم ، أن نلقى نظرة على منهج الفكر القرآنى فى الاسلام .

المسلمون يعلنون أن القرآن الكريم قد طرح منهجا سليما يضع الكون والطبيعة والانسان فى صميم الصورة الحقيقية للخلق .

والمسلمون يقولون بعد تتبعهم لجوانب الشخصية القرآنية : ان منهجية الفكر الاسلامي ذات طابع توازني تركيبي ، فهى ترفض التبسيط الساذج فى الرؤية الفكرية لكل من اليونان القدماء والغربيين المعاصرين ، وهى تقرر أن الحفاظ على التوازن الدقيق بين عناصر المنهجية المركبة هو وحده الذى يحقق الرؤية الانسانية السليمة للانسان والطبيعة والكون .

نظرية التوازن :

جاء فى الآية ١٩ من سورة الحجر قوله تعالى : « والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون » وفى الآية ٢١ من السورة نفسها جاء قوله تعالى « وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .

النباتات الموزونة والتنزيل الذى يتحقق بقدر معلوم ، تقرر حقيقة واقعة هى استمرارية الأشياء منذ بدء الخلق حتى اليوم المرأة والرجل ، النبات والحيوان والانسان ، النسب القائمة بين هذه وتلك وأولئك ، ثم الأكوان كلها، النظام الفلكي ونظام بناء الذرة ، كل هذا مستمر متكرر بأقدار معلومة وباعداد موزونة ، العلاقة بين الخلية والخلية فى العضو الواحد ، والعلاقة بين العضو الواحد وبقية الأعضاء فى الجسد الواحد ، وكذلك الشأن فى العلاقة بين الأجهزة الداخلية فى الجسم ، ومن وراء ذلك كله تلك الأخلاط التى تنتشر فى الجسد الحى ، والتى ما تزال فى سلوكها التوازنى ظاهرة معجزة امام الأبحاث العلمية الحديثة .
يبقى أن نشير الى العلاقة المخفية بين الجسد والملكات النفسية المختلفة ، العقل والارادة والانفعال او العاطفة ، وهى علاقة تتحقق بها ظاهرة أخرى من ظاهرات التوازن المدهش العجيب .

فهل بعد هذا كله من يتنكر لظاهرة التوازن ؟ وهل هناك من يستطيع أن يفسر استمرارها ، وان يجد القانون العلمى الذى يستطيع بوسائل الأبحاث المخبرية أن يصفه ويتعرف الى أسراره ؟
التوازن حقيقة يعترف بها كل العلماء ، ويشهد آثارها كل المفكرين ، ويشعر بفعلها الأساسى فى تحقيق الاستمرار للوجود كل صاحب عقل .
وعندما نقول (توازن) فنحن بالتالى نرفض اية منهجية فى البحث لا تنطلق من النظرة التوازنية ، فالعقل لا يستقل بوجود الانسان ، وكذلك الارادة أو العاطفة ، لكن العلاقة التوازنية بين هذه الملكات النفسية المختلفة هى التى تتمثل بها ظاهرة الوحدة فى السلوك الانسانى ، ولما لم تكن الوحدة التى يحققها التجانس المتوازن بين العناصر المتعددة ، موقوفة على مخلوق معين ، فقد وجب أن نواجه ظاهرة الوحدة هذه متمثلة فى الكون كله ، وحقيقة مسلمة فى كل ميدان رعلى كل مستوى من المستويات .

ولما كان بحثنا متصلا بكل ظاهرات الوجود ، فقد وجب أن نتعرف الى كل عنصر من العناصر التى تتحقق بها وحدة الموجودات وظاهرة تجانسها ، فما هى هذه العناصر أو القوى المختلفة التى تتحقق بها رؤية متكاملة للكون والانسان .
لننظر فيما جاء من وحي الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ، ذلك أن مرتكز بحثنا هنا هو التعاليم القرآنية وحسب .

الارادة :

لا أحد يشك فى أن الارادة المبدعة التى تقرر حرية الانســان فى الحركة والسلوك والتصرف هى حقيقة انسانية واقعة ، ولكن الارادة التى هى الابداع الحرفى تحققه الانسانى لا تستطيع أن تفسر لنــا كل ظاهرات الخلــق ومجالى وجوده ، فهل نستطيع عن طريق القرآن الكريم أن نجد لهــذه الارادة دوراً فى ميدان غير ميدان النشاط الانسانى ، وعلى مستوى يتجاوز قدراته العملية ؟

ان لنا فى القرآن الكريم ما يساعدنا على تحقيق هذا الدور والتعرف اليــه لنقرأ الآية ٢٦٠ من سورة البقرة ، قال تعالى : (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) وها هى آية أخرى نقرأها فى سورة آل عمران الآية ٥٩ قال تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »

فى هاتين الآيتين ما يكشف عن نوع من انواع العلاقة بين الخلق وخالــق الخلق ، فاذا سأل ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيى الموتى كان الجواب هو التجربة العملية التى تكشف عن طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق ، هذه العلاقة متمثلة فى الارادة الالهية ، واذن فالله سبحانه وتعــالى يقرر أن العلاقــة المنطقية ، والعلاقة السببية المادية لا تستطيعان أن تفسرا الكيفية التى تم بها الخلق ، فهما اذا لا تصلحان للاجابة عن سؤال ابراهيم الخليل ابدا .

والشىء الذى يدعو الى الدهشة أن أصحاب هذين المنهجين عاجزون عن تجاهل دور الارادة المبدعة فى تحققها الانســـانى ، ومع ذلك فهم يتنكــرون لها بمحاولاتهم المستمرة فى الزعم بأنها خاضعة لقوانين ماديــة يجهلها العلم حتى اليوم ، ويصرون فى الوقت نفسه على التمسك بها حتى لا يقعوا فى التناقض فتبطل المنهجية العلمية المادية التى يتعلقون بها ويتنكرون لما سواها .

ويزيد فى عجبنا أن الكثيرين منهم ينادون بحرية الارادة فى عملها الابداعى ، ثم يرفضون المناداة بها حين يواجهون قضية أصل الكون ومصدر وجوده .

والفرق الظاهر بين ارادة الله للكون كله ، وارادة الانسان فى خلق أعماله هو الفرق بين حجم المخلوق لكل من الله والانسان ، ثم طبيعة العلاقة بينهما ، فالانسان هو جزء من الكون الذى خلقه الله ، واذن فان ارادته مرتبطة بعناصر وقوى وقوانين يخضع لها هذا الكون كله ، أما الله سبحانه وتعالى فهو فوق هذا الكون ومن ورائه ، واذن فان ارادته غير مرتبطة بأى عنصر أو قوة أو قانون فهى ارادة مطلقة ، واذا لم نسلم بصفة الاطلاق فى ارادة الله فنحن متناقضون مــع عنصر آخر يلعب دوراً خطيراً فى حياتنا هو العقل .

العقــل :

لا أحد يتردد فى أن العقل ظاهرة نفسية مسلمة ، وأنه الميزة التى يتميز بها الانسان من الحيوان والنبات فبالعقل ندرك قوانين الأشياء ، والعلاقة الثابتــة التى تربط أحدها بالآخر ، والعقل كما يبدو لنا ملكة ســلبية ، انه اداة الــوعى

والادراك ، ولكنه لا يملك طاقة الفعـــل وارادة التصرف ، فالفعل والتصرف من خصائص الارادة الانسانية .

العقل نفسه مضطر للاعتراف بوجود علاقة خاصة بين الكون وخالق الكون، لانه بما يملكه من الأدوات التى هى الحواس الخمس لا يستطيع أن يتجاوز الابعاد المحسوسة للكون ، وهو فى الوقت نفسه مضطر للتسليم بوجود علاقة على نحو من الأنحاء بين الموجود والارادة المبدعة له ، هو يسلم بها على المستوى الانسانى فلا يعترف بانتقال الشىء من السكون الى الحركة ما لم تكن هناك ارادة انسانية مباشرة أو غير مباشرة من وراء هذه النقلة ، فاذا كان استمرار الكون بتوازنه وتكرره ودوراته التى هى ظاهرة خلق مستمر غير كاف للتدليل على وجود ارادة من ورائه فان من المكابرة البالغة أن يرفض العقل دور الارادة الالهية فى تحقيق عملية الخلق المستمر .

اذن فما هو دور العقل فى الاسلام بعد التسليم بوجود منطق الارادة مـــن ورائه ؟

تعالوا بنا الى القرآن الكريم نسأله عن دور هذا العقل فى الحياة الانسانية لنقرأ فى الآية ٤٦ من سورة الحج قوله تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بهـــا فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

واذن فان مهمة العقل بعد التســــليم العقلى بدور الارادة المبـــدعة على مستوى الانسان وعلى مستوى الاله الخالق مع تبين الفرق بين المستويين كمـــا شرحناه قبل قليل ، هى مهمة اســـتكشافية : « ســـنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » أى هى عملية وعى بحت كما قلنا من قبل أيضا ، وعملية الوعى العقلى تستنير بظاهرة الاستمرار فى العلاقات بين الأشياء والتى يعبر عنها اليوم بكلمة قوانين ، وهنا يأتى دور العلم المادى بالتعاون مع العقل ، ان دوره هو البحث عن هذه القوانين وحسن الاستفادة منها فى صنع تشكيلات مختلفة انطلاقا من ارادة الابداع .

ان مهمة العلم ليست تفسير الوجود العام بالمنهج الموضوعى المادى ، بل هى الكشف عن قوانين هذا الوجود ، وحسن استغلالها والافادة منها .

والخطأ الذى يرتكبه العلم المادى هو فى طموحه الى تفسير كل ظاهرة حتى ظاهرة الوجود الكونى بالقوانين التى يهتدى اليها بواسطة العقل أولا والأدوات التكتيكية التى اعتمدها العقل وجعلها وسيلة لتسريع الفائدة .

والسؤال الذى يرد الآن هـــو : هل فى وســـع العقل ان يتجاهل منطق العاطفة وظاهرة الانفعالات والاحساس الوجدانى العميق ؟ طبعا لا ، ذلك أن هناك قطاعا نفسيا خاصا تتحقق به رؤى معينة نسميها رؤى فنية أو وجدانيـــة يكون فيها للذوق وللقيم الجمالية والأخلاقية دور خاص .

وكما كان كل من العقل والارادة ظاهرة تقليدية وكان لكل منهما دور ايجابى فى تشكيل التراث الانسانى ، فان للعاطفة الروحية وما يتفرع عنها من الانفعالات والاحاسيس الوجدانية دورها الايجابى فى تشكيل هذا التراث ، فلنبحث عن هذه العاطفة فى القرآن الكريم .

العـــاطفة :

روح التـــدين عاطفة ، الحب عاطفـــة ، البغض عاطفة ، التعلـــق بالقيم الجمالية عاطفة ، ولو شئنا الانتشار على ظاهرات العاطفة لوجدنا ما لا سبيل الى حصره .

والعاطفة ملكة نعين بها موقفنا الوجداني من المعاني الجمالية والخلقية ، فهي اذن ذات دور انساني تماما ، كما هو دور كل من العقل والارادة ، لننظر في تراث التصوف الانساني ، وما يتصل به من القيم الأخلاقيـــة والذوقية ، ولنتأمل في النتاج الفني وما يرتبط به من القيم الجمالية ، أو ليست هذه وتلك جانبين من جوانب التراث الانساني في مسيرته الحضارية ؟

ولعلنا في غير حاجة الى الاســـتدلال على وجود هـــذه العاطفة بجانبيها الأخلاقي والجمالي في القرآن الكريم ، فالآيات القرآنية حافلة بهذه المعاني التي تحض على تربية الذوق ، وقيم المحبة والتعاون والتضحية والفداء والتقوى التي هي في حقيقتها اتصال وجداني بالذات الالهيـــــة التي هي المثل لظاهرة القيـــم والمعاني الجمالية في منطق العصر .

حتى البناء القرآني نفسه هو بناء فني توفرت له كل عناصر الجمال التعبيري المعجز بالاضافة الى الرؤية الفكرية الواضحة أو لم يتحد القرآن الكريم من خاصم تعاليمه ان يأتوا بعشر سور أو بســـورة من مثله ؟ أو لم يعلن بهذا التحـــدي جمالياته الفنية ؟

لنقرأ في الآية : (١١٢) من ســـــورة التوبة قولـــه تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » .

أوليست هذه الصفات التي يتصف بها المؤمنون تعبيرا عن شفافية الوجدان الروحي والحس الذوقي عندهم ؟

أفلا يرى قارىء هذه الآية الكريمة تلك الصورة الرائعة للانسان المتديـــن الذي يقلب وجهه في السماء ، ويحقق السمو في ذات نفسه بحيث يرتفع عن كل معنى من معاني القلق المدمر والحيرة المضيعة ؟!

اين المنهجية المركبة ؟ :

في ضوء الحقائق والملاحظات التي سجلناها في هذه المقالة نستطيع أن نقول : إن نظرية المعرفة في القرآن الكريم لا تقف عند الرؤية العقلية المنطقية أو المادية بخاصة ، كما لا تقف عند ارادة الابداع ، ولا تقتصر على تربية الذوق أو الحس الوجداني وحسب ، بل هي معرفة تنادي بنظرية التوازن بين القوى المختلفة ، هذه القوى تتلاقى وتتداخل ، ويكمل بعضها البعض الآخر من أجـــل تكوين الرؤية المتكاملة في التعليم القرآني الكريم .

فنحن نؤمن بالله في ضوء الايمان بارادة الخلق الالهية ، ونحن نستدل على وجود هذه الارادة بالمنطق العقلي ، ونفيد من استمرارية القوانين الالهية بالمنهج العلمي المادي ونربي ذوقنا الفني ، وقيمنا الأخلاقية بمعاناة التقوى ، وترقيق العواطف .

انه المنهج الالهي التركيبي الذي يقرر ظاهرة التوازن في الخلـــق على كل المستويات ، فيجمع بين تكوين الذرة ، وتكوين المجرات ، انه قول الله « ومـــن أحسن من الله قيلا ؟ » صدق الله العظيم .

مائدة القارىء

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » .

صدق الله العظيم

حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، واذا خلفه فى أهله فخانه قيل له يوم القيامة هذا خانك فى أهلك ، فخذ من حسناته ما شئت فما ظنكم ؟ .

حديث شريف

دعاء

ضاقت نفس المريد يوما بالشدائد التى تموج بها الحياة ، فقال لشيخه — علمنى كلمات أتجه بهن الى الله فى أعقاب الصلوات الخمس ، فقال له — سل الله أن يعصمك من صغر النفس الذى تضخم له الأجسام ، ومن ضيق العقل الذى تتسع له البطون ، ومن قصر الأمل الذى تمتد له أسباب الغرور .

لعاب المنية

كان أبو حية النميرى من أجبن الناس وأكذبهم ، وكان له سيف يسميه (لعبة المنية) ليس بينه وبين الخشبة فرق .

وحدث أن كلبا دخل بيته ليلا ، فظنه لصا ، فانتضى سيفه ، ووقف فى وسط داره يهدد ويتوعد ويقول : — أيها المغتر بنا ، المجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل ، ولعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته . اخرج بالعفو عنك قبل أن ادخل بالعقوبة عليك . وبينما هو يرغد ويزبد اذا الكلب قد خرج ، فقال — الحمد لله الذى مسخك كلبا ، وكفانى حربا .

قراقوش

كلمة تركية ، ومعناها (العقاب أو النسر الأسود) وسمى به بهاء الدين أبو سعيد ، ونشأ فى خدمة صلاح الدين الأيوبى ، وخاض معه معارك ، وولى عكا بعد أن أخذها صلاح الدين من الافرنج ، توفى بالقاهرة ، وينسب اليه العامة أحكاما تعسفية هى محل شك لأنه كان موضع ثقة البطل صلاح الدين .

جمرك

كلمة تركية بمعنى ديوان ، وادارة الجمارك عملها مراقبة الصادرات والواردات وتحصيل الرسوم المقررة عليها فضلا عن مراقبة المسافرين والقادمين ، وتيسير دخولهم وخروجهم من الدولة والنظام الجمركى قديم يرجع عهده الى اليونان والرومان ، وتعتبر الرسوم الجمركية مصدرا من مصادر ايرادات الدولة فضلا عن انها وسيلة لحماية الانتاج المحلى .

اعداد : أبو نزار

الفيتـو

اصطلاح لاتيني بمعنى (انا امنع) وهو حق فرد او هيئة في وقف نفاذ قانون صادر من هيئة صاحبة حق في اصدار هـذا القانون .

وقد نشا في العصر الروماني الأول في وقف نفاذ القوانين التي يصدرهـا مجلس الشيوخ الروماني .

واشتهر الفيتـو في العصر الحديث وهو حق مقرر للدول الكبرى الاربع — (الولايات المتحدة ، روسيا ، بريطانيا وفرنسا) — في أن تعطل أي قرار تصدره هيئة الأمم المتحدة او احد مجالسها ، وقد استخدم هـذا الحق مرات في وقف قرارات مجلس الأمن .

سـام ٣

قال اعرابي لآخر — خرجت مرة على فرس لي ، فاذا بظلمة شديـدة فيممتها حتى وصلت اليها ، فاذا قطعة من الليل لم تنتبه ، فما زلت احمل بفرسي عليها حتى انبهتهـا فانجابت .

فقال الآخر — لقد رميت ظبيا بسهم ، فعدل الظبي يمنـة ، فعدل السـهم خلفـه فتياسر الظبي ، فتيـاسر السـهم خلفـه ، ثم علا ، فعلا السهم خلفـه ، وانحدر فانحدر خلفه حتى اصابـه !!

ضرتـان

تزوج رجل امراة جديدة على اخرى قديمة ، فكانت جارية الجديدة تمر عـلى جارية القديمة فتقول :

وما يستوي الرجـلان — رجل صحيحة
وأخرى رمى فيها الزمـان فشـلت .

ثم تعود فتقول :

وما يستوي الثوبان ثوب بـه البلـى
وثـوب بأيـدي البائعين جديـد

فمرت جارية القديمة على باب الجـديدة يوما ، وقالت :

نقل فؤادك ما استطعت من الهـوى
مـا الحـب الا للحـبيب الاول
كم منـزل في الارض يالفـه الفتـى
وحنينـه ابـدا لأول منـزل

ثقافـة الامـام الشافعي

روى الفخر الرازي ان الرشيد سـال الشافعي — هل تعرف الطب ؟ فقال :

اعرف ما قالت الـروم مثل ارسطاليس ، وسقراط ، وجالينوس ، وفور فوريوف ، بلغاتها وما نقله اطبـاء العرب ، وفننته فلاسفة الهند ونمقته فقهاء الفرس .

تعليق وتعقيب

حول مقال

الأحكام الإسلامية بين الدوام والتغير

المقال نشر فى مجلة العربى ، وهو للاستاذ زكريا البرى رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الكويت ، والتعليق بعث به الينا الدكتور سليمان دنيا أستاذ الدراسات العربية والاسلامية بجامعة أم درمان ، والتعقيب لصاحب المقال .

والذى أقحم « الوعى » فى الموضوع مع أن المقال لم ينشر فيه : أهمية موضوع البحث وخطره وحيويته وتقدير الدوافع العلمية التى أملت التعليق على صاحبه ، وصلة صاحب التعقيب بالمجلة ، فهو أحد كتابها الأعلام .

ولما كان من حق المجلة ـ كما يقضى بذلك العرف الصحفى ـ التصرف من حيث الشكل فيما ينشر فيها ، فقد استندنا الى هذا الحق فى تعديل او حذف بعض الكلمات والعبارات التى نجمت عن حدة النقاش .

وبعد نشر التعليق والتعقيب نعتقد أن مجال البحث والتمحيص قد استوفى حظه من صفحات المجلة ، فلم يعد هناك متسع فيها بعد لتعليق أو تعقيب آخرين ■

التعليق :

تحت هذا العنوان فى مجلة العربى العدد ١٣٨ الصادر فى صفر ١٣٩٠ هـ كتب الاستاذ زكريا البرى رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية فى جامعة الكويت مقالا ذهب فيه الى أن الاحكام الاسلامية قسمان : قسم يتغير ، وقسم لا يتغير .

وهو يقصد بالتغير أن يكون هناك حكم اسلامى قائم فنلغيه ونهجره ، ونحل محله حكما آخر يخلفه فى أداء وظيفته يقول « والاحكام الجديدة التى تقول بها الأمة الاسلامية — ممثلة فى أصحاب الاختصاص — تكون هى الفقه الاسلامى المعاصر أما الاحكام السابقة فانها تمثل مرحلة من مراحله وجزءا من تاريخه » .

وقد وضع الاستاذ حدا فرق به بين ما سماه فقها ثابتا باقيا على مراحل التاريخ ، وما سماه فقها متغيرا يبقى مدة ثم يمضى ليحل محله غيره ، وهكذا دواليك ، وضرب للثابت والمتغير أمثلة واستشهد بكلام بعض الفقهاء .

وكل ما قال بخصوص ما أسماه فقها متغيرا غير مسلم له واليك البيان .

أما الحد الذى وضعه بين ما أسماه أحكاما متغيرة وأحكاما ثابتة فهو قوله « تساءلنا : ما الحدود الفاصلة بين الاحكام المستقرة والاحكام المتغيرة ونجيب عن سؤالنا بأن الاحكام المستقرة مأخوذة من نصوص قطعية فى ثبوتها عن الشارع وقطعية فى دلالتها على الاحكام المستفادة منها والتى تنظم علاقات ثابتة وغير متطورة . ومن أظهر الامثلة لذلك الاحكام الخاصة بنصيب الورثة فى التركة والاحكام الخاصة بالمحرمات من النساء فى الزواج أما الاحكام المتغيرة فانها تخرج عن هذا الحرم المقدس وتلك المنطقة الحرام وهى أكثر أحكام الفقه الاسلامى » .

ويتضح من هذا النص أن الاحكام المستقرة يجب أن يجتمع لها ثلاثة شروط .

الاول : أن تكون قطعية الثبوت .

الثانى : أن تكون قطعية الدلالة .

الثالث : ان تكون العلاقة التى تنظمها هذه الاحكام علاقة ثابتة غير متطورة :

ويتضح أيضا أن الاحكام المتغيرة هى التى لم يجتمع لها كل هذه الشروط الثلاثة . [كنا ننتظر بعد ذلك أن تكون الامثلة التى ذكرها تفريعا على هذه القواعد وتطبيقا لها كان يقول ان الحكم الفلانى مستقر لأنه اجتمع له قطعية النص وهو كذا وقطعية الدلالة وهى كذا ولأن العلاقة التى ينظمها هى كذا وهى ثابتةغير متغيرة وأنالحكم الفلانى متغير لأنه فقد من الشروط] ولكنا لم نجد ما كنا نتوقعه .

وقد أشار المقال اشارة موجزة الى الاحكام المستقرة لأنه لا جديد بشأنها يقال أما الاحكام المتغيرة فقد احتفل المقال لها أيما احتفال وهى من وجهة نظر صاحبه أكثر احكام الفقه الاسلامى .

وقد عرفنا أن معنى التغير عنده أن يصبح عندنا حكم اسلامى جديد يطلب الينا العمل به وحكم آخر قديم يطلب الينا تركه باعتباره غير صالح لمتابعة السير مع قافلة الحياة وبعد مدة يصبح هذا الجديد بدوره قديما يتوقف العمل به وينضم الى سابقه ليمثلا مرحلتين من مراحل التشريع الاسلامى وطورين من أطوار تاريخه وهكذا دواليك نظل نستقبل جديدا من الاحكام ونستدبر قديما . ولكن فكرة التغير هذه تتغير فى المقال ولا تثبت على حال واحدة ، استمع اليه يقول (وكتب الفقه الاسلامى بحر زاخر بهذا النوع من الأحكام القابلة للترجيح وحسن الاختيار وليس التغيير حينئذ تغييرا فى الحكم الشرعى الاصلى وانما هو تغيير بالنسبة لتغير الرأى الاجتهادى بعد اعادة النظر وتبين ما هو أقرب الى الحق والصواب) .

والاشارة فى قوله [هذا النوع من الاحكام القابلة للترجيح وحسن الاختيار] راجعة الى ما سبق له قبل هذا الكلام مباشرة من قوله [وهى الاحكام التى أخذت من نصوص ظنية فى ثبوتها عن الشارع أو ظنية فى دلالتها على معانيها وكذلك الاحكام المستفادة من القياس مما تعددت فيه آراء

الفقهاء تعددا يتناول فى بعض الاحوال جميع الاحتمالات العقلية التى يمكن القول بها والتى عدل عنها أصحابها أو لم يتابعهم فيها تلاميذهم فى حالات كثيرة بعد أن تبين لهم رجحان غيرها] .

فهل الاحكام المتعددة للواقعة الواحدة القابلة للترجيح وحسن الاختيار تدخل فى نطاق ما أسماه المقال حكما قديما يهجر ويصبح مرحلة من مراحل الماضى وحكما جديدا يظهر ويحل محل الحكم القديم ؟ أم هذه الاحكام المتعددة التى يجد كل واحد منها وجهة نظر تؤيده وترجحه على غيره يبقى بعضها قائما الى جوار بعض يأخذ منها القاضى والمفتى ما يترجح لديه ، وقد يترجح لدى شخص ما لا يترجح لدى غيره ، وقد يترجح عند الشخص الواحد فى حال ما لا يترجح عنده فى حال أخرى وهو فى كل حال ينبغى له أن يأخذ بما يترجح له فيها كما قال سيدنا عمر لأبى موسى الاشعرى فى رسالته المشهورة (ولا يمنعنك قضاء بالأمس فراجعت فيه نفسك فبدا لك غيره ان تأخذ بما بدا لك] .

وتزداد فكرة التغير قلقا واضطرابا حين يقول : [وليس التغيير حينئذ تغييرا فى الحكم الاصلى وانما هو تغيير بالنسبة لتغير الرأى الاجتهادى بعد اعادة النظر وتبين ما هو أقرب الى الحق] .

ففى هذا المقام أين هو الحكم الشرعى الاصلى الذى يطلب المحافظة عليه من التغيير ؟ ان الذى معنا نص احتمل أكثر من رأى [مما تعددت فيه آراء الفقهاء تعددا يتناول فى بعض الحالات جميع الاحتمالات العقلية التى يمكن القول بها] .

وكما اضطربت فكرة التغير وهى بيت القصيد فى المقال اضطربت الامثلة التى أوردها تطبيقا لفكرة التغير وتفريعا عنها نذكرها واحدا اثر واحد ونبين انه لم يستقم له واحد منها يقول :

أولا : [الاحكام المستفادة من نصوص ظنية فى ثبوتها عن الشارع أو ظنية فى دلالتها على معانيها ، وكذلك الاحكام المستفادة من القياس] وتحت هذا العنوان ذكر مسألتين (١) عمر وميراث الجد (٢) عمر واشراك الاخوة الاشقاء فى نصيب الاخوة من الأم .

أما عن المسألة الاولى فيقول : [ومن ذلك أن بعض الروايات تذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يرى فى أول الأمر ان الجد أب الأب يأخذ حكم الأب فيحجب الاخوة الاشقاء أو الاخوة من الأب عن الميراث فى أخيهم وان حفيده من ابنه عاصم توفى عنه وعن أخوين فاستشار على بن أبى طالب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما — فلم يوافقاه وكان مما قاله زيد فى توضيح رأيه لو أن شجرة تشعب منها غصن ثم تشعب من ذلك الغصن خوطان ، ذلك الغصن يجمع الخوطين دون الأصل ويغذوهما . الا ترى يا أمير المؤمنين ان أحد الخوطين أقرب الى أخيه من الأصل ؟ فرجع عمر عن رأيه الاول وكان مما قاله لولا أن الرأى اجتمع على هذا ما رأيت أن يكون ابنى ولا أكون أباه ثم خطب الناس وأمضى الرأى الاخير] .

وهذه المسألة لا تلتئم مع الأصل الذى سيقت معه لأن الاصل المذكور هنا هو نصوص ظنية فى ثبوتها عن الشارع أو ظنية فى دلالتها على معانيها أو حكم يقاس عليه ، فاين من هذا قوله [ان بعض الروايات تذكر] ان هذه الروايات اذا أصر صاحب المقال على أن هذه المسألة مندرجة تحت الأصل الذى ذكرت تحته يجب أن توضح لنا النص أو القياس الذى أسند اليه الرأى الاول ثم كيفية تطويع هذا النص أو ذلك القياس حتى صار راجحا فى افادة الرأى الثانى وبدون هذا البيان تصبح المسألة مقطوعة الصلة بالأصل الذى ذكرت تحته لعل الذى أغراه بذكرها فى هذا المقام هو مجرد اشتمالها على رأيين رأى كان يأخذ به سيدنا عمر أولا ثم رأى أخذ به ثانيا ونحن نبين له ان ذلك لا يفيده فى تحقيق غرضه من أن أحد الحكمين صار قديما مهجورا والآخر صار ضرورة لا معدى لنا عنه .

لأن سيدنا عمر ربما لم يصر على الرأى الاول خشية أن يتهم لأن الرأى الاول يعطيه الحق فى الميراث والآخر يمنعه منه نعم ان سيدنا عمر فوق الاتهام ولكن سيد البشر على الاطلاق صلى الله عليه وسلم قيل له (اعدل يا محمد فانك لم تعدل) .

ولأن قول سيدنا عمر [لولا ان الرأى اجتمع على هذا .. الخ] يشعر بأنه انما عدل عن رأيه الاول نزولا عند رأى الاغلبية لا اقتناعا بالمثال الذى ذكره سيدنا زيد بن ثابت .

ولأن المثال الذى ذكره سيدنا زيد بن ثابت لا يحقق أرجحية الرأى الثانى عن الاول لأن قرب أحد الخوطين من الآخر قرب مكانى صرف وليس بأحدهما حاجة الى الآخر بل فى زوال أحدهما وقطعه

مصلحة للآخر حيث يتوفر له وحده الغذاء الذى كان يقسم عليهما أما صلة كل واحد منهما بالغصن وبالأصل فهى صلة قوية لأنه لا غنى لهما عن الاصل الذى يمدهما بالغذاء ولا عن الفرع الذى ينقل اليهما هذا الغذاء فصلة كل واحد من الخوطين بالآخر اذا قيست بصلتهما بالاصل وبالغصن ظهرت واهية ضعيفة .

وعلى فرض أن سيدنا عمر اقتنع بأرجحية الرأى الثانى على الأول فان هذا ليس يعنى الغاء الرأى الاول ومحوه من الوجود فها هى ذى كتب الفقه تذكر الرأيين معا لأن عدول المجتهد عن رأيه ليس يلزم غيره من المجتهدين بالعدول عنه .

وأما عن المسألة الثانية فيقول [ومنها ان سيدنا عمر كان يرى عدم توريث الأخوة الأشقاء وتوريث الاخوة من الأم دونهم فقال له الأخوة الاشقاء يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حجرا ملقى فى اليم أليست أمنا واحده ؟ فاذا لم ينفعنا الأب فلا ينبغى أن يضرنا وما زادنا الأب الا قربا فقال سيدنا عمر صدقتم ثم قضى باشراك الأخوة الاشقاء مع الاخوة لأم فى الثلث باعتبارهم جميعا أخوة لأم] .

وهذه المسألة كسابقتها لم يبين المقال الصلة التى تربطها بالاصل الذى وضعت تحته فان قوله : [ان سيدنا عمر رضى الله عنه كان يرى عدم توريث الاخوة الاشقاء] ينقصه بيان مستند هذا الرأى ، وانى أقول له أن الرأى الاول ما زال هو الراجح وان عدل عنه سيدنا عمر لأن الاخوة الاشقاء عصبة وشأن العصبة انهم تارة يرثون وتارة لا يرثون وحين يرثون فتارة يرثون أقل من أصحاب الفروض وتارة يرثون أكثر منهم وهكذا فليس لهم ان يتذمروا اذا حرموا وليس لهم أن يحتالوا على الميراث بنقل أنفسهم من وضع الى وضع ليضيقوا على غيرهم أرأيت لو ترك الميت أخا لأم وأخا شقيقا وعما وطالب العم بأن يعتبر الأخ الشقيق أخا لأم ليشترك الاخوان فى الثلث ويتركا الثلثين للعم وعارض الأخ الشقيق وقال — انا أرث بالعصوبة خمسة أسداس التركة ولو صرت أخا لأم ورثت السدس فقط فلا شك أننا سنرفض رأى العم لأنه تحايل لا مبرر له فعلى غراره يجب أن نرفض رأى الأخوة الاشقاء المحرومين من الميراث اذا طالبوا أن يعتبروا أخوة لأم لأن الأب اذا كان فى بعض الاحيان سببا للميراث الكثير فانه يكون فى بعضها سببا للحرمان منه فيجب الاعتراف به فى كلتا الحالتين أما ان نعترف به حين يكون سببا للميراث ولا نعترف به حين يكون سببا للحرمان منه فان ذلك احتيال لا يسوغ الأخذ به ومراعاة لجانب طرف من الورثة على حساب طرف آخر .

واذن فالرأى الاول ان بدا فى رأى سيدنا عمر مرجوحا فهو فى رأى غيره راجح وكلا الرأيين فقه اسلامى معاصر ليس من حق أحد أن يحكم على أحدهما بالموت وعلى الآخر بالحياة .

ينتقل بنا المقال بعد ذلك الى موضوع آخر فيقول : —

ثانيا : الاحكام المأخوذة من نصوص تقصد الى تحقيق مصلحة دقيقة وفيها يقول [المثال الاول : اشتراط النسب القرشى فى رئيس الدولة كما يؤخذ من قوله عليه الصلاة والسلام (الائمة من قريش)] .

وأرى أن لفظ رئيس الدولة — كما يدل عليه العرف السياسى يعنى الملك أو رئيس الجمهورية وكل منهما يحكم قوما مخصوصين أما الامام الوارد فى الحديث فهو من يحكم جميع المسلمين على اختلاف قومياتهم وأجناسهم نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا غير ذلك ولا يلزم ان ما هو شرط فى ذلك يكون شرطا فى هذا أما أن الامام يكون من قريش أو لا يكون واما أن الحديث محمول على الوجه الذى حمله عليه ابن خلدون أو محمول على غيره فتلك مسائل يجب التعرض لها حين يفكر المسلمون عن بكرة أبيهم فى العودة الى رحاب الامامة العظمى . أما الآن فالاحداث الحاضرة تشغلهم عنها والنقاش فيها مضيعة للوقت الذى تتطلبه مشاكل ملحة .

المثال الثانى :

غنائم الحرب ، وفيها يقول [ومن ذلك أيضا أخذ المحارب لما يجده من سلب قتيله المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام « ومن قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه » فان منح السلب للقاتل من قبيل

التحريض على القتال فى ظروف دعت اليه وللحاكم أن يفعله والا يفعله بحسب ما يرى من مصلحة فهو ليس من قبيل الشرع العام الثابت الذى لا تجوز مخالفته] .

وواضح من تعليق صاحب المقال على الحديث النبوى الشريف أنه ليس عليه مطعن لا من ناحية ثبوته ولا من ناحية دلالته ومع ذلك فهو يتركه دون ما سبب ذكره .

فتراه يقول (فان منح السلب للقاتل من قبيل التحريض على القتال ، فى ظروف دعت اليه) فهل هناك قتال بين المسلمين واعدائهم تدعو الى التحريض عليه ظروف ، وقتال لا تدعو الى التحريض عليه ظروف ؟

وتراه يقول (وللحاكم أن يفعله والا يفعله فهو ليس من قبيل الشرع العام الذى لا تجوز مخالفته) فمن أين له هذا الا أنه لو قال : ان المقاتلين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجهزون أنفسهم ، فناسب أن تقابل تضحيتهم بالنفس والمال بما هو فى الوقت ذاته تشجيع على القتال من أخذ سلب القتيل أما فى العصور المتأخرة فالدولة تجهز المحارب ، وتعطيه اجرا ، وتعطى ورثته عطاء يعولهم لو مات . أو لو قال : ان القتال سابقا كان قتال مبارزة يتأتى معه معرفة القتيل وقاتله . والقتال فىالعصور المتأخرة قتال جماعات تستعمل آلات تصيب من مسافات بعيدة ولا يتيسر مع هذا معرفة الاصابة القاتلة ولا من سددها. لو أنه قال شيئا كهذا لكان بالتحقيق العلمى أشبه . أما رفض الحديث دون ما سبب يذكر ، فهو ما لا نوافقه عليه .

ومع كل ذلك فانى أقول لصاحب المقال : ان المثال لم يحقق الغرض الذى من أجله سيق ، وهو الغاء حكم واستحداث حكم لأن صاحب المقال نفسه يقول (وللحاكم أن يفعله والا يفعله) اى للحاكم أن يعطى سلب القتيل لقاتله ، وهذا يعنى أن الحكم قائم لم يلغ ، غاية الأمر انه رخص فى تركه أحيانا .

المثال الثالث :

قوله : [تملك الارض الميتة بمجرد احيائها المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام (من أحيى أرضا ميتة فهى له)] ويقف من هذا الحديث النبوى الشريف نفس موقفه من الحديث السابق الخاص بحيازة القاتل سلب قتيله ، فهو يرفضه من غير ما سبب يذكره سوى قوله : ان أبا حنيفة اشترط اذن الحاكم المبنى على المصلحة . ويكفى ردا على هذا الموقف أنه يذكر هذا الحكم مثالا للحكم الذى تعطل العمل به وأصبح يمثل مرحلة من مراحل تاريخ التشريع القديم ، ثم هو فى الوقت ذاته يجيز للحاكم أن يعمل به .

ولقد خطرت لى فكرة بخصوص (١) تملك الارض الميتة بأحيائها وبخصوص (٢) أخذ القاتل سلب قتيله . تلكم هى :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم بأكثر من مهمة ، وكان يباشر أكثر من وظيفة : فهو صلى الله عليه وسلم حين يبلغ عن ربه يكون قائما بمهمة الرسول وحين ينظم شئون الرعية يكون قائما بمهمة الحاكم ، وحين يجلس للفصل فى خصومات المتنازعين ، يكون قائما بمهمة القاضى ، وهكذا .

فلعله صلى الله عليه وسلم حين قال (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه) كان يباشر مهمة الرسول ومهمة قائد الجيش معا ، بمعنى أن يكون الله قد أوحى اليه الحكم الشرعى الخاص بهذا الموضوع على هذه الصورة (لقائد جيش المسلمين أن يأذن للمقاتلين بالاستيلاء على سلب قتلاهم) فاستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه حيث رأى المصلحة فى استعماله فقال لأصحابه (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه) وهذا ليس يعنى أن على كل حاكم غيره صلى الله عليه وسلم أن يأذن . بل له أن يأذن ، وله ألا يأذن ، كما أنه صلى الله عليه وسلم له فى مقام آخر ألا يأذن .

كذلك يكون قوله صلى الله عليه وسلم (من أحيى أرضا ميتة فهى له) من قبيل مباشرته صلى

الله عليه وسلم لمهمة الرسول والحاكم معا ، بمعنى أن الله أوحى اليه الحكم على هذه الصورة (للحاكم الحق فى أن يملك الارض الميتة لمن يحييها) وكانت المصلحة فى عهده صلى الله عليه وسلم تستدعى هذا التمليك فقال صلى الله عليه وسلم (من أحيى أرضا ميتة فهى له) استعمالا لحقه كحاكم . ولغيره صلى الله عليه وسلم من الحكام أن يستعملوا الحق الذى خوله الله لهم منعا واعطاء حسبما تقتضى المصلحة .

وخلاصة هذا الرأى أن اذن الحاكم لا بد منه ، لأنه معتبر فى أصل التشريع ، وقد جاء قوله صلى الله عليه وسلم (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه) وقوله صلى الله عليه وسلم (من أحيى أرضا ميتة فهى له) اذنا منه صلى الله عليه وسلم لمن خاطبهم بهذا القول وحدهم ويحتاج غيرهم اذنا آخر من حكامهم . ولعل هذا الفهم هو ما لحظه أبو حنيفة حين اشترط اذن الحاكم ، لكن رأى أبى حنيفة لم ينقل الينا على هذه الصورة التى أوضحناها بل نقلوه كأنما هو استدراك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا ينبغى ان يغيب عن البال ان فهم الحديثين على هذا الوجه لا يخدم قضية صاحب المقال ، لأنه زعم أنه كان هناك حكم عام من رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمليك القاتل سلب قتيله وتمليك الارض الميتة لمن يحييها ، فجاء الناس بعده من أمثال أبى حنيفة وعطلوا هذا الحكم العام ، وأحدثوا حكما آخر خاصا ، هو التمليك باذن من الحاكم ليتوفر له وجود حكمين :

حكم قديم قد الغى ، وحكم جديد حل محله كما هى قضية تغيير الاحكام الشرعية التى يدعو اليها .

نعم ان هذا التخريج لا يخدم قضيته ! لأن مفاده انه ليس عندنا الا حكم واحد منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو التمليك باذن من الامام ، ولم يكن لأبى حنيفة سوى انه فهم الحكم الذى جاء عن رسول الله صلىالله عليه وسلم لا انه أتى بجديد من عنده عطل به ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المثال الرابع :

التسعير الجبرى وفيه يقول :

ومن ذلك منع التسعير الجبرى فانه مأخوذ من أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : سعره لنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : بل ادعو الله ، ثم جاء رجل آخر وقال مقالة الاول فقال الرسول عليه الصلاة والسلام [« بل الله يرفع ويخفض وانى لارجو أن ألقى الله عز وجل وليس لأحد عندى مظلمة » ويبدو من وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم عند دعاء الله سبحانه وتعالى وتفويض الامر اليه فى رفع الاسعار وخفضها وامتناعه عن التسعير ان الغلاء المشكو منه كان غلاء ناتجا عن ظروف اقتصادية طبيعية لا استغلال فيها ولا احتكار ، ولم يكن غلاء مصطنعا ، ولهذا امتنع عن التسعير فى وقته . ثم ذهب سعيد بن المسيب وربيعة بن عبد الرحمن ويحيى بن سعيد الانصارى من أئمة فقهاء التابعين الى جوازه بعد تغير الظروف الاولى ووجود غلاء مصطنع] .

والذى يفهم من هذا الكلام ان هناك غلاء طبيعيا وهذا لا يقتضى التسعير ، وغلاء مصطنعا وهذا يقتضى التسعير ، فحيثما وجد الغلاء المصطنع وجد التسعير ، حتى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيثما وجد الغلاء غير المصطنع لم يوجد التسعير حتى فى عهد سعيد بن المسيب ، وربيعة بن عبد الرحمن ، ويحيى بن سعيد الانصارى ، فأين من هذا دعوى تغيير الاحكام الشرعية بحيث نوارى التراب حكما ، ونستحدث حكما غيره ؟

المثال الخامس :

التقاط الابل الضالة ، وفيه يقول : [ومن ذلك منع امساك الابل الضالة المأخوذ من قوله عليه

الصلاة والسلام ؟ حينما جاء رجل يسأله عن ذلك « مالك ولها ؟ معها سقاؤها وحذاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها » وقد استمر تطبيق هذا الحكم مدة الخليفتين أبى بكر وعمر ، ثم جاء الخليفة عثمان فأمر بالتقاطها بعد أن خيف عليها وأمر بحصر أوصافها وبيعها ، حتى اذا جاء صاحبها أعطى ثمنها . ثم رأى الامام على فيما بعد أن تبنى دار تحفظ فيها هذه الابل ، اذ رأى أن بيعها واعطاء صاحبها ثمنها ، قد لا يغنى غناءها] .

والذى أفهمه من هذه الوقائع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع أفراد الشعب من أن تتعرض للابل الضالة ، واختص نفسه بهذا الحق باعتباره حاكما للمسلمين يستعمله اذا دعت اليه الحاجة فلما جاء عهد عثمان وعلى ، استعملا هذا الحق المخول لهما باعتبارهما خليفتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ وجدا الداعية تدعو الى استعماله .

وخلاصة هذا الرأى ان افراد الشعب ممنوعون من التقاط الابل الضالة والحاكم مخول هذا الحق . فأين من هذا ما ذهب اليه صاحب المقال من أن هناك حكما ألغى ، وحكما استحدث حل محل الملغى ؟

وفى الموسع تخريج هذه الوقائع على رأى آخر هو أن منع الرسول صلى الله عليه وسلم امساك الابل الضالة مقيد بالامن عليها ، وان امساكها مقيد بالخوف عليها . فحيثما توفر الأمن أطلقت وحيثما خيف عليها أمسكت . وعلى هذا الفهم أيضا ليس هناك حكم ملغى وحكم مستحدث .

وينتقل بنا المقال الى موضوع آخر فيقول :

ثالثا : الاحكام المبنية على المصلحة وفيها يقول [كما يدخل فى الاحكام المتغيرة أيضا تلك الاحكام التى لم يرد عن الشارع فيها نص بذاتها ولا فيما يماثلها ، أو كان نص الشارع فيها مجملا غير مفصل ، قد فوض أمر تفصيله الى أهل الذكر] وهذه الاحكام قد قال فيها السابقون ما قالوا ويقول فيها اللاحقون ما يقولون ، وتقوم أقوال هؤلاء وأقوال هؤلاء معا الى جانب بعضها فقها اسلاميا للقاضى والمفتى أن يأخذ منها ما يراه مناسبا للاحداث المعروضة عليه ، وقد يختار منها فى موقف لاحق غير ما اختاره فى موقف سابق ، فليس فيها اذن ما يجب أن نحكم بموته ، وما يجب أن نحكم له بالحياة وحده .

وينتقل بنا المقال الى موضوع آخر فيقول : —

رابعا : الاحكام المبنية على العرف ، وفيها يقول (ومن ذلك ما أفتى به بعض الفقهاء من حل أخذ الأجر على تعليم القرآن وعلى الآذان والامامة فى الصلاة ، بعد أن تغيرت الظروف وأصبحت هذه الاعمال فى حاجة الى من يتفرغ لها ويلتزم بها . بينما كان المتقدمون يرون عدم جواز الاجر لوجود من يقوم بها من غير أجر طاعة وعبادة] .

وهذا لا يفيد أن هناك أحكاما اندثرت ، وأحكاما قامت مقامها . بل أحكام الاولين وأحكام الآخرين كلها قائمة ، فلو وجد الآن من يقوم بهذه الاعمال حسبة لله ، لما دفعنا عليها أجرا ، ولو لم يوجد فى الماضى من يقوم بها حسبة ، لدفعنا عليها أجرا .

فالاحكام كلها قائمة يطبق كل منها على الحال التى تقتضيه فليس بينها ما هو ميت وما هو حى ، مثلها فى ذلك مثل الحكم بالقصاص والحكم بدفع الدية ، لم يلغ واحد منهما الآخر ، ولكن هذا له حال يطبق فيها ، وذاك له حال يطبق فيها .

كذلك الحكم بأن المروءة شرط فى شهادة الشاهد ، باق لم يتغير ولكن العلامات التى تدل على المروءة هى التى تغيرت ، فمثلا كان أهل المروءة يلتزمون ما يدل على وقارهم وحشمتهم مما يفعله نظراؤهم ، وكان غيرهم لا يلتزمون ذلك ، فلبسة الرأس لما كانت علامة أهل الوقار والحشمة ، وعريها كان علامة على غير ذلك ، امتنع القضاة عن قبول شهادة من رضوا لأنفسهم أن ينسلخوا عن عادة أهل الوقار والحشمة . فلما تغير العرف وأصبح بعض علية القوم يكشفون رؤوسهم لم يصبح عرى الرأس علامة على التجرد من المروءة .

كذلك لو حلف رجل لا يأكل اللحم . وكان قومه يعتبرون السمك لحما . فانه يحنث لو أكل السمك . ولو حلف رجل غيره لا يأكل اللحم ، وكان قومه لا يعتبرون السمك لحما ، فانه لا يحنث لو

أكل السمك . فاختلاف الحكم هنا ليس سببه اختلاف العرف ، وانما سبب اختلاف الحكم ان السمك كان محلوفا على عدم أكله فى المثال الاول ، وكان غير محلوف على عدم أكله فى المثال الثانى . وهذا المعنى هو الذى عناه شهاب الدين العراقى بقوله (اياك أن تقول : اننا لا نفهم منه الا الطلاق الثلاث لأن مالكا رحمه الله قد قاله ، أو لأنه مسطور فى كتب الفقه ، لأن ذلك غلط بل لا بد أن يكون ذلك الفهم حاصلا لك من جهة الاستعمال) وبقوله (يجب علينا أن نعتقد أن مالكا أو غيره من العلماء انما أفتى فى هذه الالفاظ بهذه الاحكام لأن زمانهم كان فيه عوائد اقتضت نقل هـذه الألفاظ للمعانى التى افتوا بها) .

فان هذا الكلام يعنى أنه لو قال مالك : من حلف لا يأكل اللحم فأكل السمك حنث ، فيجب أن يفهم من ذلك ان العرف فى عهد مالك كان يعتبر السمك لحما ، ويجب أن لا نأخذ قول مالك قضية عامة فنقول رأى مالك أن من حلف لا يأكل اللحم فأكل السمك حنث ، ونطبق هذا الرأى على من حلف لا يأكل اللحم وكان قومه لا يعتبرون السمك لحما .

هذا ما حذر منه العلامة شهاب الدين العراقى الا أن الاديان ما جاءت ــ منذ جاءت ــ الا لتقود الاعراف والعادات وتوجهها الوجهة الصالحة ، لا لتنقاد لها وها هوذا رسول الله صلى الله عليـه وسلم يخط خطا ثم يخط عن يمينه خطوطا وعن يساره خطوطا ،ثم يشير الىالخط الاول فيقول : هذا طريق الله ، ثم يقول عن الخطوط الاخرى أن على رأس كل واحد منها شيطانا يدعو اليه ثم يقرأ قوله تعالى (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) فتعاليم الاسلام هى العرف الذى يجب أن نسير عليه ، وما عداها من الاعراف والتقاليد انما هى سبل الشيطان .

وينتقل بنا المقال الى موضوع أخير فيقول :

خامسا : أحكام الضرورة والحاجة ، وفيها يقول [ومن ذلـك جواز النطق بكلمة الكفر مـع الاطمئنان القلبى فى حالة الاكراه وتناول الطعام والشراب المحرم دفعا للهلاك ، وجواز الافطار فى رمضان للمسافر] .

واذا كان الشرع الشريف قد أباح للمسافر أن يفطر فى رمضان ، وأوجب على المقيم الصحيح أن يصوم .

واذا كان قد أباح للمضطر أن يأكل الميتة ، وحرم ذلك على غيره . واذا كان قد أباح للمكره أن ينطق بكلمة الكفر تقية وحرم ذلك على غيره فهل هذه الاحكام متواردة على موضوع واحد ألغى فريق منها فريقا ؟ أم هى أحكام متواردة على موضوعات مختلفة لا يسد حكم منها مسد غيره . ولا بـد للجماعة منها ، جميعا ، اذ لا تخلو الجماعة عن مضطر ومسافر ومكره ، ومختار ومقيم وواجد .

فأين من هذه الاحكام ما أسماه تفسيرا يقضى بالغاء بعض الاحكام وأيداعها باطن الارض لا تخرج منه أبدا ، واستحدا ثأحكام أخرى تحل محلها ؟

التعقيب :

١ ــ فى عصرنا الحاضر أصدرت بعض الدول تشريعات غيرت بعض أحكام المواريث ، فسوت بين الذكر والانثى ، وحرمت تعدد الزوجات والطلاق ــ فى الاحوال المشروعة، وعاقبت عليها ، ونحو ذلك من التشريعات التى تصادم الاسلام مصادمة صريحة ، فى نصوص شرعية قطعية فى ثبوتها عـن الشارع الحكيم وقطعية فى دلالتها على معانيها . ثم هى فى الوقت نفسه تحكم علاقات ثابتة وغيـر متطوره ، ولا يمكن مطلقا أن يقوم ما يدعو الى تغييرها .

٢ ــ وقد استغلت فى ذلك القاعدة الفقهية الذهبية ، وهى تغير الاحكام بتغير الازمان ، كتبرير وسند لهذه التشريعات ، تلك القاعدة المشهورة التى اشتملت عليها كتب القواعد الفقهية ، والتـى نصت عليها مجلة الاحكام العدلية التى أصدرتها الدولة العثمانية أخذا من المذهب الحنفى فى مادتها التاسعة والثلاثين والتى لا يزال معمولا بها فى بعض البلاد الاسلامية ، وقد كتبت فيها فصـــول فى كتب الفقه والأصول قديما وحديثا ، وكانت موضوعا دارت وتدور حوله مؤلفات ورسائل علميـة

فى الجامع الأزهر الشريف وغيره من الجامعات الاسلامية فى الماضى والحاضر ، تبين حدود القاعدة وحكمتها وأحكامها وأسانيدها وأمثلتها وسماحتها .

٣ — ودار بينى وبين بعض رجال التشريع نقاش حول هذه التشريعات المصادمة للاسلام ، فاستشهد ليلزمنى ببعض الأحكام الاسلامية التى غيرتها تشريعات معاصرة فى بلاد اسلامية أخرى ، فى قوانين الاحوال الشخصية والمواريث والوقف والوصية وغيرها ، نحو أحكام ميراث الاخوة مع الجد ، وميراث الاخوة الاشقاء مع الاخوة من الأم ، وايقاع الطلاق الثلاث واحدا ، وعدم ايقاع الطلاق المعلق فى بعض الحالات وأحكام المفقود ونحو ذلك .

وانتقل الحديث الى بعض الأحكام المتناثرة فى كتب الفقه الاسلامى وفى بعض فصوله ، وضربها أمثلة لعدم الصلاحية للتطبيق الآن ، فبينت له أن هذه الأحكام لا تستند فقهيا الا الى مصالح أو أعراف تغيرت كما أشار الى تطور الحياة المعاصرة ومقدار ما بلغت من أساليب متقدمة فى النظم الدستورية والادارية والمالية ونحوها ، وأثار قاعدة الضرورات التى طرأت وتطرأ أحيانا ، وأنهى حديثه بما كان من احدى الدول التى تركت تطبيق الفقه الاسلامى جملة وتفصيلا .

٤ — وقد دعانى ذلك ، قياما بواجب دينى وعلمى ، وقد شرفنى الله سبحانه فجعل الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى دينى ودنياى — الى أن أكتب بحثى المنشور فى مجلة العربى ، موضحا به الفرق الواسع بين هذه التشريعات الأخيرة التى تدخل فى اطار الاسلام ، ولا تفتات على نصوصه ويتسع لها تعدد الآراء بين فقهائه ، وتلك الأخرى التى تخرج عن ساحته الرحبة ، وتفتات على نصوصه ، وتصادم أسسه وأهدافه . ولهذا حرصت فى تمثيلى على بعض هذه الأمثلة التى أثيرت والتى يتبين منها الفرق واضحا بين هذه التشريعات وتلك .

٥ — وكان لا بد لى من أن أجمل القول واضحا فيما يمكن أن يسمى أو يعد تغييرا فى الأحكام الاسلامية التطبيقية التى عمل أو يعمل بها ، تلك الاحكام الثابتة بأدلة ظنية ، ومن البدهيات عند أهل العلم أنها أكثر أحكام الفقه الاسلامى سواء أكان هذا التغير راجعا الى تغير الاجتهاد والترجيح وحسن الاختيار من آراء الأئمة السابقين ، وهذا هو النوع الأول ، أو كان سبب التغيير ما عرف أخيرا عند بعض العلماء باسم (السياسة الشرعية) فى أحكام تستند الى نصوص قصدت الى تحقيق مصلحة وقتية متغيرة ، وهذا هو النوع الثانى . أو أحكام تستند الى المصلحة ، والمصلحة وحدها ، وهذا هو النوع الثالث ، أو أحكام تستند الى العرف الصحيح وحده ، وهذا هو النوع الرابع . والسياسة الشرعية مادة تدرس فى الجامع الأزهر وبعض الجامعات ، وهناك دبلوم (للسياسة الشرعية) فى كلية الشريعة بجامعة الأزهر تدرس فيه أصول هذه الاحكام المتغيرة ، كما اشتملت خطة الدراسة بكلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت على هذا الدبلوم .

يقول الاستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر الأسبق : « ان بعض من لم يتثقفوا الثقافة الاسلامية الصحيحة يصرحون فى غير مبالاة ان المسلمين مضطرون أن يلجأوا الى أحكام سياسية غير شرعية بجانب عملهم بأحكام الفقه الشرعى الذى وصل اليه الفقهاء فى العصور الاولى من الاسلام وذلك انه كلما اتسع العمران وارتقت العلوم والصناعات ، وتشعبت مذاهب الحياة ، تجددت حوادث ونبتت مشاكل ، وعرضت شئون لم يكن للناس عهد بها من قبل فكان لزاما أن يواجهوا ذلك بما يناسبه من أحكام سياسية غير شرعية ، هكذا يقولون .. وانى أثبت أن السياسة الشرعية فيها الغنية والكفاية ، وأنها من دين الله وشريعته ، وأن السياسة والفقه صنوان من أصل واحد ، وان الاسلام — بفقهه وسياسته — كفيل بتحقيق مصالح الناس فى كل حال وزمان .. فمهما تطورت العلوم والصناعات ، وتشعبت مذاهب الحياة .. فان المسلمين لا يعوزهم أن يجدوا فى دينهم وشريعتهم لكل حادثة حكما ينطق به فى دليل من الكتاب أو السنة ، أو ينفذون اليه من طريق التأمل فى روح الشريعة ، وتدبر ما تقضى به أغراضها وأسرارها ، أو يهتدون بأصول الاسلام العامة

وقواعده الكلية المحكمة .. وبذلك كان المسلمون فى أول أمرهم ، ويكونون حين يستقيمون على جادة دينهم وشريعتهم فى غنى أن يلجأوا الى سياسات أخرى وضعية ، أو يستعيروا قانونا من القوانين الأجنبية (١) » .

٦ — ثم ألحقت بذلك الأحكام التى غيرها الشارع أو اذن فى تغييرها عند تحقق الضرورة والحاجة تفريقا حكيما بين حال السعة وحال الضرورة ، بين الظروف العادية والظروف الاستثنائية ، وهذا هو النوع الخامس .

٧ — وبينت فى الهامش بعض مراجعى العلمية الأمينة المشهورة من تراثنا الفقهى العظيم الخالد ، وأهبت بالدول الاسلامية وعلمائها أن ينهضوا بهذا الفقه نهضة كبرى تجعله قانون المسلمين فى جميع العلاقات الخاصة والعامة وبينت ان الجهود الفردية عاجزة وحدها عن أن تحقق ما يرجى الفقه من خير وازدهار .

وكان مما قلته : « من الواضح أن تغير الاحكام بتغير الزمان لا يعنى التنكر لتراثنا الفقهى العظيم ، الذى حوى من الاصول والنظريات والقواعد والاحكام ، مع حسن التأصيل والتحليل والتعليل ما يجعله ثروة كبرى ، نستثمرها وننميها ونكملها باجتهادات جديدة لما جد فى حياتنا من عادات ومعاملات وتطورات فى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. وبدون الجهود الايجابية المؤمنة المتعاونة التى ترعاها الحكومات والشعوب الاسلامية ، وتدعمها ماديا وأدبيا وقانونيا ، بدون هذا سندور فى حلقة مفرغة وستظل أحكامنا أثوابا مرقعة ، تضم أنسجتها قطعا وخيوطا قديمة ، وأخرى جديدة ، وثالثة أجنبية غربية ، دون ترابط ولا انسجام بل ان هذه الجهود ستضيع أمام طوفان التيارات الشرقية والغربية ، مع ان فقهنا الاسلامى شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية ، يغمرها نوران نور على نور — نور الشرع ، ونور العقل ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (٢) .

٨ — وحرصت كما قلت فى نهاية بحثى — على أن أكتبه بأسلوب يوضح المصطلحات الفنية التى لا يعرفها الا المتخصصون وهم قلة ، حتى يسهل فهمه لأى مثقف ثقافة عامة ، فيكون نصيرا للفقه الاسلامى ، وحتى يستغنى به المسلمون عن أى قانون أجنبى لا يرتبط بمصادرنا الطاهرة .

٩ — وعندما تكرمت رياسة تحرير مجلة « الوعى الاسلامى » الغراء طالبة رأيى فيما ذكره صاحب التعليق وهو زميل يعرفنى وأعرفه استاذا للفلسفة والعقيدة فى جامعة الأزهر ، رجوتها التفضل بنشر مقالى أو ملخصه الواضح ان نشرت رده ، حتى يجتمع للقارىء الواعى عناصر الحكم كاملة وحتى يتبين هدفى ، ويقارن بينه وبين ما نقله صاحب التعليق منه ، وتأويلاته وتعقيباته عليه التى تفيد الدعوة الى ايداع الفقه باطن الارض لا يخرج منه أبدا .. وحتى ينظر القارىء الى ما صدر به الكاتب كلامه وقبل أن يدخل فى الموضوع من قولى « ان الاحكام الجديدة التى تقول بها الأمة الاسلامية — ممثلة فى أصحاب الاختصاص تكون هى الفقه الاسلامى المعاصر ، أما الاحكام السابقة فانها تمثل مرحلة من مراحله ، وجزءا من تاريخه » دون أن يربطها بسابقها ولاحقها وهى العبارة التى جاءت عند النوع الثالث ، مثل تفصيلات أنظمة الدولة الدستورية ، والادارية والمالية والقضائية وأحكام التعزيزات .

١٠ — ولم أشأ أن أدخل فى جدل اكتفاء بهذا التعقيب والتوضيح للقارىء ، فالعرف الصحيح مصدر من مصادر الفقه الاسلامى يرجع اليه المقنن والقاضى والمفتى ، وليست كل الأعراف والتقاليد سبيل الشيطان كما قيل ، ورأى سيدنا عمر رضى الله عنه فى المسألة الميراثية الخاصة بالأخوة

---

(١) السياسة الشرعية والفقه الاسلامى ص ٣ — ٥ .

(٢) مجلة العربى مايو ١٩٧٠ .

الاشقاء والأخوة لأم لا يسمى احتيالا كما قيل ، وليست تفسيرات الأئمة لبعض الاحاديث رفضا لها كما قرر الكاتب ، ومن المعجيب انه يوافقنى فى التفريق بين ما صدر عن الرسول — صلى الله عليه وسلم بوصفه رسولا وما صدر عنه بوصفه حاكما ، ومع ذلك يخالفنى ثم يعتبر أن هذا التفريق فكرة جديدة خطرت لى مع أن هذا مقرر قديما فى كتب الأصول والفقه .

١١ — فاذا لم يتيسر للمجلة نشر مقالى ولا ملخصه ، فأرجو القارىء اطمئنانا لدينه أن يطلع على المقالين المنشورين بمجلة العربى فى شهرى فبراير ومايو ١٩٧٠ ، وعلى ما نشرته لى مجلة الوعى الاسلامى فى أعدادها ٤٠ و ٤٢ و ٤٤ ، ربيع الثانى ، وجمادى الثانية ، وشعبان ١٣٨٨ هـ عن الفقه الاسلامى فى ماضيه وحاضره ومستقبله .

١٢ — وسيرى القارىء الواعى أن كاتب المقالة — مع حرصه الشديد البالغ على مخالفتى فى كل ما ذكرته من أمثلة كما قرر فى مقالته لم ينقض كلمة واحدة مما قلته بل على العكس جرى قلمه بتأييد جميع ما ذكرته من أمثلة فيما عدا مثال اشتراط القرشية فى رئيس الدولة الاسلامية الأعلى (الامام) فقد تركه حتى (يفكر المسلمون عن بكرة أبيهم فى المعودة الى رحاب الامامه العظمى) وحينئذ يفكر فى أمر اشتراطها أو عدمه فان رأى أن هذا الشرط أبدى بحث المسلمون عن بكرة أبيهم عن هــذا القرشى ، مع ان هذا المثال قد ينتظر منه القارىء رأيا فيه ، لأنه دون غيره يتصل بدراسات صاحب المقالة دارسا ومدرسا ، فان موضوع الامامة والخلافة ألحق ببحوث العقيدة لأسباب تاريخية .

ومن حسن الحظ أن عندى نسبا قرشيا مكتوبا ومتوارثا ، مع ايمانى بأن أكرمنا عند الله اتقانا وأننا سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .

ثم انه لا يحب كلمة التغيير فى الاحكام الاسلامية الاجتهادية مع أنها ليست من عندى ، بل هى تعبير جرى على ألسنة العلماء قديما وحديثا ، مفرقين تفريقا واعيا بين الشريعة الاسلامية والفقـــه الاسلامى ، تفريقا يعرفه علماء اللغة العربية ، بين كلمة (الشريعة) وكلمة (الفقه) ويعرفه علماء الاسلام أخذا من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ...) وقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ...) فالشريعة سماوية أضيفت الى الله العليم الحكيم ، والفقه فهم لها من العلماء الفقهاء .

يقول الاستاذ الشيخ محمد على السايس عميد كلية أصول الدين وعميد كلية الشريعة الأسبق وعضو جماعة كبار علماء الازهر ، ثم مجمع بحوثه ، فى بحث نشرته الامانة العامة للمجمع سنة ١٩٦٧ ص ٣ (من الناس من يغلط ويخلط بين الشريعة والفقه ويظن خطأ أن ما ينقل عن الأئمــــة المجتهدين من اجتهادات هو نفس الشريعة ، ويتبع هذا الخلط انهم طعنوها مرة بالجمود ، وأخرى بالتناقض ، والشريعة بحمد الله لا جمود فيها ولا تناقض ، وذلك لأن التشريع الاسلامى تشريع سماوى سنه للناس رب العالمين) .

ويقول ص ١٨ (ترى كثيرا من الفقهاء يعدلون عن فتاوى وأحكام كانت لهم فى بعض المــواطن ليفتوا على خلافها ، فللامام الشافعى كثير من المسائل مذهب قديم ومذهب جديد ، فان تغير الرأى وعدول الفقيه عن اجتهاده ليس سببه فى جميع الاحوال راجعا الى تبين وجه الصواب بعد الخطأ .. ولكنه كثيرا ما يكون سببه تنقل المجتهد فى الاقطار ووقوفه على تغاير العرف والعادة عند الأمــــم المختلفة) .

ويقول ص ٢٤ (والاحكام الاجتهادية التى نقلت عن الأئمة وأتباعهم قابلة للتغيير والتعديل كلما جدت الحاجة الى ذلك ، واقتضت المصلحة العامة التى لم تصادم نصا شرعيا وان الاحكام المبنية على المصالح لم توضع لتكون أغلالا ترسف فى قيودها الى يوم الدين ، بل ان الوقوف عندها لا يتفق وروح الاسلام ومخالف لطريقة السلف الماضين .

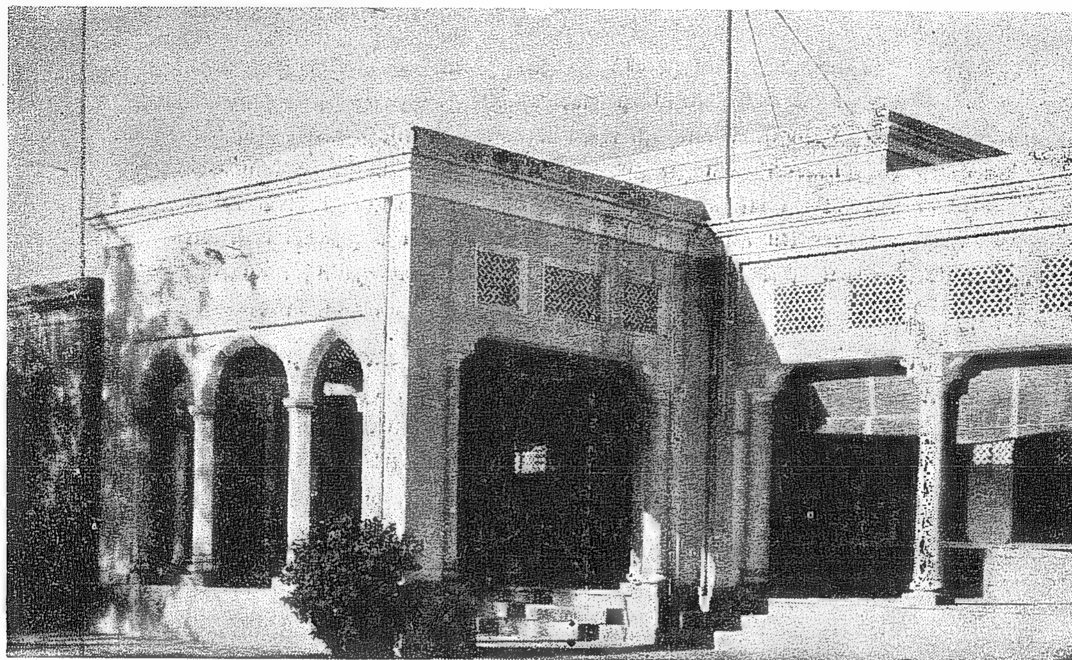
١٣ — وأرجو القارىء بعد ذلك أن يسأل من يخاف من التغيير علام يخـاف ؟ ان كان على الاحكام الاسلامية الفقهية الموجودة فى الكتب فليطمئن اطمئنانا تاما ، لأنه بعيد عن أن يناله تغيير أو تعديل لأنه مطبوع ومنشور وتراث موروث ، وقد دعوت الى زيادة العناية بنشره واخراجه وجمعـه وفهرسته ، واشتركت فى ذلك بجهدى المتواضع وان كان على الفقه الاسـلامى المطبق قانونـا فالحمد لله ولا يحمد على مكروه سواه — قد تقلص ظله ، وانحسر مده فى أكثر البلاد الاسلاميـة الى أحكام الاسرة فقط دون غيرها من فروع القوانين الاخرى وهى الكثرة الكاثرة لأسباب يرجع بعضها الى جهل أعدائه ، والناس أعداء ما جهلوا وبعضها الى من أقحموا أنفسهم قديما فى ميدانه مـن غير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

١٤ — وحسبى مما كتبت أننى قصدت ربط المسلمين بأحكام الاسلام ديانة وقضـاء ، ظاهرا وباطنا فى كل صغيرة وكبيرة ولو كانت أحكام تعيينات الموظفين وترقياتهم وتأديبهم أو كانت أحكام قواعد المرور وحمل البطاقات الشخصية ، وهو أمر يحقق اصلاحا كبيرا فى المجتمع الاسلامى ، حين يعرف المسلمون أن هذه الاحكام احكام الاسلام ، يتولى الحكام الحساب عليها فى الدنيا ، ثم يتولى الله سبحانه الثواب والعقاب عليها فى الآخرة .

أعان الله الفقهاء على حمل أمانة الفقه الاسلامى التى تنوء بالعصبة أولى القوة ، حتى يرتبط المسلمون به ، ويستغنوا عن القوانين الاجنبية التى لا تأخذ عن مصادره الطاهرة ولا تلتزم بأحكامها . وأدعو الله للقارىء ولأخى بالعافية فى الدين والدنيا .

اقرأ في العدد القادم

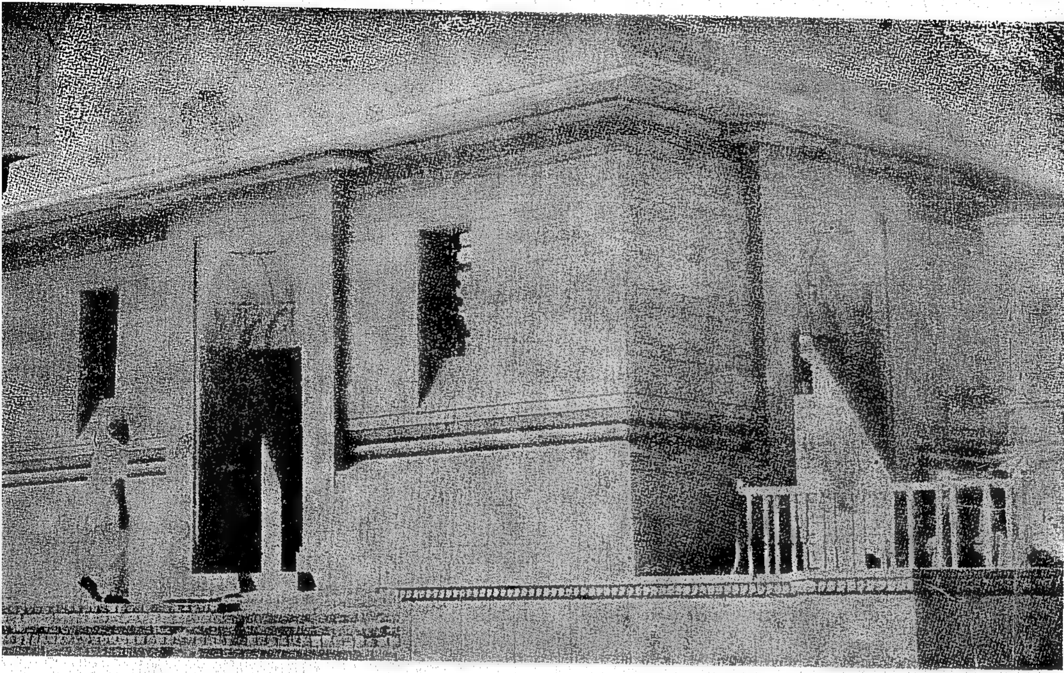
- الدولة والدين في اسرائيل
- عامل الوقت مع العرب على اسرائيل
- الحقوق المزعومة لليهود في فلسطين
- التنادي بالجهاد المقدس
- تجار الحروب • الإسراء والمعراج • اجنادين
- ابن باديس • العقيدة الإسلامية



هنا البيت الذي سأموت فيه ..
وهان موني كي پابندي ..

شاعر الإسلام
إقبال

للشاعر: أنور العطّار



هنا البيت الذي سأعيش فيه ..
یہاں جینے کی پابندی

إيـهِ إقبـالُ يا رفيفَ الدَّراری — يَانَسِيجَ الشُّمُوسِ والأقمـارِ

يَامَنَارَ الإسـلامِ في لَيْلِهِ الدَّا — جِی وَفی زَحْمَةِ الخُطُـوبِ الكِبارِ

يَارُوَى الشَّرْقِ مَا أَطَلَّتْ رُوَى الشَّرْ — قِ وَيَا طَيفَهُ الحبيب السَّارِی

يَاصدَى الأنْفُسِ اللَّهيفَـةِ يَاحا — مِـلَ عِبْءِ الهمُـومِ والأكْدَارِ

تَنْقُلُ البُرْءَ للأُلى نَشَدُوا الـبُرْ — ءَ وفی القلبِ أَیُّ حُـزْنٍ وَارِ

هكذا الأنفسُ الكبيرةُ تحيـا — لسواها في غبطةٍ وافْـتِرارِ

فإذا رُمْتَ أنْ تكونَ سَعيداً   فَتَعَهَّدْ مَصَائِبَ الأحْرَارِ
بَسَمَاتُ الحَنانِ أفْعَلُ في الأنْفُسِ مِنْ كل نائلٍ مِدْرَارِ
تَمَّحِي الكائناتُ والفضلُ يبقى   وهو إرْثُ الأعصارِ للأعصارِ



كانَ مِلْءَ القلوبِ مِلْءَ الأمَانى   مِلْءَ ما فى الحياةِ مِنْ أوْطارِ
صَاغَ مَالَمْ يَصُغْهُ حُلْمٌ جميلُ   فاتنُ الوَشْيِ عَبْقَرِيُّ الإطارِ
وَشَدَا للجمالِ والوَتَرِ المِطْرَابِ والزَّهْرِ والغديرِ الجَارى
طَافَتِ الأرضُ في رُؤَاهُ تصاويرَ نَدَايَا بجِدَّةٍ وابْتِكَارِ
قيلَ لى صِفْهُ قلتُ دُنْيا مِنَ الفَنِّ وَكَوْنٌ مِنْ حكمةٍ واعْتِبَارِ
صَاغَهُ اللهُ مِنْ حنانٍ وَرِفْقٍ   ودُمُوعٍ وَصَبْوَةٍ وادّكَارِ
يُشْرِقُ البِشْرُ مِنْ مُحَيَّاهُ نَضْراً   وَمِنَ البِشْرِ أنْفُسُ الأبْرَارِ
صَوَّرَ الطَّبْعَ مثلَما خُلِقَ الطَّبْعُ وَغَنَّى كما تُغَنِّى القَمَارِى
وَيَرِفُّ المَعْنَى النبيلُ على اللَّفْظِ رَفيفَ النَّدَى على النُّوَّارِ
يَالَهُ شَاعراً تَمَرَّسَ بالسِّحْرِ وَأعْظِمْ بالشَّاعرِ السَّحَّارِ



إيهِ إقْبَالُ يَانَشِيدَ الأنَاشِيدِ ونجوى دَاوُدَ لِلْمِزْمَارِ
يَاحُدَاءَ الرُّعَاةِ فى شُعَبِ الشَّرْقِ وَيَاسِرَّ أرْضِهِ المِبْكَارِ
يَاصلاةَ الغَابَاتِ فى خَشْعَةِ اللَّيْلِ وَنَجْوَى الأرْوَاحِ في الأسْحَارِ
لَكَ لَحْنٌ جَمُّ المَنَاعِمِ فيهِ   رَاحةُ النَّفْسِ والقُلُوبِ الحِرَارِ
لاَيُغَنِّى سِوَى الجَمَالِ وَلاَ يَعْرِفُ غَيْرَ الحَقِّ الجَلِيِّ العارى
هُوَ فَيْضُ العُقُولِ والفِطْرَةِ السَّمْحَةِ وابْنُ الطَّبيعةِ المِبْشَارِ
لَمْ يَزَلْ يَنْشُدُالوُضُوحَ وَيَبْغِى الشِّعْرَ خِلْواً مِنْ زُخْرُفٍ مُسْتَعَارِ
أيَّ مَعْنًى سَكَبْتَ في أُذُنِ الدَّهْرِ فَظَلَّتْ تَعِجُّ كالزَّخَّارِ

وَتُثيرُ الدَّفِينَ في مُهَجِ الغَيْبِ   وَتَرمِي التَّيَّارَ بالتَّيَّارِ
إنَّهُ الفِكْرُ جُذْوَةٌ انْطِلاقٌ   وَشَرارٌ مُسْتَرْسَلٌ مِنْ شَرارِ



أَيُّها العَبْقَرِيُّ يَارَوْعَةَ الشَّرْقِ   وَوَشْيَ الغُدُوِّ والإِبْكارِ
أَيُّها الشاعِرُ الذي نَضَّرَ الشِّعْرَ   وأَضْفَى عليهِ ظِلَّ ازدِهارِ
عالَمٌ قَلْبُكَ الكَبيرُ وَدُنيا   حَفَلَتْ سَاحُها بأَيِّ فَخارِ
مَثَّلَ العَصْرَ خَيْرَ مَنْ مَثَّلَ العَصْرَ   وأَفْضَى بِجَهْرِهِ والسِّرارِ
ببيانٍ كأَنَّهُ عَبَقُ الخُلْدِ حبيبٍ   في بَثِّهِ والحِوارِ
هاتِ حَدِّثْ وَصِفْ نِضالكَ في الأَرْضِ   وَبَرحَ النَّوَى وعِبْءَ السِّفارِ
صوِّرِ الغُرْبَةَ التي ما تَقَضَّى   وَتَشَوَّقْ إلى الحِمَى والدِّيارِ
ما أذابَ الحنينُ منك فؤاداً   مُسْتَطاراً برغمِ شَحْطِ المزارِ
يا لَقَلْبٍ مُعذَّبٍ شَفَّهُ الوَجْدُ   فداوى أُوارَهُ بأُوارِ
يَتَنزَّى أَسىً وَيَهْمِي وَفاءً   وَيُذِيبُ الإِعلانَ بالإِسْرارِ
كَيْفَ أَنسَى فرائداً لَكَ صِيغَتْ   مِنْ مَضاءٍ وَجُرْأَةٍ واصْطِبارِ؟
لَسْتُ مِثْلَ الفَرَاشِ يَصْلَى بنارِ النَّاسِ   لكنَّني صَليتُ بِنَاري
فإذا احْلَوْلَكَ الدُّجى مِثْلَ عَيْنِ الظَّبْيِ   واعْتادَهُ كَلَوْنِ القَارِ
كَشَفَتْ نفسيَ الحنادسَ كشفاً   وملأتُ الأكوانَ بالأنوارِ
لا أَرَى مِنَّةً عليَّ لإِنسانٍ   لأَني كَرَّمتُ صُنْعَ البارِي
أَنَا مِنْ نشوةٍ على الدهرِ تَبْقَى   أنا مِنْ وَمْضَةٍ وَفَيْضِ انْبهارِ
نَفَحاتُ الهُيامِ تَنْسِمُ في الرَّوْضِ   ويُنْمِي الهُيامُ زَهْرَ البَرارِي
وشعاعُ الهُيامِ ينفذُ في البَحْرِ   فيَهْدِي الحيتانَ طَيَّ البحارِ
نَقْشُ رَبِّي يجدُّ بي كُلَّ حينٍ   وَتَراءَى الحياةُ في أَطْوارِ
فإذا مَرَّ بي نَهارِي كأَمْسِي   فَكِيانِي من التَّجدُّدِ عارِ
إنَّ هذا العَقْلَ القَوِيمَ أَسيرٌ   لَمْ يَزِدْهُ التَّحْليقُ غَيْرَ إسارِ

مَلأَ الكائناتِ همّاً وغمّاً ... وَأَسَالَ الدماءَ كالأنهارِ
أَيْنَ منهُ الحُبُّ الذى يُسْعِدُ الرُّو ... حَ ويُنْشِي الوُجُودَ بالأعْطارِ
ويُعيدُ الحياةَ جذوةَ نارٍ ... لَمْ يَزَلْ وهْجُها سَنا الأبْصَارِ
ياشُعاعَ الهوَى لأنتَ منارى الـ ... ـحَقُّ إنْ أَطْفَأَ الحِمامُ مَنارِي
ولَكَمْ تامَهُ الحِجَازُ فغنّا ... هُ لُحوناً سِحْرِيَّةَ الأوتارِ
وَصَبا للحطيمِ والرُّكْنِ والأَسْـ ... ـتَارِ فى خشعةٍ وفي إكْبَارِ
في «هَدَايا الحِجَازِ» مِنْهُ حَنِينٌ ... كحنينِ «الرَّضِيِّ أَوْ مِهْيَارِ»
سَكَبَ النَّفْسَ في الحجازِ شعوراً ... كانْسِكابِ الأنوارِ فى الأَزْهارِ
وَتَشَهَّى لَوْ زَارَ «طَيْبَةَ» في الحُـ ... ـلْمِ وَأَغْفَى عَلَى ثَرَى المخْتَارِ
ولَكَمْ آثرَ الكرَى في حِمَاهَا ... ولَكَمْ كانَ صادقَ الإيثارِ
وَدَّ لَوْ أَنَّهُ انطوَى في ثراهَا ... وَثَوَى في تُرَابِهَا المِعْطَارِ
فارِسِى لسانُهُ ، عربيٌّ ... قَلْبُهُ والهوَى المُوافي المُجَارِى
شَغَفَتْ قَلْبَهُ العُرُوبَةُ وَجْداً ... وتَغَنَّى بطَيْفِها الزُّوَّارِ
وتَمَنَّى لها المجَادَةَ والسَّعْـ ... ـدَ لتبقى تاجاً على الأَدْهارِ
ودَعَا المسلِمينَ للوحْدَةِ الكُبْـ ... ـرَى وقَهْرِ اعدَا وغَسْلِ العَار
مَا أَطَلَّ الإيمانُ يوماً على الضَّعْـ ... ـفِ ولا بَاءَ مؤمِنٌ بخسارِ
أَصحِيحٌ أَنَّ الأُلى مَلَكُوا الأرْ ... ضَ غدَوْا نُهْبَةَ الذِّئابِ الضَّوارِى
لا وَرَبِّ الأَنامِ ما ضَعُفَ القَوْ ... مُ وإنْ طافَ حَظُّهُمْ بعِثَار
تلك أفكارُهُ البَواقِي عَلَى الدَّهْـ ... ـرِ وَسِرُّ الخُلُودِ في الأَفكَارِ
أَيُّها الشاعرُ الذى عَاشَ لَحْناً ... وَسَرَى كالعبيرِ فى الأقْطار
ذَابَ مثلَ النَّدَى عَلَى مُقَلِ الزَّهْـ ... ـرِ وَشِبْهَ الأسَى على القِيثَارِ
أَنْتَ حُبٌّ وَرِقَّةٌ وَحَنَانٌ ... وَمِنَ الحُبِّ أَرْوَعُ الآثارِ
وَلَكَمْ يبعثُ الشجونَ ويُضْنِي ... أَنْ يُرَى العَبْقَرِيُّ رَهْنَ تَبَارِ
وَيَجِفَّ النَّهْرُ الذى سَالَ بالشَّدْ ... وِ وَحَيّا بالسَّاكِبِ المِدْرَارِ

ويغيبَ الطيرُ الذى هدْهدَ الكوْ نَ بأحلَى اللحونِ والأسمارِ

ويبيتَ الروضُ النضيرُ كئيباً واجمَ الثغرِ موحشاً كالقفارِ

الحظوظُ البيضُ التى شيّعتْهُ كالحظوظِ السودِ التى لا تمارِى

والأمانِى الزُّهرُ التى ودَّعتْهُ كالمنايا السُّحْمِ التى لا تُدارِي

أيهذا الطَّيْفُ الذى اتَّشحَ الخُلْـ ـدَ وولَّى إلى حِمَى الأسرارِ

قِفْ علَى ربْوةِ الخلودِ تُسائلْـ ـكَ هَلِ ارتحتَ مِنْ جوىً واستِعارِ

هَلْ نزَعتَ الحياةَ فى الضّفّةِ الأُو لى وفارقْتَها فِراقَ الزّارِى

ولمسْتَ الرُّوحَ الذى يسَعُ الخيْـ ـرَ كمَا يلمسُ الصّباحَ السَّارِي

إنْ تكُنْ جزْتَهَا فطُوبى لكَ اليوْ مَ بمثْوىً خِلْوٍ مِنَ الأغيارِ

كلُّ دارٍ رهْنُ الأذى والرّزايا غيْرَ دارِ الأحِبَّةِ الأخيارِ

هِىَ كهْفُ السّلامِ لا أمسِ فيها بِمُوَلٍّ ولا غَـدٌ بانتظارِ

هِىَ يوْمٌ باقٍ وخُلْدٌ طويلٌ أبدِيُّ الأغوارِ خافِى القرارِ

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

وقوافٍ لوْ أنهُنَّ عيُونٌ لتهامَيْنَ بالدّموعِ الغِزارِ

لا يُوفّى القريضُ مهما تغنّى ما بيانِى يكفِى ولا أشعارِي

فاحْيَ بالذِّكْرِ لا ترُعْكَ المنايا إنما الذكرُ أخلدُ الأعمارِ

تتلاقى الدموعُ في غمْرةِ الحزْ نِ ويبكى الهزارُ شجوَ الهزارِ

الأصابيحُ دُثَّرٌ عافياتٌ تنطوى عنْكَ والليالِى عوارِي

وكؤوسُ النّعيمِ يمتَصُّها الحزْ نُ وطيْرُ المُنى قصيرُ المطارِ

والحياةُ التى صحِبْتَ اغْترارٌ مَا حياةٌ مصحوبةٌ باغترارِ

أنتَ في الفكرِ صورةٌ ليْسَ تُمحى لا يذوقُ الخُلودُ طعمَ اندِثارِ

أنتَ فى الذّكرِ خالدٌ ليْسَ تفْنى لا يحُومُ الرّدى علَى التّذْكارِ

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

كرَّمتْكَ الأجيالُ يا شُعْلَةَ الفِكْـ ـرِ وأضفتْ علَيْكَ إكليلَ غارِ

فلئِنْ صاغتِ القريضَ عُقوداً فبما صُغْتَ يا سِراجَ النّهارِ

أنا مدين بهذه القصيدة التى أكثرها من جو (اقبال) وبعض كثيرها مترجم عنه ، للوزير العالم الدكتور (محمود حسن) وزير الباكستان المفوض فى دمشق ، وتلميذ الشاعر وصديقه فلقد اختارنى عضوا فى (حلقة اقبال) التى أسست فى دمشق فتقدر لنا بمؤازرته قراءة الشاعر العظيم اقبال وفهم مراميه ، والاحاطة بأخباره ، ونشر كنوزه وخيراته ، وتنشر هذه القصيدة احتفاء بالذكرى الحادية والثلاثين لوفاة شاعر الاسلام محمد اقبال الشاعر الذى اتخذ من مبادىء الاسلام العظيمة الخالدة فلسفة لا تمحوها الايام ، والعالم الذى كان يعتقد أن تجدد الاسلام لا يمكن أن يتم ما لم يعزز المسلمون قواهم الفكرية والخلقية ، ويرتفعوا بنفوسهم الى مستوى أسمى .

ولد محمد اقبال بمدينة (سيالكوت) باقليم البنجاب عام ١٨٧٣ م .
وتوفى بمدينة لاهور فى ٢١ نيسان ١٩٣٨ م الموافق عشرين صفر الخير ١٣٥٧ هـ

أتم علومه بانكلترا والمانيا ، فحصل على اجازة فى الفلسفة من جامعة كمبراج وكان موضوع بحثه (تطور ما بعد الطبيعة عند الفرس) وقد منحته جامعة ميونخ شهادة الدكتوراة فى الفلسفة كما حصل على اجازة فى القانون .

كان على صلة وثيقة بالمستشرق البريطانى السير توماس أرنولد مؤلف كتاب دعوة الاسلام ، وكان أرنولد أستاذ العربية فى جامعة لندن ، ثم أستاذ الفلسفة فى جامعة (عليكره) الحكومية فى لاهور ، وكان واسع العلم محبا للحضارة الاسلامية .

وفى عام ١٩١٨ دعى الى (مدراس) لالقاء سلسلة من المحاضرات ، وقد جمعت تلك المحاضرات وسميت (اصلاح الفكر الدينى فى الاسلام) وهى أعظم ما كتب اقبال فى الفلسفة .

كان عضوا فى المجلس التشريعى بالبنجاب ، وشارك فى سياسة بلاده بأقواله وأفعاله ، كما ترأس مجامع سياسية عديدة ، واشترك فى مؤتمر المائدة المستديرة ، بلندن .

كان عمادا قويا لحزب الرابطة الاسلامية ، وحسبه أن يقول فيه القائد الأعظم (محمد على جناح) .

: كان لى صديقا صدوقا واماما هاديا ، وكان فى أحلك الخطوب التى مرت بى ونحن بالرابطة الاسلامية راسخا كالصخر لم تزلزله الزلازل ولم تعصف به العواصف .

ضمن شعره نظرته الواسعة الى الأخوة الاسلامية ، وكان يكره

العنصرية ، وينادى بالوحدة والأخذ بأسباب القوة ، وقد اتخذ الصقر له شعارا . ولقد وفق أديب العرب الراحل الأستاذ أحمد حسن الزيات فلخص الشاعر اقبالا فى كلمه الطيب على نحو ما تلخص حديقة من الزهر فى زجاجة من العطر .

« وما كان اقبال الا بضعة من طبيعة الهند المؤمنة نفخ فيها الاسلام من روحه ، فخلصت خلوص الحق ، وسطعت سطوع الهدى ، وصفت صفاء الفطرة ، وكانت فلسفة شعرية فريدة لا هى عدمية مترددة شاكية كفلسفة أبى العلاء ولا هى وجودية ملحدة قاسية كفلسفة نتشه ، وانما هى الاسلامية الموحدة المؤلفة السمحة كما أوحاها الله بروحيتها النابعة من القلب الشاعر بآلام الارض وماديتها الصادرة من العقل المتصل بالهام السماء » .

آثار محمد اقبـــال

لشاعر الاسلام محمد اقبال مؤلفات وآثار وأعمـــال بعضها مكتوب باللغة الأردية ، وبعضها باللغة الفارسية ، وبعضها باللغة الفرنسيـــة ويسود هذه الآثار الشعر ثم النثر ، واليك ثبتا بهذه الدواوين والآثار :

١ ــ باللغة الاردية شعرا :	عام الطباعة
بانك درا (صلصلة الجرس)	١٩٢٤
بال جبريل (جنـــاح جبريل)	١٩٢٥
ضرب كليم (ضرب الكليـــم)	١٩٢٧
أرمغان حجاز (هدية الحجاز)	نشر بعد وفاته ،

٢ ــ باللغة الفارسية شعرا :

أسرار خودى (أسرار ذاتيه)	١٩١٥
رموز بنخودى (رموز نفى الذاتية)	١٩١٨
بيام مشرق (رسالة المشرق)	١٩٢٣ وكتب الشاعر فوق عنـــوان الديوان (جواب ديوان الشاعـــر الالمانى « جوتيه »)
جاويد نامه (الكتاب الخالد)	١٩٣٢ وفى العنوان تورية بجاويد ابن الشاعر وهذا الكتاب على غرار « الكوميديا الالهية» التى كتبها الشاعر الايطالى دانتى .

بس جه بايدكرداى أقوام شرق
(ما ينبغى أن نعمل يا أقوام الشرق) ١٩٣٦
مسافر ١٩٢٤
زبور عجم (زبور العجـــم) ١٩٢٩

٣ ــ بالاردية نثرا :

اقبال نامه (مجموعة رسائل)

٤ ــ الانكليزية نثـــرا :

1—Six Leatures on The Reconstration of Religious Thought In Islam . . 1944.

2—Iqbal Letters to Jinnal . . 1944.

3--The Development of Metephyeics in Persia.

4—Speechs and Statmants of Iqbal . . 1908.

ذكرى شاعر باكستان وفيلسوفها الكبير الدكتور محمد اقبال من منشورات السفارة الباكستانية بدمشق ــ نيسان ١٩٦٩ بتصرف .

ركن الموسوعة الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة

١) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

عرضنا فى العددين السابقين لدراسات القانون المقارن فى الجامعات والمعاهد وللمؤلفات التى تتخذ مرجعا لهذه الدراسات ، كما عرضنا لجمعيات ومراكز القانون المقارن وما تصدره من مجلات وبحوث .

ونعرض بالبحث الآن مجالا ثالثا من مجالات القانون المقارن هو المؤتمرات الدولية القانونية وما تبحثه من مسائل وما تتخذه من توصيات .

ان العديد من المنظمات الدولية أو الوطنية الهامة ، أو معاهد البحوث التى تناولناها بالبحث فى العدد السابق ، تقوم بتنظيم مؤتمرات دولية لبحث موضوعات قانونية خاصة على أساس مقارن بغية التوصل الى قرارات أو توصيات أو مشروعات قوانين نموذجية أو لمجرد تبادل وجهات النظر وتعميق البحث فى العديد من المشكلات القانونية التى يشترك فى الاهتمام بها كثير من بلاد العالم .

وتدعى الدول الاسلامية — ضمن من يدعى من الدول — لحضور هذه المؤتمرات ويمكن أن نلخص ردود الفعل للدول الاسلامية على النحو الآتى :

— يحدث فى كثير من الحالات عدم اهتمام من حيث مبدأ المشاركة فى المؤتمر ، فلا ترسل الدولة الاسلامية وفدا أو مندوبا يمثلها .

— فى الاحوال التى تقرر الدولة الاشتراك فى المؤتمر ، يحدث عادة ان يتم تقرير الاشتراك واختيار الوفد فى آخر لحظة ، فلا يكون هناك فرصة للاعداد للمؤتمر .

— قلما توجد فى الدول الاسلامية أجهزة لمتابعة النشاطات الدولية ، بحيث تكون هناك دراسات مسبقة معدة فى الموضوعات التى ستناقش فى المؤتمر ، ويترك ذلك للجهد الشخصى لاعضاء الوفد الذى سيحضر المؤتمر .

— كثيرا ما يكون اختيار أعضاء الوفد على أساس اتاحة فرصة للسفر والراحة والاستمتاع لذوى الحظوة من أصدقاء المسئولين والمقربين اليهم ، لا على أساس اختيار الشخص المتخصص فى الموضوع الذى يعقد المؤتمر لمناقشة أمثاله .

— والنتيجة لما تقدم حتمية لا تتخلف ، وهى السلبية التامة فى موقف الوفد الذى يحضر المؤتمر ، فيقتصر دوره على الاستماع والتصويت ، فلا دراسات تقدم ولا مناقشات توجه ، ويخرج المؤتمر بالقرارات التى أرادها منظمو المؤتمر ، اللهم الا اذا كان هناك ناحية ذات حساسية معينة تمس سياسة الدول العربية أو الاسلامية ، فحينئذ تنشط الوفود الاسلامية للاعتراض ، وغالبا ما ينتهى الأمر بمجاملتهم واستبعاد ما يغضبهم ، فتسكن الثورة ويهدأ الجو من جديد .

هذا ما يحدث كثيرا فى المؤتمرات العلمية فى المسائل التى تتصل بالقانون وهو صورة قريبة مما يحدث فى الانواع الأخرى من المؤتمرات ولا حول ولا قوة الا بالله .

نقدم هذا بين يدى البحث ، لنوضح مدى البعد بين واقعنا وبين ما يجب علينا من الاهتمام بالمؤتمرات الدولية ، ولنبين أن الايجابية — التى نفتقدها فى المجال الدولى — شرط أولى لما نحن بصدد بحثه من أهمية الاستفادة من هذه المؤتمرات الدولية لعرض وجهة النظر الاسلامية ، والدور الذى يمكن أن تؤديه موسوعة الفقه الاسلامى فى هذا المجال .

ولنضرب أمثلة لبعض مؤتمرات الاعوام السابقة :

١ — عقد فى مونتريال بكندا فى آذار (مارس) ١٩٦٨ مؤتمر دولى غير حكومى لبحث حقوق الانسان تمهيدا للمؤتمر الدولى الحكومى الذى عقد فى طهران فى شهرى نيسان وأيار (مايو) ١٩٦٨ ، وقد تناول البحث فى كلا المؤتمرين المزيد من حقوق الانسان وحرياته ، والضمانات العملية لممارسة هذه الحقوق والحريات .

٢ — عقد فى لاهاى فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ الدورة الحادية عشرة لمؤتمر لاهاى للقانون الدولى الخاص . وقد تناول البحث اعداد معاهدة الاعتراف بالطلاق والتفريق القانونى ، ومعاهدة القانون الواجب التطبيق على حوادث المرور ، ومعاهدة الحصول على الادلة فى الخارج فى المسائل المدنية والتجارية ، ومراجعة معاهدة الاعتراف بالاحكام الاجنبية وتنفيذها .

٣ — وفى أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ عقد فى بانجكوك مؤتمران (أحدهما) المؤتمر العالمى لمركز السلام العالمى عن طريق القانون ، (والثانى) مؤتمر الجمعية العالمية للقضاة . وقد تناول البحث فى مؤتمر القضاء مسائل الاجراءات القضائية ، وتكوين القضاة واختيارهم ، والتنظيم والادارة القضائية ، والازدواج القضائى فى البلاد النامية .

٤ — وفى بيروت عقد المؤتمر السنوى للجمعية الدولية للمحامين الشبان فى أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ وتناول بالبحث مسائل : نقل أعضاء الجسم الحى أو الميت حديثا الى جسم آخر ، والقانون الواجب التطبيق على عقد البيع الدولى .

ومن المؤسف حقا أن صوت الشريعة الاسلامية لم يسمع فى أى من هذه المسائل التى طرحت ، بسبب السلبية التى يبديها المسلمون فى هذه المجالات من ناحية ، وبسبب عدم توافر المرجع الميسر لمعرفة رأى الشريعة الاسلامية من ناحية أخرى .

ولا يفوتنا قبل أن نختتم هذا المقال ان نشير الى ان هذه المؤتمرات فرص دولية مستمرة ، وأن ما فاتنا فى الماضى بامكاننا أن نعوضه فى المستقبل ، ونذكر فيما يلى أمثلة للمؤتمرات التى ستعقد فى الشهور الستة القادمة :

١ — ففى ١٥/ — ١٩/ من تموز (يوليو) ١٩٧٠ تعقد الجمعية الدولية للقانونيين الديمقراطيين مؤتمرها التاسع فى مدينة هلسنكى من بلاد فنلندا حيث يجرى بحث الموضوعات الآتية :

(١) المظاهر القانونية لمشكلات الاستقلال الوطنى ، والسلام والأمن الدولى والصراع ضد الاستعمار فى عالم اليوم .
(٢) المشكلات القانونية للدول النامية .
(٣) المظاهر القانونية لصيانة الحقوق الاساسية للانسان فى العالم المعاصر .
(٤) التقدم العلمى وحقوق الانسان .

٢ — وفى لاهاى يعقد المؤتمر الرابع والخمسون للجمعية الدولية للقانون فى المدة من ٢٣/ — ٢٩/ آب (أغسطس) ١٩٧٠ حيث يجرى بحث الموضوعات الآتية :

القوانين ضد الاحتكار — القانون الطبى الدولى — القانون النقدى الدولى — حقوق الانسان — العلاقات العائلية — الأمن والتعاون الدوليين — الاستثمارات الخارجية فى الدول النامية — حق اللجوء — التحكيم — تعاقب الدول — قانون الفضاء — ثروات أعماق البحار — القانون الجوى والقرصنة الجوية .

٣ — وفى طوكيو يعقد اتحاد المحامين الدولى مؤتمره الثالث عشر فى المدة من ٢٤/ — ٢٨/ آب (أغسطس) ١٩٧٠ حيث تبحث المسائل الآتية :
دور المحامى فى السنوات العشرين القادمة — مسئولية المحامى عن اهماله — الزواج بين مختلفى الجنسية — القانون والأدمغة الالكترونية — دور المحاكم غير القضائية فى حل المنازعات .
٤ — أما المؤتمر السنوى الثامن للجمعية الدولية للمحامين الشبان فينعقد فى روما فى المدة من ٢٢/ — ٢٦/ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ حيث تظهر المسائل الآتية على جدول الاعمال :
حرية الاعلام — البيع الدولى للبضائع — حقوق الاطفال غير الشرعيين — التحاق المحامى الشاب بمؤسسة مهنية .
لقد ارتفع صوت الشريعة الاسلامية فى عدد قليل من المؤتمرات الدولية فى الماضى ، وكان لذلك أثره البالغ فى تعريف الاوساط القانونية الدولية بمزايا الشريعة ودفع الشبهات عنها وقدرة فقهها الغزير على امداد هذه المؤتمرات بالمفيد القيم من البحوث والنظريات القانونية ، كما كان لاعتراف هذه الاوساط بفضل الشريعة ومزاياها أثر فى تثبيت قلوب كثير من المسلمين الذين يحتاجون الى مثل هذه الشهادات ليثقوا بقيمة تراثهم العظيم الخالد ، ويطمئنوا الى شريعتهم (والفضل ما شهدت به الاعداء) .
وأقرب الأمثلة على ذلك قرارات مؤتمر الفقه الاسلامى المنعقد فى كلية الحقوق بجامعة باريس سنة ١٩٥١ ، وهو الذى كان من جملة قراراته وتوصياته ضرورة ايجاد موسوعة للفقه الاسلامى .
ونأمل ان يتجدد نشاط المسلمين ويستمر فى هذه الاوساط الدولية وان يكون لموسوعة الفقه الاسلامى دور فعال فى تيسير معرفة الاحكام الاسلامية وعرضها فى هذه المجالات .

ب) من بريد الموسوعة :

وردت الى ادارة الموسوعة عدة ملاحظات من بعض الاساتذة نقتصر فى هذا العـــدد على مناقشة جانب منهـــا وهو ما يختص بالمــذاهب التى ينبغى للموسوعة عرض آرائها ، وكذا ما يختص بالآراء المختلفة فـــى داخل المذهب الواحد ، ما يذكر منها وما يترك :

١ ـــ فقد كتب الينا بعض الأساتذة يرى الاقتصار على مذاهب الســـنة الاربعة المعروفة وعدم الاشارة الى ما سواها .

٢ ـــ كما اقترح البعض ان تختار الموسوعة ما دل عليه الكتاب والسنة ولا تتعرض للخلافات بالمرة . (أى ان تقوم الموسوعة باجتهاد جديد) أو أن تذكر الخـــلاف فى آخر الكلام على سبيل التضعيف . واقترح البعض أن يتم اختيار الرأى من قبل لجنة تشكل خصيصا لهذا الغرض .

٣ ـــ ويرى البعض ذكر ما لا خلاف عليه فى متن البحث ، وترك الخلافات الى الحاشية .

٤ ـــ كما يرى البعض ـــ مع موافقته على عرض الخلافات ـــ اهمـــال الاقوال الضعيفة والشاذة .

وفيما يلى نجيب على هذه الملاحظات :

١ ـــ أما عن المذاهب التى تتناولها الموسوعة بالدراسة المقارنة ، فقــد اتجهت موسوعة جامعة دمشق من قبل وموسوعتا المجلس الاعلى الاسلامى وجمعية الدراسات بالقاهرة الآن الى الاتجاه نفسه من شمول العرض الفقهى للمذاهب الثمانية الموجودة حاليا فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، ولا ضرر من ذلك ، اذ الأمر مقتصر على بحث النواحى الفقهية دون النواحى العقائديـــة والسياسية ، ولا شك أن شمول البحث لأوسع دائرة من المذاهب مع بيان دليل كل رأى يحقق المقصود من الموسوعة ، وهو عرض الثروة الفقهية الضخمة التى تزخر بها كتب الفقه على اختلاف مذاهبه عرضا مقارنا . ويهمنا فى هذا المجال ان نشير الى أن بعض المذاهب التى لم يقفل فيها باب الاجتهاد ، استمر الانتاج الفقهى فيها متطورا مع حاجة كل عصر ومتطلباتـــه مما يفيـــد بحثه فى معرض الدراسة المقارنة .

كما أن هذه الدراسة المقارنة يتضح منها أثر الخلافات العقيدية والسياسية فى بعض الآراء الفرعية دون البعض الآخر مما يهم الباحث معرفته فى ضـــوء الدراسة المقارنة .

وان عرض المذهب المخالف أيا كان لا يعنى تفضيلا أو تأييدا له من جانب الموسوعة ، أو انتقاصا من غيره ـــ رغم الخلافات الجذرية أحيانـــا ، كما بين الشيعة والاباضية ـــ اذ ان منهج الموسوعة موضوعى بحت يعرض للرأى مـــع دليله دون تجريح أو ترجيح ، ولا مجال بالتالى لما يخشاه البعض من اثارة فرقة أو نشر بدعة كما جاء فى بعض ما ورد الى الموسوعة من رسائل .

٢ ـــ أما اقتراح اختيار ما دل عليه الكتاب والسنة دون عرض الخـــلافات بالمرة ، فهذا خلاف الخطة الموسوعية كذلك ، اذ أن الاختيار أو الترجيح انمـــا يكون عند اصدار قانون أو فتوى ، أما مجال البحث العلمـــى وعرض الثروة الفقهية التى تمتاز بهذا التنوع فى النظر المؤدى الى الخلاف فى الرأى ، فـــلا مناص فيه من عرض الخلافات وأدلتها ، ولا سيما أن الخلاف قد يكون فى دلالة النص من كتاب أو سنة على الحكم فى المسألة ولا مجال اذن للقول بأن رأيـــا

معينا دل عليه الكتاب والسنة . فكل رأى له وجهه فى الفهم والاستدلال المبنى على أصول الاجتهاد ، كما ان مناقشتـــه للرأى المخالف مبنى كذلك على هـــذه الأصول نفسها .

وللقارىء — ان كان من أهل النظر والترجيح — أن يختار لنفسه الرأى الذى يطمئن اليه بعد معرفة الآراء كافة وأدلتها ، ولا يمنع ذلك من أن يبـــدى كاتب الموضوع أو ادارة الموسوعة رأيه الشخصى فى الحاشية — غير مختلط بالفقه المنقول الذى تتولى الموسوعة عرضه بأمانة — اذا اقتضى الأمر تعليقا أو مناقشة لبعض الآراء .

كما أن بعض الموضوعات ذات الصبغة القانونية تقوم ادارة الموسوعـــة باختيار آراء معينة فى مسائلها وأحكامها تمثل المبادىء والقواعد الاساســـية الفقهية فى موضوعها، وتصوغها فى صورة مواد مقننة ملحقة بالموضوع الأصلى تمهيدا لفكرة تقنين كامل من الفقه الاسلامى وسيظهر موضوع الحوالة — الذى هو تحت التهيئة والطبع الآن — بهذه الصورة ان شاء الله .

٣ — أما اقتراح ذكر ما لا خلاف عليه فى متن البحث ، وترك الخلافات الى الحاشية ، ففيه تجزئة للبحث فقد يكون القدر المتفق عليه أقل كثيرا من المختلف فيه ، وهو الأغلب وتقسيم الرأى حتى فى المسألة الواحدة بين المتن والحاشية يشعب البحث ويتعب القارىء ، فاذا أنزلت الخلافات مع أدلتها ومناقشاتها الى الحاشية صارت الحاشية أكبر بكثير من المتن ، مع ما فى ذلك من تشويه تحرص الموسوعة على اجتنابه .

هذا ، وقد خصصت الموسوعة الحاشية للآراء الشخصية للكاتب عنـــد الضرورة ، كيلا تختلط بالفقه القديم الـــذى يعرض كاملا فى المتن ، سواء منه ما كان محل اتفاق أو ما كان مختلفا فيه .

٤ — وأخيرا نأتى الى مناقشة الاقتراح الخاص باهمال الاقوال الضعيفة والشـــاذة .

لقد انتهجت ادارة الموسوعة كما هو موضح فى بيانات خطة الكتابة التى ترسل الى الأساتذة الكتاب لمراعاتها فى كتابة الموضوعات — نهجا مقتضاه ذكر الخلافات الجوهرية دون غيرها ، والمراد بالخلاف الجوهـــرى كل ما فى ذكره قيمة علمية ، ولا سيما الخلافات التى تعتمد على أصول أو نصوص معارضـــة لما يتبناه المذهب الحنفى (الذى يجعل بساطا لعرض الموضوع) ، ومن الخلافات الجوهرية ما يبدو أدنى الى روح الشريعة وأكثر تحقيقا لمقاصدها العامة ، ولو كان مرجوحا فى المذهب المنقول منه فلا حاجة الى ذكر الخـــلاف الذى يكـــون نظريا محضا غير ذى ثمرة ، أو فرعيا تافها غير ذى بال .

وهكذا يتبين أن المعيار الذى وضعته ادارة الموسوعة هو التفرقة بيـــن الخلاف الجوهرى وغير الجوهرى ، وليس التفرقة بين الرأى الراجح والرأى الضعيف أو الشاذ ، ذلك ان الرأى قد يكون ضعيفا أو شاذا فى عصر ، ثم يبدو فيما بعد أن المصلحة كل المصلحة فى الأخذ به وان قائله كان أبعـــد نظرا من عصره وأكثر ادراكا للنتائج لا سيما اذا تبناه ولى الأمر بما له من سلطة الترجيح فيصبح بذلك راجحا بعـــد أن كان مرجوحا ، كما وقع فى تقنينات الاحـــوال الشخصية فى طلاق الثلاث بلفظ واحد . فالمفروض فى الموسوعـــة أن تعرض الآراء جميعا طالما أن موطن الخلاف أمر جوهرى ، لأن المقصود من الموسوعة هو العرض العلمى المحايد الأمين للآراء كافة ، وليس من مهمتها الترجيح . ولمن شاء ترجيح رأى على رأى أن يفعل ذلك خارج نطاق الموسوعة .

دليل نجاسة الخمر من السنة المطهرة

للأستاذ
عبد الفتاح أبو غدة

اتفق جمهور العلماء ومنهم ائمة المذاهب الأربعة على الحكم بنجاسة الخمر ، وقد استدلوا لنجاستها فى كتب التفسير والفقه بقوله تعالى : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) .

ولما كان القرآن الكريم حمال وجوه من المعانى ، لم تكن الآية قاطعة الدلالة على النجاسة ، ولذا رأيت التماس دليل نجاستها من السنة المطهرة ، فانها شارحة للقرآن ومبينة لوجوهه ومعانيه . فبحثت عنه طويلا ، وسألت عنه كثيرا كبار العلماء فلم أصل اليه . ثم منحنى الله الوقوف عليه ، فرأيت الآن نشره ، لما قد جرى فى بعض المجالات العلمية من تساؤل عنه وانكار لوجوده .

فأقول : جاء فى الحديث الذى رواه الصحابى الجليل ابو ثعلبة الخشنى رضى الله عنه ، ورواه عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم : ما يدل على نجاسة الخمر .

فروى البخارى فى مواضع من « صحيحه » والألفاظ شبه واحدة ، فأدخلت من بعضها فى بعض ، فى كتاب الصيد والذبائح فى (باب صيد القوس) ٩ : ٥٢٣ ، و (باب ما جاء

فى التصيد) ٥٢٨:٩ ، و (باب آنية المجوس والميتة) ٥٣٧:٩ ، قال ابو ثعلبة : « اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إنا بأرض قوم اهل كتاب ، افنأكل فى آنيتهم ؟ وبأرض صيد ، اصيد بقوسى ، وبكلبى الذى ليس بمعلم ، وبكلبى المعلم ، فما يصلح لى ؟

قال : اما ما ذكرت من انك بأرض اهل الكتاب فلا تأكلوا فى آنيتهم ، الا ان لا تجدوا بدا فاغسلوها وكلوا فيها . واما ما ذكرت من انك بأرض صيد فما صدت بقوسك فذكرت الله فكل ، وما صدت بكلبك المعلم فذكرت الله فكل ، وما صدت بكلبك الذى ليس بمعلم فأدركت ذكاته فكل » .

ورواه مسلم فى « صحيحه » فى كتاب الصيد والذبائح ٧٩:١٣ ، والنسائى فى « سننه » فى كتاب الصيد والذبائح ايضا ١٨١:٧ مقتصرا فيه على ما يتعلق بالصيد .

ورواه ابو داود فى « سننه » فى كتاب الأطعمة فى (باب الأكل فى آنية اهل الكتاب) ٣٦٣:٣ مقتصرا فيه على ما يتعلق بالخمر وهذا لفظه « قال يا رسول الله : إنا نجاور اهل الكتاب ، وهم يطبخون فى قدورهم الخنزير ، ويشربون فى آنيتهم الخمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان وجدتم غيرها فكلوا فيها واشربوا ، وان لم تجدوا غيرها فارحضوها ــ اى اغسلوها ــ بالماء ، وكلوا واشربوا » .

ورواه الترمذى فى « سننه » أول أبواب الصيد فى (باب ما جاء ما يؤكل من صيد الكلب وما لا يؤكل) ٢٥١:٦ ، وفيه (... إنا اهل سفر نمر باليهود والنصارى والمجوس ، فلا نجد غير آنيتهم ؟ قال : فان لم تجدوا غيرها فاغسلوها بالماء ، ثم كلوا فيها واشربوا » . قال أبو عيسى ــ اى الترمذى ــ : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه ايضا فى ابواب السير فى (باب ما جاء فى الانتفاع بآنية المشركين) ٥٠:٧ « قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله إنا بأرض قوم اهل كتاب ، نأكل فى آنيتهم ؟ قال ان وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها ، فان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها » .

ورواه ايضا فى ابواب الأطعمة فى (باب ما جاء فى الأكل فى آنية الكفار) ٢٩٧:٧ « قال أبو ثعلبة : يا رسول الله إنا بأرض اهل الكتاب ، فنطبخ فى قدورهم ؟ ونشرب فى آنيتهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لم تجدوا غيرها فارحضوها ــ اى اغسلوها ــ بالماء » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه ابن ماجه فى « سننه » فى ابواب الجهاد فى (باب الأكل فى قدور المشركين) ٩٤٥:٢ « قال : اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته فقلت يا رسول الله : قدور المشركين نطبخ فيها ؟ قال : لا تطبخوا فيها . قلت فان احتجنا اليها فلم نجد منها بدا ؟ قال : فارحضوها رحضا حسنا ، ثم اطبخوا وكلوا » .

ورواه ايضا فى أبواب الصيد فى (باب صيد القوس) ١٠٧١:٢ مقتصرا فيه على ما يتعلق بالصيد .

ورواه الامام احمد فى «مسنده» فى (مسند ابى ثعلبة) ١٩٣:٤ــ١٩٥ من خمس طرق الى ابى ثعلبة ، وبألفاظ متقاربة اتمها قوله ١٩٤:٤ : « قلت يا نبى الله : ان ارضنا ارض اهل كتاب ، وانهم يأكلون لحم الخنزير ، ويشربون الخمر ، فكيف أصنع بآنيتهم وقدورهم ؟ قال : ان

لم تجدوا غيرها فارحضوها ، واطبخوا فيها واشربوا » .

ورواه الحاكم فى « المستدرك على الصحيحين » فى كتاب الطهارة ١٤٣:١ « قال : قلت يا رسول الله انا بأرض أرضنا أهل كتاب ، يشربون الخمور ، ويأكلون الخنازير ، فما ترى فى آنيتهم وقدورهم ؟ فقال دعوها ما وجدتم عنها بدا ، فاذا لم تجدوا عنها بدا فاغسلوها بالماء ، أو قال : انضحوها بالماء ، ثم قال : اطبخوا فيها وكلوا » .

ثم رواه الحاكم من طريقين آخرين الى أبى قلابة الراوى عن أبى ثعلبة بنحو هذا اللفظ ، وقال عقبهما : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، لم يخرجاه » . وأقره الحافظ الذهبى فى « تلخيص المستدرك » .

ففى امره صلى الله عليه وسلم بغسل الأوانى التى تشرب فيها الخمر دليل على نجاسة الخمر ، لا سيما وقد منعهم من استعمالها ان وجدوا غيرها : « ان وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها » . وما أذن لهم باستعمالها الا بشرط غسلها وأن لا يجدوا غيرها : « فان لم تجدوا غيرها فاغسلوها بالماء ، ثم كلوا فيها واشربوا » .

وقد استدل بهذا الحديث غير واحد من العلماء على نجاسة الخمر ، قال الخطابى فى « معالم السنن » ٢٥٧:٤ شارحا حديث أبى داود السابق ذكره : « والأصل فى هذا أنه اذا كان معلوما من حال المشركين أنهم يطبخون فى قدورهم الخنزير ، ويشربون فى آنيتهم الخمور ، فانه لا يجوز استعمالها الا بعد الغسل والتنظيف . وأما مياههم وثيابهم فانها على الطهارة كمياه المسلمين وثيابهم ، الا أن يكونوا من قوم لا يتحاشون النجاسات ، أو كان من عادتهم استعمال الأبوال فى طهورهم ، فان استعمال ثيابهم غير جائز ، الا أن يعلم أنه لم يصبها شىء من النجاسات ، والله أعلم » .

واستدل به على نجاسة الخمر ايضا الامام تقى الدين ابن دقيق العيد فى كتابه « الامام » ، كما نقله عنه الحافظ الزيلعى فى « نصب الراية » ٩٥:١ ، والامام ابن الهمام فى « فتح القدير » ٥١:١ .

وأورده الامام مجد الدين ابن تيمية مستدلا به على نجاستها فى « منتقى الأخبار » فى كتاب الطهارة فى (باب تعين الماء لازالة النجاسة) ٣٦:١ بشرح الشوكانى : « نيل الاوطار » . وقال الشوكانى فيه فى (باب طهارة الماء المتوضأ بـه) ١٩:١ فى سياق الرد على من قال بنجاسة عين الكافر مستدلا بحديث أبى ثعلبة : « والأمر بغسل الآنية فى حديث أبى ثعلبة ليس لتلوثها برطوباتهم ، بل لطبخهم الخنزير وشربهم الخمر فيها ، يدل على ذلك ما عند أحمد وأبى داود من حديث أبى ثعلبة أيضا بلفظ : ان أرضنا أرض أهل كتاب ، وانهم يأكلون لحم الخنزير ، ويشربون الخمر ، فكيف نصنعُ بآنيتهم وقدورهم ؟ » .

وروى الحاكم فى « المستدرك » فى كتاب الأدب ٢٨٩:٤ــ٢٩٠ « عن سبيعة الأسلمية قالت : دخل على عائشة نسوة من أهل الشام ، فقالت عائشة : ممن أنتن ؟ فقلن : من أهل حمص ، فقالت : صواحب الحمامات ؟ فقلن : نعم . قالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحمام حرام على نساء أمتى . فقالت امرأة منهن : فلى بنات أمشطهن بهذا الشراب ، قالت بأى الشراب ؟ فقالت : الخمر . فقالت

عائشة رضى الله عنها : أفكنت طيبة النفس أن تمتشطى بدم خنزير ؟ قالت : لا ، قالت : فانه مثله » . قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه » . انتهى . ووافقه الذهبى على صحته فى « تلخيص المستدرك » فقال : « صحيح » .

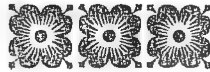
وجاء فى تاريخ الامام ابن جرير الطبرى : « تاريخ الأمم والملوك » ٤:٢٠٤ فى حوادث سنة ١٧ من الهجرة ما صورته : « كتب إلى السرى عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان وأبى حارثة ، قالا : فما زال خالد — يعنى ابن الوليد — على قنسرين ، حتى غزا غزوته التى أصاب فيها ، وقسم فيها ما أصاب لنفسه . كتب إلى السرى عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى المجالد مثله . قالوا :

وبلغ عمر أن خالدا دخل الحمام فتدلك بعد النورة بثخين عصفر معجون بخمر ، فكتب اليه : بلغنى أنك تدلكت بخمر ، وان الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرم ظاهر الاثم وباطنه . وقد حرم مس الخمر الا أن تغسل ، كما حرم شربها ، فلا تمسوها أجسادكم ، فانها نجس ، وان فعلتم فلا تعودوا . فكتب اليه خالد : إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر ، فكتب اليه عمر : انى أظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء ، فلا أماتكم الله عليه ، فانتهى إلى ذلك » .

وفتوى الصحابى حجة فيما لم يرد فيه نص عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكيف اذا طابقت فتواه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت معززة لدلالته ومبينة لمعناه ومؤيدة لفهمه .

والفاروق وعائشة رضى الله عنهما من كبار فقهاء الصحابة الذين شاهدوا مواضع التنزيل ، وخالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله وسيرته وأمره ونهيه : ما مكنهم أن يفهموا كلام الله وكلام رسول الله حق الفهم ، وقد صرحا بأن الخمر نجسة كدم الخنزير ، وظاهرها وباطنها حرام .

وصريح فتواهما هذه الى جانب الحديث الشريف الدال على نجاسة الخمر يكونان بيانا وتفسيرا لمدلول (الرجس) فى قوله تعالى : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) . وتكون النجاسة حقيقة فى الخمر ، ومجازا فيما ذكر معها من باب عموم المجاز ، كنجاسة المشركين المصرح بها فى قوله تعالى : (انما المشركون نجس) . لاشتراك جميع المذكورات فى آية الخمر فى خبث الأثر ، وإضاعة العقل وإهداره ، وتولية الشيطان وإضلاله ، والله أعلم .



نَ القصص الاسلامي



غزوة

بقلم : حسين الطوخى

هاجت البغضاء فى قلوب يهود المدينة وامتزجت بها رجفة سرت فى أوصالهم حين علموا بنصرة محمد صلوات الله وسلامه عليه ومن معه من المسلمين في وقعة (بدر) الكبرى على كفار قريش وطفقوا يناقشون وقائع هذه الغزوة ويحدث بعضهم بعضا :

« ان محمدا لم يلق فى رجال قريش من يحسن القتال ولو لقينا لاقى عندنا قتالا لا يشبهه قتال أحد . »

وتحرى الرسول إفك ما يقولون ، ووضح له أن يهود بنى قينقاع قد نقضوا العهد وانهم تزعموا حملة التشكيك فى قوة المسلمين على قهر أعداء دينهم الجديد .

يومئذ بادر النبى بجمعهم فى سوق بنى قينقاع ، وحرارة معركة بدر لم تبرد بعد ، وواجههم صلوات الله عليه بكل ما يملك من جسارة المحارب قائلا :

« يا معشر اليهود .. احذروا من الله عز وجل مثلما نزل بقريش من النقمة واسلموا فانكم قد عرفتم انى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وفى عهد الله اليكم . »

كان حديث النبى انذارا ووعيدا ليهود المدينة عامة ، وليهود بنى قينقاع خاصة ، لكنهم صعروا خدهم وظلوا يمشون فى الأرض مرحا وينفثون سموم أحقادهم فى محافلهم ونواديهم وفى أمسيات لياليهم يشككون الناس فى بقاء هذا الدين ، وينشرون الشائعات بأن قريشا لن تسكت على هزيمتها وعن محمد وعمن انضوى تحت لوائه ، وانها ستلعق جراحها ثم تتجهز للقاء محمد لتقضى عليه وعلى دعوته قضاء لا قيامة له بعده ..

واستشاط النبى غضبا وغيرة على دينه ودعوته ، وان هى الا ليلة أو ضحاها ثم ينزل عليه جبريل عليه السلام بالآية الكريمة :

« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » .

ويحزم النبى أمره ويخرج مع أصحابه ومحاربيه من المسلمين ويحاصر يهود بنى قينقاع خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد ثم ينزلون على حكمه ، ويريد

قتلهم ، ثم يكلم فى شأنهم فلا يرضى بغير اجلائهم من المدينة ومصادرة ما يملكون من أموال ودور ومتاع ، فكان أن غادروا المدينة الى خيبر .

اهتزت الجزيرة العربية من أدناها الى أقصاها بعد أن حملت الرياح على أجنحتها نبأ طرد بنى قينقاع من المدينة ، وبات معشر اليهود فى كل مكان فى هم مقيم وبلاء عظيم .

ترى هل يستسلمون لهذا المصير الفاجع الذى يتهددهم ويتربص بهم كلما أوغل النبى فى غزواته ، وكلما عاد موكبه الظافر الى يثرب ؟

لقد زاد احساسهم بخطر محمد ودعوته ، ما أقدم عليـــه من طرده لبنى النضير بعد مصادرة أموالهم وسلاحهم وأغلب ما يملكون ، ليذهبوا الى الشـــام غير مأسوف عليهم لما بدا من غدرهم يوم أن عزموا على قتله بالقاء صخرة عليه من خلف جدار كان يجلس اليه ومعه نفر من الصحابة .

ثم تضاعف احساسهم بما يحيط بهم ويساقون اليه من تشريد قريب ، حين بلغهم قتل الرسول لبنى قريظة بعـــد وقعة الخنـــدق ـــ وقد كانـــوا مناصرين ومظاهرين لكفار قريش . يومئذ ناح اليهود على قتلاهم الستمائـــة الذين أمر الرسول بضرب أعناقهم وأقسموا من خلال دموعهم أن ينازلوا محمدا فى وقعة كبرى ولو فنوا عن آخرهم !



اجتمعت أحبار اليهود فى خيبر وتدارسوا موقفهم المؤلم بعد تلك الضربات القاصمة ، وأيقنوا فى قلوبهم أن الاستسلام لمحمد وجيوشه المحاربة ستزيد من قوته بقدر ما يسلبه من عزمهم على مناوأته والتصدى لدعوته التى تحمل فـــى طياتها القضاء على أمنهم وأحلامهم وما يملكون .

وتتوالى اجتماعاتهم كل ليلة فى خيبر ، تلك الواحة الكبيرة الظليلة ، وقد حفت بها الحدائق وزراعات النخيل ، وتوفر فيها ماء العيون والآبار ، كما توفر لها البعد عن المدينة شمالا قرابـــة مائة من الأميال ، كما اتخذ يهودها بيوتـــا محصنة بين تلافيف النخيل والزرع ، وبين تلال من الصخور المنيعة ، وفى بطون وديان تناثرت هنا وهناك لا تراها العين الا بامعان وتدقيق نظر .

ثم يطوف الأحبار ورؤساء القبائل على تلك البيوت المحصنة ، ويفرقون السلاح على أهلها ويمنونهم بيوم النصر القريب على محمـــد وعلى من معه من المسلمين والذين آمنوا بدينه الجديد .

وينعقد مجلسهم الكبير ذات ليلة تحت زعامة كبيرهم **((سلام بن مشكم))** الذى أعلن فيهم بأن هناك خطرا عظيما بات يتهدد الكيان اليهودى فى شـــبه الجزيرة العربية ، وأن واجب اليهود ازاء هذا الخطر ، ان يبادروا الى تأليف كتلة واحدة متماسكة تضم يهود ((خيبـــر)) ويهود ((وادى القـــرى)) ويهود ((تيماء)) ثم كل يهودى يرى فى نفسه قدرة وكفاءة يشارك بهما فى وقف هذا الخطر الداهم .

وكانت خطة ((سلام)) أن يزحفوا على ((المدينة)) بجموعهم وسلاحهم من غير اعتماد على القبائل العربية الذين ألفوا ان ينضموا اليهم من قبل فى مناوأة

النبى ، حتى ينفردوا بفخر مقاتلة المسلمين وهزيمتهم ، ثم ذهب وفد منهم الى « بنى غطفان » فتحالفوا معهم على أن يحاربوا محمدا ومن ينضوى تحت لوائه .

وبلغ الرسول وهو فى المدينة ما انتوى عليه يهود خيبر ، وما اعتزموه من التحرك والخروج الى المدينة بجيشهم لمحاربته ، واذن فقد بدل اليهود أسلوب تفكيرهم وخططهم ، وباتوا يناصبونه العداء جهرة بعد أن كانوا يتخفون ويتسترون بخبثهم ودناءاتهم المستورة .

وكذلك بلغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ان كفار قريش قد جمعوا عزمهم من جديد على محاربته والتجهز لملاقاته وكسر شوكته ، وانهم ينسقون خططهم مع يهود خيبر من وراء حصونهم ، وانهم يزودونهم بكل ما يقدرون من مئونة ورجال مدربين على القتال وحمل السلاح .

انها اذن معركة فاصلة والتحام مصيرى سيمتحن به الاسلام والمسلمون وآذان الدنيا يومئذ وعيونها تترقب ما ستاتى به الأيام المقبلة .

وقد عزم النبى ، بمشاورة صحابته ، أن يبادر بحرب اليهود فى عقر دارهم حربا لا هوادة فيها أو تراجع .

وفى يوم باهر من شهر المحرم للسنة السابعة للهجرة ، خرج محمد وأصحابه بجيش عرم رجاله أسود والخيل من أمام الجيش ترسل عيونها بريقا من لهب ، وأسنة الرماح تلمع فى وهج الشمس أو فى ضياء القمر البازغ نذيرا بالموت والفناء لأعداء الله وأعداء دينه القويم .

خرج النبى من المدينة قاصدا خيبر ليحبط ما تآمر عليه اليهود ومن يناصرونهم ، ولينصر دين الله خاتم الأديان الذى انزله الله ليخرج الناس من ظلمات الجهالة وعبث الكهانة الى نور الحق والخير ، وليرد للانسان كرامته ويخلصه من استعباد الانسان لأخيه الانسان .

وان هى الا مسيرة أربعة أيام ، وينزل الرسول بجيشه فى وادى « الرجيع » بين يهود خيبر وقبائل « غطفان » ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر بما تعاهدوا عليه .

فوجئت « غطفان » ذات صباح باكر بجيش النبى وما هو عليه من وفرة فى السلاح ، وغضب يبرق فى العيون ، وصدق عزم على قتال لا رحمة فيه ولا هوادة ، فأخذوا يولون الادبار نجاة بأعناقهم تاركين يهود خيبر الى مصيرهم الاسود المحتوم .

ساعتئذ بدأ الرسول بأموال خيبر يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حصنا حصنا فكان أول ما افتتح حصن « ناعم » ثم حصن « القموص » ثم حصن « الصعب بن معاذ » وقد كان هذا الأخير أعظم حصون اليهود وأكثرها طعاما وأوفرها ذخيرة وسلاحا .

ولما افتتح الرسول من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الاموال والسبايا ما حاز ، انتهى ومعه المسلمون الى آخر حصونهم « الوطيح والسلالم » بعد أن حاصر من فيهما بضع عشرة ليلة .

يومئذ أيقن يهود خيبر بحلول الهزيمة بهم ، فبعثوا الى الرسول ان يسيرهم وان يحقن دماءهم ويخلوا له كل ما يملكون من مال وزرع وسلاح ، فكانت خيبر برمتها فيئا للمسلمين .

ويقبل النبى صلوات الله وسلامه عليه عرضهم الذليل بعد ان حاقت بهم

الهزيمة التى لا قيامة لهم بعدها ، ويأذن عليه السلام لرجاله أن يخلدوا للراحة من عناء الحرب ومشقة القتال ، ويضرب الحصار على كل أطراف خيبر ، وتفرض عليها الحراسة المشددة ريثما يتجهز المسلمون للعودة الى المدينة تسبقهم أهازيج النصر على أعداء الله وأعداء دينه الحنيف .

وهناك خارج أطراف خيبر ، تتجمع الفلول المنهزمة من اليهود يلعقون جراحهم ، ويذرفون الدموع السخينة على ما أصابهم ، ويبدون الندم على ما تورطوا فيه ولكن هل ينفع الآن ندم ؟

وفى مزارع خيبر ، وتحت ظلال نخيلها الباسق ، يتجمع المسلمون المنتصرون يسمرون ويسترجعون ذكريات وقعاتهم مع اليهود فى المدينة ، ويتدارسون خطط النبى وصحابته كلما خرج للغزو والقتال فى سبيل الله ، وكيف ان الله ينصر من ينصره ويؤيد برحمته كل من يعبده بقلب سليم .

استرجع المحاربون خطط النبى وكيف كان عليه السلام حصيفا غاية الحصافة بعد أن دخل المدينة مهاجرا من مكة فرارا بدينه من كفار قريش ، حين وادع اليهود ، حتى يؤمن ظهره حين يخرج لمحاربة أعداء الله .

ذكروا فيما ذكروا ان الرسول لم يهادنهم عن ضعف ، ولم يوادعهم عن استسلام لسلطانهم أو نفوذهم ، وانما كانت دعوته تقتضيه الا يحارب فى أكثر من جبهة ، ولا يشغل جيشه المحارب بأكثر من عدو واحد .. فى وقت واحد ..

وذكروا فيما ذكروا كذلك ، أن الرسول لم يعلن عليهم الحرب فى المدينة الا بعد أن ضاق بهم بعد أن نقضوا العهود ، وتناسوا الوعود ، وانهم عادوا الى ما ألفوه من خسة فى الطبع ودناءة فى الضمائر التى انطوت جوانحها على كراهة البشر عامة والمسلمين خاصة .

وفى ليلة أخرى من ليالى خيبر ، يذكر المسلمون ان النبى الكريم لم يكن عاتبا على يهود المدينة ولا ظالما لهم حين أخرجهم من بلاد المسلمين ، ذلك لأنه عليه السلام أدرك أنه كلما أفسح لهم صدره ، ومد فى حبال حلمه ، كلما زادوا بغيا وافسادا ، وكلما وسع فى موادعتهم ، كلما أمعنوا فى شركهم ومناصرة أعداء الاسلام عليه وعلى المسلمين .

لقد صبر عليهم الرسول صبرا جميلا ثم أدرك بحسه الصادق فى نهاية المطاف ، أنه يعرض الدعوة الاسلامية ويعرض المسلمين معه الى خطر يستفحل أمره ، طالما بقى اليهود فى المدينة مع المسلمين الذين فروا بدينهم من افك قريش وجبروت الظالمين .

عند هذا الحد من الحديث ، ارتفعت أصوات مؤمنة رصينة تقول : لله در محمد ما كان أجمله وأحلمه ! لقد ظن السفهاء حلمه ضعفا وجبنا ، وحسبوا كرمه ونقاء قلبه استسلاما وخورا .

ويعود الحديث الشائق الى ما كان عليه ، ويذكر القوم المؤمنون والرسول على مقربة منهم فى خيمته مع خاصة صحابته ، انه عليه السلام لم يكن مغامرا حين عزم على قهرهم واجلائهم من المدينة ، وانما كان يقدر لكل خطوة يخطوها توقيتها المناسب ، وكان يزن كل كلمة تخرج من بين شفتيه بميزان احدى كفتيه تحمل روح رجل محارب من طراز فريد ، وفى الكفة الأخرى عقل رجل سياسى ذى ذكاء شديد .

كذلك لم يكن الرسول الا رجلا مسئولا أمام هذا العالم الذى انفتحت آذانه وعيونه تترصد دعوته ، وترقب كل ما يصدر عنه من قول أو فعل .

لم يكن صلوات الله عليه يقول كلاما يضلل به المسلمين ثم لا يقدر على ترجمته الى فعل ايجابى ، انما كان يقول ويفعل ما أمر به الدين الذى أنزله الله لهداية العالمين.

كذلك لم يكن عليه السلام يستأثر برأى صدر عنه دون أن يعرضه على صحابته ، فان أقروه عليه أنفذه ، وان أجمعوا على غير رأيه ، نزل عنه وهو راض غاية الرضاء . كان صلوات الله عليه يستشير ويستشار عملا بما نزل به قرآن الله « وأمرهم شورى بينهم » .

ويذكر الرجال المحاربون فيما يذكرون فى هذا السمر الشائق ، ان الرسول صلوات الله عليه لم يكن يخرج للغزو الا بجيش كامل العدة من مئونة وسلاح ، ومعه رجال محاربون يحبون الموت حبهم للحياة ، لا يصرفهم عن القتال جمع مال أو تجارة أو تعلق بزخرف الدنيا وعرضها الزائل .

كذلك لم يكن صلوات الله عليه يخرج للقتال قبل أن يؤمن الجبهة الداخلية فى المدينة ، فاذا كان العام عام جدب وقحط ، عدل عن الخروج حتى تتيسر للناس أرزاقها وتنفرج أزماتها ، ويكون هناك فائض من أموال يشترى بها سلاح الحرب ومئونة المحاربين ، فالحرب من قبل ومن بعد ، حرب عقيدة ومصير ، وليست أمر هزل يعقبها شر مستطير .

وتبلغ النبى فى خيمته جل هذه الاحاديث الواعية وتتبسم ثناياه ، وينشرح صدره ، ويطمئن فؤاده على الاسلام وعلى دعوته ، ويدعو الله أن ينير للناس البصائر وان يهديهم الى صراط مستقيم .

وتتسمع فلول اليهود الى ما يدور ويتناقل على السنة المسلمين فى خيبر ، وتنشق قلوبهم غيظا وتكاد عروقهم أن تتمزق حسرة وكمدا .

ويعاودون التفكير فى مؤامرة جديدة لعلها تصيب من محمد مقتلا ..

كانت هناك امرأة تنوح ليلها ونهارها على مقتل زوجها وأبيها وعمها ، وتدور على بيوت اليهود خارج خيبر تلطم خدودها وتشق ثيابها وقد بللتها الدموع تطلب الى الفلول الباقية أن يفعلوا شيئا يخفف لوعتها وثكلها فكانوا يجيبون : وماذا نقدر عليه يا زينب وقد بات سلاحنا مغلولا وأموالنا وقد ذهبت الى المسلمين .. لم نعد نملك شيئا نقدر به على أمر .. الصبر يا بنت الحارث .. الصبر .

وتزأر زينب بنت الحارث فى وجوه الاحبار وتقول فى النهاية :

عندى حيلة أقتل بها محمدا فأعينونى على انفاذها .. ويجيب عليها أحبار اليهود :

وماذا تبغين منا أن نفعل ؟ وتقول زينب : الى بشاة سمينة فانى أعلم أن محمدا يحب كتفها جيدة الشواء والنضج ، والى بسم زعاف مما تستخدمون فى قتل أعدائكم وسأتقدم على فعلة لا يقدر عليها الرجال .. واحر قلباه .. وازوجاه ..

أقبلت زينب متلفعة برداء الليل بعد أن صلى القوم العشاء ، الى خيمة النبى تحمل على رأسها وعاء من فضة أرقدت فيه الشاة السمينة وقد تطايرت

منها رائحة الشواء تقتحم أنوف حراس الخيمة ، فحسبوها احدى نساء المحاربين أحبت أن تحيى النبى وصحبه ومن ثم أذنوا لها بالدخول .

قالت زينب وهى تصطنع الحياء وتضع الشاة بين يدى الرسول :

بأبى أنت وأمى يا أبا القاسم الا ان تقبل هذه الشاة المباركة التى أجدت انضاجها وشيها .. انها هدية أهديتها لك ولأصحابك .

ساعتئذ ، تبسم الرسول وهش فى وجهها بعد أن حسبها بدوره احدى المسلمات المصاحبات لأزواجهن ، وأخذ يتمتم بعبارات الشكر والرضاء ، وانصرفت زينب وهى تمنى النفس بالآمال الكبار ..

أذن النبى الكريم للصحابة أن يدنوا من الطعام وأن يبدأوه قبله تواضعا وتأدبا ، فتناول « بشر بن البراء » قطعة من لحم الشاة أخذ يلوكها فأحس منها بطعم غريب لكنه ازدردها فى النهاية ولم يبد منها امتعاضا حياء من رسول الله .

لكن الرسول سلام الله عليه حين قضم قطعة من ذراع الشاة وبدأ يلوكها أحس بذات الطعم الغريب والمذاق العجيب فكف عن الأكل ولفظ ما تناوله وهو يقول :

ارفعوا ايديكم فان كتف الشاة تخبرنى أنها مسمومة .

ساعتئذ قال بشر بن البراء :

والذى اكرمك لقد وجدت ذلك من اكلتى التى اكلت حين التقمتها فما منعنى أن ألفظها الا انى كرهت أن ابغض اليك طعامك .

حزن الرسول غاية الحزن لما تيقن أن الشاة مسمومة ، وأن خبث اليهود وإفكهم لم يقف بهم عند حد .

وجاهد رسول الله وصحابته ان يعينوا « بشرا » على أن يلفظ ما دخل الى جوفه ، لكن ارادة الله كانت أسبق من ارادتهم ، وسرى السم فى بدن الصحابى الجليل حتى حال لونه وأتاه وجع الموت .

ودعا الرسول بصاحبة الشاة قبل أن تخرج الى أطراف خيبر ، وعلم أنها « زينب بنت الحارث » زوج سلام بن مشكم فسألها :

ما حملك على ما صنعت ؟

قالت زينت :

ـــ انك نلت من قومي ما نلت ! قتلت أبى وعمى وزوجى فقلت فى نفسى : ان كان نبيا فستخبره الذراع وان كان ملكا استرحنا منه . وقد استبان لى أنك صادق وأنا اشهدك ومن حضرك أنى على دينك ، وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

ولم يسع الرسول الكريم الا أن يعفوا عنها وأن يغتفر لها فعلتها بعد الذى أصابها فى ابيها وزوجها وعمها .

وعاد النبى وصحابته وجيشه المنتصر الى المدينة يحملون «بشر بن البراء» وظل عاما يشكو وجع السم والمرض حتى وافاه الأجل شهيد حياته وفدائه للرسول ، ودفن مع الشهداء والابرار فى أكرم جوار .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها ..

التلقيح الصناعى

السؤال :

ما حكم الشرع الاسلامى فيما يسمى اليوم بالتلقيح الصناعي ، وهو ادخال نطفة رجل تؤخذ من مستودع خاص تحفظ فيه النطف يسمى (بنك النطف) الى رحم امراة بوساطة طبيب يقوم بهذه المهمة ، عندما لا يستطيع الزوج تلقيح زوجته بطريق الاتصال الجنسى الطبيعى وهو الجماع حيث قد اختلف علماء الشرع والطب فى جواز ذلك وقام بشأنه نزاع ؟

اورخان ارصوى مفتى خانفازى

احيل هذا السؤال على فضيلة الشيخ مصطفى احمد الزرقا فتفضل بالاجابة التالية :

ان فى حكم هذه المسألة شرعا تفصيلا بحسب الأحوال :

أ ــ فاذا أريد أخذ النطفة من الزوج نفسه وادخالها الى رحم زوجته لتسهيل عملية الحمل التى لا تحصل بالجماع الطبيعى بينهما لسبب من جهته هو أو من جهتها هى ، فهذا قد يمكن القول بجوازه شرعا اذا دعت اليه حاجة ، كما لو لم يكن للزوجين أولاد وهما حريصان على التناسل وانجاب ذرية لأن التناسل مصلحة مشروعة لهما ، وأصبح متوقفا على هذه العملية .

والمحذور الوحيد الذى يلحظ شرعا فى هذه الحال هو لزوم انكشاف عورة المرأة لغير زوجها فاذا احتاج اليه الزوجان ورغبا فيه معا ، أو أراده الزوج فقد يمكن القول باغتفار هذا الانكشاف الضرورى الخاص رعاية لهذه المصلحة وان كنت أنا أفضل الأستغناء عنه ، فان رغبة انجاب الأولاد قد نشك فى أنها ترتقى الى نطاق الضرورات التى تبيح المحظورات كالحاجة الى التداوى للخلاص من مرض مؤذ لا يمكن التداوى منه ومعالجته الا بكشف العورة .

واذا قلنا بالجواز يجب أن يلحظ عندئذ أن الضرورة تقدر بقدرها ، وانه اذا أمكن أن تقوم بهذه العملية امرأة (طبيبة) أو متمرنة ، لا يجوز أن يقوم بها رجل (طبيب أو متمرن) لأن فقهاء الشريعة يقررون أن انكشاف الجنس على جنسه عند الضرورة أخف محذورا من انكشافه على الجنس الآخر ، ولهذا لا يجوز أن يقوم بتطبيب المرأة أو توليدها رجل اذا كان هناك طبيبة انثى أو قابلة عالمة تستطيع القيام بهذه المهمة .

ب ـ وأما اذا كان الزوج عقيم الماء ، وأريد ممارسة عملية التلقيح الصناعي بأخذ نطفة رجل آخر من نطف تحفظ خصيصا لهذا الغرض بوسائل فنية في مستودع النطف (البنك) ووضعها في رحم الزوجة لتحمل ، فهذا حرام قطعي لا يجوز فعله بحال من الاحوال اصلا مهما كانت ظروف الزوجين لأن فيه تغييرا للانساب بما يترتب عليها من حرمات شرعية وحقوق وواجبات .
ومن يستبيح ذلك فخير له ان يعتبر نفسه غير مسلم .

حديث باطل

السؤال :

هل هذا الحديث صحيح « من احب وعف ومات فهو شهيد » ؟

اجاب على هذا السؤال فضيلة الشيخ محمد سليمان الاشقر :

حديث « من عشق فعف وكتم فمات مات شهيدا » اشار السيوطى فى الجامع الصغير الى ضعفه ، واستنكره يحيى بن معين ناقد الاسانيد المعروف ، وروى فى كتب الادب فى (مصارع العشاق) لأبى جعفر السراج بلفظ « من عشق فظفر فعف فمات مات شهيدا » ورواه الزبير بن بكار مرفوعا بسند قال فيه السخاوى انه صحيح ، وقال : قال العراقى فى هذا الحديث : سنده فيه نظر (المقاصد الحسنة للسخاوى) .

وقال ابن القيم (روضة المحبين ص ١٨١) : « هذا حديث باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعا ، لا يشبه كلامه ، وقد انكر حفاظ الاسلام هذا الحديث على (سويد) .

وقال البخارى : كان سويد قد عمى فيلقن ما ليس من حديثه ، وادخله ابن الجوزى فى الاحاديث الموضوعة ، واما رواية الزبير بن بكار التى قال فيها السخاوى انها صحيحة ، فقد قال عنها ابن القيم : هى من رواية يعقوب بن عيسى وهو ضعيف تنسبه اهل الحديث الى الكذب

والخلاصة ان هذا الحديث ليس له من جهة الرواية مكانة من الصحة تجعله حجة ، وانما هو مما تتناقله كتب الادب ، ولكن معناه صحيح خاصة باللفظ الذى رواه به ابو جعفر السراج « من عشق فظفر فعف فمات مات شهيدا » لأن من ترك شهوته لله بعد تمام مقدرته عليها ، وعدم الحواجز بينه وبينها الا خوف الله والحياء منه ، فهذه منزلة مدح الله بها نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام .
وفى الحديث الصحيح ان رجلا كانت له ابنة عم هى احب الناس اليه ، وكانت فقيرة الحال وعفيفة النفس ، وانه قدر على الوصول الى غرضه منها ، فلما قالت له (اتق الله) شكر الله وعف عنها ، واستجاب الله دعاءه عندما كان فى اضيق احواله .

وهذا طبعا ان لم يكن قادرا على الوصول الى غرضه بالزواج المشروع لمانع من فقره ، او امتناعها ، او امتناع اهلها . او لمانع شرعى او غير ذلك .
اما ان كان قادرا على الزواج وتركه ، واخذ يتلوى من الالم فحسبه ذلك .

بريد الوعي الإسلامي

حــول تحضير الارواح

تحت هذا العنوان نشرنا فى العدد الماضى اجابة للدكتور عثمان خليل على سؤال وجه اليه حــول تجربته فى الروحية .
وقد ورد لهذا الباب رسائل كثيرة من القراء تعليقا على ما نشر ، ونكتفى هنا بالرسالة التى وردت الينا من السيد عبد الفتاح عزت سالم من (ج.ع.م) ــ الزقازيق ، وقد طواها على ثلاثة آراء لعلماء متخصصين فى عــلم النفس والفلسفة والتصوف .

اما راى علم النفس فيتحدث عنه الدكتور احمد فؤاد الاهوانى فيقول :

ان الروح شىء فى طى الغيب لا يدركها العقل ، ولا يمكن معرفة حقيقتها سواء من الناحية الفلسفية أو الناحيــة الدينيــة ، اللهــم الا اذا قلت المعانى الروحية ، أى المعقولات المجردة ، ولكن هل للروح وجود مستقل ؟ هــذه هى المسألة ، فنحن اذا قلنا روح الأمة ، فهل معنى هذا أن للأمة روحا ؟ واذا قلنا الفنان يخلق أعمالا فنية فيها روح ، أو يرسم لوحات زيتية ذات روح أو يؤلــف قطعا موســيقية ذات روح ، واذا قلنا أن الشــاعر ينظم قصيــدة تنبض بالروح ... فهل معنى ذلك ان لكل هــذه الأشياء أرواحا ؟ الواقع وحقيقــة الأمر أن معنى (روح) هنا تعبير مجازى ، هــذا من الناحية الفلسفية ، أما من الناحية الدينية فانها تخبرنا أن هناك أرواحا ، ولكنها عند هــذا الحــد تقف ولا ترغب فى المناقشــة ، فالدين يعترف بالأرواح والجن وبأشياء من هــذا القبيل ، ولكنه يسلم بذلــك تسليما .
والقرآن الكريم بين فى آياته الحكيمة انه ليست هناك ضرورة للخوض فى مثل هــذه الموضوعات ، اذ قال الله تعالى فى كتابه العزيز « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » فلا سبيل الى الانسان لمعرفــة الأرواح ، وليس من مصلحته البحث فى ذلك ، وعلى ذلــك فانى أرى أن الخوض فى مســائل الأرواح عبث لا طائل تحته ، اذ أن الحس يختص بالحس ، والأشياء الطبيعية .. أما ما دون ذلك فلا يجوز لــه أن يخوض فيه . وعلــى ذلك فان تحضيــر الأرواح لون من الشعوذة التى تحمل وراءهــا أشياء ليس من شــأن العــلم أن يخوض فيها .

واما راى الفلسفة فيتحدث عنه الدكتور عثمان امين فيقول :

ان تحضير الأرواح موضوع ظهر منذ أوائل هــذا القرن ، وقد قــام به جماعة بقصد التسلية حينا ، وللفت الأنظار حينا آخر ، وهو نوع من التهريج ، وليس معنى هذا أن الروح غير معروفــة فى الفلسفة ، اذ أن الروح بمعناهــا

الفلسفي هى الفكرة التى لا نعيشها ولا نحضرها ، ولا يمكن أن تنال بالحواس الظاهرة . ولكن الانسان يمكن ان يصل اليها بالجهد (الجوانى) أى الجهد غير المادى الــذى يبذله الانسان فى نفسه . والفكرة اذا آمن الانسان بها ، واقتنع بصحتهــا ، فانـــه قد يغير بهــا مجرى التاريخ ، فالايمان بالروح يصنـــع التاريخ .

وأساس الفلسفة كلها الروح .. والايمان بالروح هو وجود قوة تحـــدد جانب الحياة ، ومحمد عبده كان من الأشخاص الذين آمنـــوا بالفلسفة الروحية ، كما أن فلسفة أفلاطون قائمة على الاعتقاد بالروح وخلودهـــا فالجزء الروحانى باق ولو زال الجزء الجسمانى بعد موات الجسم وهلاكه ، والروح فكرة ، فاذا كانت حية فى قلوب أمة من الأمم فهى التى تبعث فيها الحياة .

هذا هو مدلول الروح فى الفلسفة وليس من العلم أو الفلسفة أن نعترف بتحضير الأرواح ، فهى مسألة أشبه بمسائل الحواة أو الألعـــاب البهلوانية ، ومن يقوم بتحضير هذه الأرواح يمكن أن يفتى فيها ، أما أنا فرغم أن المــذهب الجوانى يؤمن بالروح فأرى أنها مسألـــة لا أستطيع أن أفتى فيهـــا فى ضوء العلم الحديث .

ويكشف عن رأى الصوفية الدكتور ابو الوفا التفتازانى فيقول :

اننى كمتصوف لا أؤمن بتحضير الأرواح ، ولو أننى من الصوفيين الذيـــن يؤمنون بعالم روحى ، ولكن عالمهم الذى يؤمنون به يختلف كل الاختـــلاف عن ذلك ، فالصوفييون يؤمنون بأن الروح فى البـــرزخ أو فى الحيـــاة البرزخيـــة مصداقا لقولـــه تعالى « **ومن ورائهـــم برزخ الى يوم يبعثون** » ومعنى ذلـــك استحالة انتقـــال الأرواح من عالم البرزخ الى عالمنا هـــذا على أى وجـــه ، أما مسألة تحضير الأرواح فقد تكون عن طريق قوى خفية مثل الجن ، أو تكون لونا من الأوهـــام ، فالذى يحضر الروح يكون تحت تأثير وهم يؤثـــر فيه من الناحية السيكولوجية ، والصوفييون حاولوا محاولات مختلفـــة للاتصال بالعالم الروحانى ، أو العالم العلوى أو الأفـــلاك العلوية .

وكانوا يعتقدون أن علوما لهذا الغرض تعرف عندهـــم بعلـــوم الأسماء والحروف ، أى أنهم يعتقدون أن كل حرف من حروف الأبجدية له خاصة معينة ، فالأفلاك لها تأثير على عقول الافراد ، ومن هنا ظهر علم حساب النجم وحساب الطالع ، والبعض يؤمن بأن الحروف التى فى أوائل السور لها خواص روحيـــة معينة ، ومن هؤلاء ابن سينا فى الرسالة النيروزيـــة اذ اعتقـــد أن هنـــاك أسرارا خاصة للحروف الموجودة فى أول السور ، وحاول أن يستخرج المعالـــم الباطنة ، وهذا العلم معروف فى الغرب بعلم الأسرار الباطنة

ولكن تحضير الارواح على الوجه الـــذى نسمع به ، لم يعـــرف عند فلاسفة المسلمين .. علمائهم وصوفيتهم رغم أن الصوفيين يعتقدون أن الروح اذا تخلصت من عوائق البدن بالرياضة والمجاهدة ، استطاعت أن تصـــل الى معرفة الله . وينسب اليها بعض الصوفيين القدرة على اتيان الخوارق ، وهى المعروفة عندهم بالكرامات ، وهى خوارق للعادة ، تظهـــر عـــلى يد الولى أو الصوفى المتعبد فى مقابل المعجزة التى هى خارقـــة للعادة وتظهر عـــلى يد النبى !

بأقلام القراء

العربية لغة عالمية

كتب الأستاذ محمد بلي الفوتى المشرف على الشئون الاسلامية فى جمهورية التوجو تحت هذا العنوان يقول :

يبدو لزاما على المسلمين وغيرهم على السواء — والافارقة خاصة — تعلم العربية وتبنيها لغة ثانية فى المدارس العمومية والخصوصية معا :

(١) ان اللغة العربية من أعرق اللغات العالمية منبتا ، وأعزها جانبا ، واقواها جلادة ، وابلغها عبارة ، واغزرها مادة ، وأدقها تصويرا لما يقع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول فى النفس ، وذلك لمرونتها على الاشتقاق وسعة صدرها للتعريب ، وهى لغة شاعرية حساسة ذات منطق وفصاحة وبلاغة وآداب .

فليس هناك معنى من المعانى ، ولا كلمة من الكلمات ، ولا فكرة من الافكار ولا عاطفة من العواطف ، ولا نظرية من النظريات ، تعجز اللغة العربية عن تصويرها بالأحرف والكلمات تصويرا صحيحا واضحا .

(٢) لقد استطاعت اللغة العربية أن تقهر اليونانية فى الشرق ، واللغات الشعبية التى كانت منتشرة فى المغرب العربى ، وغلبت كذلك اللغة القبطية فى مصر . كما وجدت مكانتها مرموقة بين اللغات العالمية .

(٣) انها هى الصلة الوثيقة بين حضارات الماضى ، وحضارات اليوم ، وبذلك أدت خدمة جليلة للانسانية جمعاء .

(٤) ان الكثير من مصطلحات الفنون الحديثة تستمد عناصرها من اللغة العربية ، مثل الجبر والاكسير ، والكحول ، وكذلك مصطلحات العلوم الطبيعية ، كالقطن والياسمين والزعفران .

(٥) وهى من اللغات الرئيسية فى العالم التى أصبحت لغة حية قوية لأمم وشعوب مختلفة متباينة فى أجناسها وفى أصل نشأتها وطبيعتها .

(٦) لقد اندثرت أخوتها السامية من آرامية ، وكلدانية وكنعانية ، وسريانية وعبرانية قديمة ، وأشورية وغيرها حين بقيت هى على رغم ما مر بها من عصور الركود ، وما زالت تحيا حياة طيبة ، وتتعمق وتتسع فى جميع الآفاق وستظل كذلك — ان شاء الله تعالى — الى قيام الساعة .

(٧) وهى معتبرة حاليا لغة هامة وعظيمة تدرس فى جميع جامعات العالم .
(٨) معظم اذاعات العالم تستعمل اللغة العربية فى برامجها اليومية .
(٩) الثقافة العربية تجعل الانسان ممثلا ممتازا لدى الدول العربية والاسلامية معا .

وبالنسبة الى الافريقيين :

(١٠) ان العربية لغة افريقية واسيوية معا .

(١١) وهى اكثر اللغات انتشارا فى افريقيا ، وينطق بها خمسا سكان افريقيا .

(١٢) تتحدث بها سبع دول افريقية باعتبارها لغة رسمية وشعبية لها معا . وهى — الجمهورية العربية المتحدة ، الجمهورية الليبية ، والجمهورية التونسية والجمهورية الجزائرية ، والمملكة المغربية ، والجمهورية الاسلامية الموريتانية والجمهورية السودانية .

وهذه الدول تغطى مساحة ٨٥٩.٥٤٠ كيلومتر مربع ويسكنها اكثر من تسعين مليون نسمة .

(١٣) ان اللغة العربية هى الرباط الوحيد الذى يشد افريقيا بآسيا والتى تعتبر أكبر قارة فى العالم ولذا فهى جديرة بأن تعتبر اللغة الوحيدة التى توحد افريقيا بآسيا .

(١٤) تستعمل ثلاث لغات فقط فى مؤتمرات (منظمة الوحدة الافريقية) وهى اللغة العربية اللغة الافريقية الوحيدة ، والانكليزية ، والفرنسية ، وهما لغتان استعماريتان .

(١٥) ان اللغة العربية جديرة بمنح الاحساس بالشخصية القومية فى البلاد الافريقية على العموم عوضا عن اللغات الاوروبية التى هى من بقايا الامبريالية الاستعمارية .

(١٦) يرجع كل الفضل لمعرفتنا تاريخ افريقيا الى العربية .

وبالنسبة الى المسلمين :

(١٧) ان اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ولسان النبى العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ، وبدون معرفتها لا يفهم المسلمون دينهم فهما سليما .

(١٨) ان المسلمين اليوم يشكلون ربع سكان العالم كله ، وثلثى مجموع سكان القارة الافريقية واكثرهم يستعملون العربية كلغة ثانية للتفاهم بينهم .

(١٩) واخيرا ، ان العربية هى اللغة الوحيدة التى يستعملها المسلمون فى صلواتهم ومناجاتهم وفى دعواتهم وابتهالاتهم ، ولهذا تعتبر اللغة الاسلامية الوحيدة .

التلمود دستور الصهيونيـــة

وكتب الأستاذ محمد المعبد المصرى بمنظمـــة فلسطين العربية تحت هـــذا العنوان يقول :

ولم يكتف اليهود بما أدخلوه على التوراة من تحريـــف طمس الكثير مـــن حقائقها بل قاموا بوضع كتاب آخر عظموه أكثر من تعظيمهم لتـــوراة موسى ، وجعلوه أكثر قدسية لأنه وضع حسبما شاءوا وجاء ليرضى عقد نفوسهم وأحقادهم ذلك الكتاب هو « التلمود » الذى يعتبر بحق دستور الصهيونية الأول ، وموقد جذوتها ، ورغم ما لهذا الكتاب من عظيم التأثير على الفكر الصهيونى فما زالت كبريات جامعاتنا ومعاهدنا خلوا منه ، وما زال كبار مثقفينا لا يعرفون عنه الا شذرات يقرءونها فى ثنايا الكتب ، وقد زعم اليهود أنه أنزل على موسى شريعتان احداهما الشريعة المكتوبة التى تحتويها الأسفار الخمســـة ، وأخرى شفـــوية يتلقاها الخلف عن السلف ، وأن تلك الشريعة الشفوية أعظم قدرا من الشريعة المكتوبة ، وكان أحبار اليهود يستظهرون تلك الشريعة ويحفظونها عن ظهر قلب ، ويضيفون اليها فى كل عصر شروحا ومتونا جديدة ، ولما كثرت شروح الأحبـــار وتفاسيرهم أصبحت مهمة استظهارها مهمة شاقة لذلك حاول الاحبار «هلل وماثير وعقبيا» تصنيف هذه الاحكام ، ولـــكن عملهم لم يلق استحســـانا من جمهرة اليهود .

وفى سنة ١٨٩م قام الحبر يهودا هنسيا ـــ الذى كان يقيم فى قرية صبوره على بحيرة طبرية والتى آلت اليها الزعامة الدينية ليهود فلسطين بعد خـــراب الهيكل ـــ قام بترتيب وتدوين الشريعة الشفوية كاملة ، وزاد عليها اضافات من عنده ، فكانت هى (مشنا الحبر يهودا) التى انتشرت بين اليهود حتى أصبحت الصورة المعتمدة للشريعة الشفوية ، ثم قام أحبار الأمورائم (الشراح) بشرح هذه المشنا والتعليق عليها ، وتحليل نصوصها وتفسيرها بصورة مفصلة ، ولكن كان تفسير يهود فلسطين لهذه الاحكام يختلف عن تفسير يهود بابل الذين كانت لهم جامعتهم الدينية فى مدينة سورا ، وما أن قارب القرن الرابع على الانتهـــاء حتى نسق أحبار فلسطين تفاسيرهم وصاغوها بالصورة المعروفة « بالجمـــارا الفلسطينية » وباضافتها الى (المشنا) نشأ التلمود الأورشليمى ، وبعد ذلـــك بحوالى مائة عام نسق أحبار بابل تفاسيرهم حتى أصبحت (الجمارا البابليـــة) أطول من المشنا باحدى عشرة مرة وقد كتبت المشنا أصلا بالعبرية ، بينما كتبت الجمارا بالآرامية ، وهناك تلمودان الأورشليمى الـــذى يضم المشنا والجمـــارا الفلسطينية ، والتلمود البابلى الذى يضم المشنا والجمارا البابلية وهو أطول من التلمود الأورشليمى ويتكون من ٢٦ مجلدا بينما يقتصر الأورشـــليمى على ٢٢ مجلدا .

وما كاد يتم التلمود حتى أصدر الأمبراطور جستنيـــان سنة ٥٥٣م قرارا بتحريمه لما يحتوى من حقد على البشرية واستهانة بالقيم الانسانية الا أن اليهود ازدادوا تمسكا بالتلمود وتعاليمه مما جعل له أكبر الأثر فى تشكيل النفســـية اليهودية ، ونظرة اليهود الى الآخرين .

قالت صحف العالم

نشرت مجلة هدى الاسلام الاردنية تحت هذا العنوان تقول :

ان أعظم ثروة تملكها أمة من الأمم هي ثروتها الفكرية ، لأن هذه الثروة هي التي تنمي طاقة الامة على الحركة ، وقدرتها على النهوض والابداع ، وتعين لها أهدافها وترسم غاياتها وتضيء لها سبيلها في مسيرتها نحو تلك الأهداف والغايات ، كما تمنحها القدرة على حل المشكلات العارضة وازالة المعضلات التي تقف في وجهها .

وفكر أمتنا الأصيل في ماضيها وحاضرها هو الاسلام ، الاسلام ليس غير بعقيدته وفلسفته ومنهجه وثقافته يعرف ذلك كل من له المام بقضايا الفكر ، وكل فكر غيره وصل الينا انما هو فكر دخيل طارىء لا يلبث أن يقف تياره اذا ما تنبهت الشعوب الاسلامية الى قيمة الثروة الفكرية التي تمتلكها .

وقد ابتليت الشعوب الاسلامية بتحديات عقائدية ، وضغوط فكرية وغزوات ثقافية متلاحقة أوجدت في حياتها حيرة ، وفي صفها ارتباكا ، ولولا اصالة الفكر الاسلامي وخصائصه الفريدة لاندثر بفعل تلك الضغوط الجارفة . وما زالت هذه التحديات والضغوط تتوالى وتشتد يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة ولم ينقطع تيارها الجارف منذ أمد بعيد .

وقد أخذ الذين اتوابها هم وتلاميذهم يروضون هذا الجيل على تقبل الأفكار والفلسفة والأخلاق الغربية كحضارة حديثة لا مفر من العيش في كنفها أو الركوع أمام هيكلها .

ونتج عن هذه التحديات والضغوط مظاهر أخلاقية في حياة المسلمين لا تتناسب والأخلاقية الاسلامية ، فأصيب هذا الجيل بآفات عارضة أشبه بأمراض الجلد يعقبها هبوط في الجسم كله .

ولم تكن هذه التحديات وليدة المصادفة ، ولا نتيجة ما يسمونه بالتطور التاريخي الحتمي بل جاءت وليدة أبحاث مستفيضة ودراسات عميقة ، واحصاءات دقيقة وتقديرات ومخططات بعيدة المدى .

والمتعمق في دراسة هذه التحديات والضغوط يجدها ترمي الى ثلاثة أمور :

الأول : زعزعة العقيدة الاسلامية في نفوس هذا الجيل ، باعتبارها مرتكز الوجود الاسلامي كله .

الثاني : تحطيم كل قيمة حية تجدد في المسلمين الوعي واليقظة والحركة .

الثالث : سلب الخيرات واستغلال منابع الثروات الضخمة الدفينة في بلاد المسلمين .

فليس أمام المسلمين من مفر فى أن يقفوا صفا واحدا متراصا من هذه الضغوط ، موقف المناهضة المستنيرة الحازمة ، ولا مفر من أن يتقدموا بأفكار ومفاهيم يظهر فيها الاسلام قوة دافعة فى الحياة العامة .

فى مرضاة الله

وتحت هذا العنوان نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تقول :

لا يسأم المؤمن الذى توفرت له يقظة القلب واشراقة النفس من العمل الدائب ابتغاء مرضاة الله تعالى داعيا — على الرغب والرهب — من يجيب المضطر اذا دعاه ، أن يكتب له القبول ، وأن يجعله فى عداد من تثقل موازينهم يوم القيامة ، وذلك هو الفوز الكبير .

وانطلاقا من هذه النقطة يبصر المؤمن كل واحدة مما يلاقيه من مصاعب أو متاعب فى قضايا أمته ولها وجهان : **اما احدهما** — فهو ما تفرضه مواجهة تلك القضية من جهد جاهد ودأب مخلص ، ليعد لها العدة ويواجهها بما تحتاج اليه . **والثانى** — انها واحدة من موائد الحق سبحانه ، يقبل عليها من يقبل ، ليكون له من انجاز ما يفرضه الاسلام بشأنها ، بريد خير ، وطريق سعادة ينالها من أحبهم الله وأحبوه ورضى الله عنهم ورضوا عنه .

وفى هذا لن يكون ثقل التبعات وصعوبة اقتحام العقبات ، باعثا على الهروب من الساحة أو القاء الحبل على الغارب ، خصوصا فيما يخمره العقل الباطن ويخرج على فلتات اللسان ، أو يظهر على التصرفات وكأنه قضية مدروسة اتخذ لها بعد البحث والتمحيص قرار . بل على العكس . ان شعاره دائما (وسارعوا الى مغفرة ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) .

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) .

والحق أن هذه اللمسة الايمانية التى تحرك المسلم من الأعماق ، هى التى تجعله أكثر حركية وقدرة على التأثير ، بما يسبق خطوته من الاخلاص والتقوى ، وهى التى تطبع عمله بطابع الاستمرار ، والصبر على كل المعوقات عند ارادة التغيير والانتصار على عوامل اليأس واستبطاء النتائج وثمرات العمل .

والمؤمن — فى ذلك كله — يرافقه على المدى وضوح فى الرؤية ، ووعى للواقع الذى تظله أحداثه ، وادراك لطبيعة الارض التى يتحرك عليها فى مواجهة أعداء أمته هنا وهناك ، وقدرة على تقويم كل صغيرة وكبيرة مما تلده الليالى ويطلع الفجر به على دنيا الناس كل صباح .

لذا تراه — وعناية الله معه — لا يتخلف عن واجب ، ولا يضيق ذرعا بالمسؤولية ، ولا يتبرم بالتكليف ولا يطيش امام تلك الصور المعادية التى تفجؤه بألوانها وأشكالها طولا وعرضا وعمقا وانحرافا قد لا يخطر لك ببال .

الكويت :

● بأمر صاحب السمو أمير البلاد المعظم سيبنى على نفقته الخاصة مساكن لأسر شهداء الجيش الذين استشهدوا فى معارك القناة .

● عكفت الدوائر المسئولة على دراسة البيان السياسى الخطير الذى القاه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء .

● صدر بيان رسمى عقب زيارة وزير خارجية ايران للبلاد أكدت فيه الكويت وايران أهمية استعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين فى وطنه .

● صرح معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بأن الوزارة بالاشتراك مع بعض الوزارات تقوم بتوعية المواطنين بمناسبة ذكرى حريق المسجد الأقصى التى توافق ٢١ أغسطس الحالى .

● صرح معالى وزير الارشاد والانباء بالنيابة بأن الكويت تستنكر التصريحات الامريكية التى تظهر العداء للعرب .

● أصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكتاب الرابع من سلسلة احياء التراث الاسلامى وهو كتاب « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » لمؤلفه الحافظ ابن حجر العسقلانى تحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمى الهندى .

● قررت رئاسة هيئة أركان القوات المسلحة تزويد ادارة التوجيه المعنوى بجماعة من الوعاظ .

● تضمن تقرير اللجنة المشكلة لتعزيز التربية الدينية فتح تخصص للشريعة الاسلامية فى كلية الآداب وكلية البنات .

القاهرة :

● قام الرئيس عبد الناصر على رأس وفد مصرى بزيارة الاتحاد السوفياتى وقد أجرى هناك مباحثات حول النزاع العربى الاسرائيلى كللت بالنجاح التام .

● تحطمت أسطورة الفانتوم على ضفاف القناة ، وصرح مصدر مسئول بأن جهاز الدفاع الجوى المصرى جعل مهمة الطيران الصهيونى صعبة .

● قام وفد يمثل الأزهر برئاسة الدكتور عبد الحليم محمود بزيارة للبلاد الاسلامية فى آسيا للدعوة لتحرير الارض المقدسة .

● عين الدكتور محمد بيصار أمينا عاما لمجمع البحوث الاسلامية خلفا للدكتور عبد الحليم محمود الذى عين وكيلا للأزهر .

● تلقت جامعة الأزهر ٢٠ منحة دراسية من المانيا الديموقراطية .

السعودية :

● عاد جلالة الملك فيصل الى البلاد بعد أن قام بجولة شملت عددا من الدول الاسلامية .

● صدر بيان تركى سعودى عقب زيارة وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية لتركيا أكد سياسة البلدين الموحدة تجاه النزاع العربى الاسرائيلى .

بغــــداد :

● أصدرت الحكومة أمرا بحظر النشاط البهائى الهدام فيها .

● تقرر تشكيل فوجين من قوات (البيش مركه) الكردية للعمل كحراس للحدود العراقية .

عمـــان :

● تم توقيع اتفاقية سلام بين الحكومة وبين المنظمات الفدائية تكفل سيادة النظام فى البلاد وحرية العمل الفدائى .

● تصاعد العمل الفدائى فى بيسان ومستعمرات الحدود وتصاعدت معه خسائر العدو .

● تفيد الانباء الواردة من المناطق المحتلة ان آلاف الاسرائيليين غادروا اسرائيل عائدين الى بلادهم بعد تزايد العمليات الحربية .

دمشـــق :

● كان للمواقف البطولية التى قام بها الجيش السورى فى معاركه الاخيرة مع اسرائيل اثر بارز فى رفع الروح المعنوية والثقة بفعالية الجبهة الشرقية .

بـيروت :

● يلاحظ المراقبون تحركات مشبوهة للعدو على الحدود الجنوبية وتبذل الجهود الحربية لمواجهة الموقف .

الخرطوم :

● وصف وزير الدفاع السودانى المقترحات الامريكية الأخيرة لتسوية النزاع بين العرب واسرائيل بأنها الغاء لقرار مجلس الأمن ومحاولة لتفكيك الامة العربية .

الجزائـر :

● صدر بيان مشترك عقب زيارة جلالة العاهل السعودى للبلاد اكد الجانبان فيه أن الكفاح المسلح الطريق الوحيد لاسترداد الاراضى العربية المغتصبة .

الربـــاط :

● يقوم جلالة العاهل المغربى بدور كبير فى اقناع الولايات المتحدة بانتهاج سياسة موالية للعرب بدلا من السياسة المعادية .

ليبيـــا :

● حيا العقيد القذافى دولة الكويت التى تعطى للمعركة كل ما لديها من امكانيات .

باكستان :

● يتوقع المراقبون أن توصى باكستان على عدد من طائرات ميراج — ٥ — الحربية التى تبلغ سرعتها ضعفى سرعة الصوت .

نيويورك :

● عقد اتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة مؤتمره السنوى التاسع عشر ومن المشروعات التى تبناها الاتحاد انشاء صندوق لتحرير الارض المقدسة .

اقرأ في هذا العدد

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة ــ سوق الليل ــ ص ب (٢٢)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة ــ باب الريع ــ ص ب (٢٢)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

شخصيات فى سطور :

أبو العبّاس المبرّد

« ٢١٠ ــ ٢٨٦ هـ »

* هو ابو العباس محمد بن يزيد الأزدى اليمانى زعيم نحاة البصرة فى زمنه العالم الحجة ..

* من شيوخه المازنى والجرمى وابو حاتم السجستانى وابو محلم الشيبانى ثم عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ..

* كان مولعا بالجدل والمناظرة ، وحفظت لنا كتب النحو والسير ما وقع بينه وبين ثعلب صاحب المجالس وغيره من المفكرين والنحاة والأدباء

* قال عنه ابن كثير فى البداية والنهاية « كان ثقة ثبتا فيما ينقله » ، وقال عنه صاحب تاريخ بغداد « كان عالما فاضلا موثوقا به فى الرواية » .

* من تلاميذه الزجاج . وعلى بن سليمان الاخفش ، وابو بكر بن السراج وابن كيسان .

* من مؤلفاته :
  - ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد .
    وهى رسالة صدرها بقوله : « هذه حروف الفناها من كتاب الله عز وجل مختلفة المعانى متقاربة فى القول مختلفة الخبر »
  - الكامل وهو اشهر كتبه على الاطلاق وهو كتاب فى الأدب والنحو والبلاغة وقد علق عليه الشيخ سيد بن على المرصفى فى كتاب سماه « رغبة الآمل من كتاب الكامل » ، فاستكمل الأبيات قصائد وشرح وبسط ..
  - شرح لأمية العرب للشنفرى ..
  - المقتضب وهو كتاب فى النحو والصرف وفيه هاجم بعض روايات القراء وكثرت فيه الشواهد القرآنية حتى اربت على خمسمائة شاهد .

* وحرف الراء فى المبرد تنطق بالفتح وتنطق بالكسر ، قالوا انه سمى بذلك لأنه المبرد (بالكسر) اى المثبت للحق ، او لأنه المبرد (بالفتح) اى حسن الوجه رحمه الله واجزل ثوابه) .

« العوضى الوكيل »